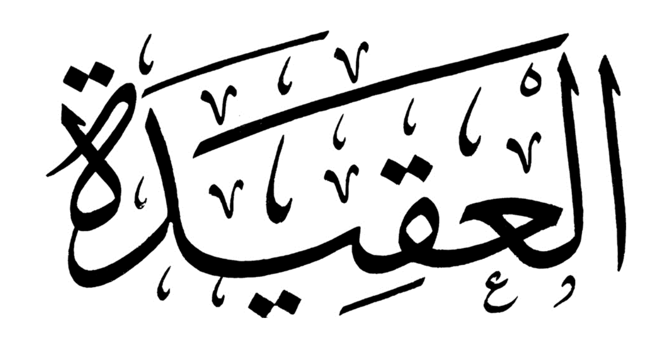


فصلية تعنى بمسائل العقيدة وعلم الكلام القديم والجديد

جمادى الآخرة ١٤٣٧هـ / ٢٠١٦م ـ العدد (٨) ـ السنة الثالثة

تصدر عن

المركز الاسلامي للدراسات الاستراتيجية

يعنى بالاستراتيجية الدينية

النجف الأشرف

الموقع الالكتروني: www.iicss.iq

الإيميل: info@iicss.iq

islamic.css@gmail.com


بسم الله الرحمن الرحيم

قواعد النشر

- الموضوعية العلمية وعدم استخدام اللغة الجارحة.
- يتمّ تقييم البحوث من قبل لجان المجلة، وعلى الباحث إجراء التعديلات المطلوبة.
- يخضع تقديم وتأخير البحوث لظروف فنية لا علاقة لها بمكانة الكاتب.
- المادة المنشورة تعتبر ملك المجلة، ولها الحق في إعادة نشرها وطبعها ضمن كتاب أو ترجمتها إلى لغة أخرى.
- يفضّل أن لا يزيد البحث عن أربعين صفحة.
- للمجلة الحق في حذف وتلخيص ما لا يتناسب مع أهدافها.
- يفضل إرسال البحوث مصفوفة على برنامج وورد.
- المواد المنشورة لا تعبّر بالضرورة عن رأي المجلة.
- إرسال نبذة عن السيرة الذاتية للباحث مع رقم الهاتف والايميل.
- الالتزام بالرأي المشهور عند علماء الشيعة.
- تمنح مكافئة تقديرية لكل باحث بعد طباعة بحثه.

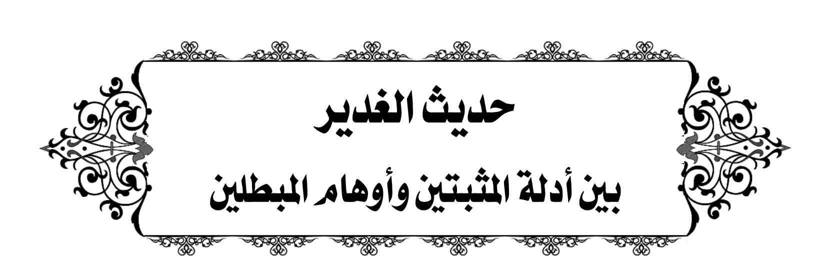
الموقع الالكتروني للمركز
www.iicss.iq

البريد الالكتروني للمركز
Islamic.css@gmail.com

البريد الألكتروني للمجلة
aqeedah.m@gmail.com

محتويات العدد





(الحلقة الثانية)

السيد هاشم الميلاني



الخلاصة:

تطرقنا في الحلقة الأولى من هذا البحث إلى رواة حديث الغدير وما رووه، وفي هذه الحلقة سنتطرق إلى السند وإثبات صحة الحديث وتواتره وفي الختام ـ وتتميماً للفائدة ـ نعرّج على خطبة الغدير.

سند حديث الغدير:

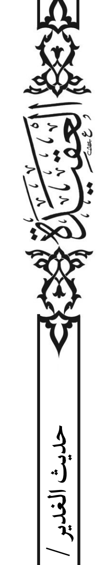
يعدّ حديث الغدير من أهم ما استدلّت به الشيعة لإثبات إمامة أمير المؤمنين عليه السلام، وللعلماء طرق عدّة لإثبات صحته سنداً نوجزها فيما يأتي:

١ ـ العلم الضروري:

ذكر علماؤنا أنّ المطالبة بتصحيح خبر الغدير تعنّت، وذلك لظهوره وانتشاره بحيث أصبح كالضروري، وما المطالب بتصحيحه إلاّ كالمطالب بتصحيح

غزوات الرسول صلى الله عليه وآله الظاهرة والمشهورة، وأحواله وأخباره، وهذا لا يحتاج في ثبوته وصحته الى الأسانيد المتصلة، إذ هو من قبيل الأُمور الظاهرة التي نقلها الناس قرناً بعد قرن بغير إسناد معيّن وطريق مخصوص[1].

قال الكراجكي (ت٤٤٩): «ألا ترى الى وقعة بدر وحنين، وحرب الجمل وصفين، كيف لا يفتقر في العلم بصحّة شيء من ذلك الى سماع إسناد، ولا اعتبار أسماء الرجال، لظهوره المغني، وانتشاره الكافي، ونقل الناس له قرناً بعد قرن بغير إسناد، حتى عمّت المعرفة به واشترك الكلّ في ذكره، وقد جرى خبر يوم الغدير هذا المجرى، واختلط في الذكر والنقل بما وصفنا، فلا حجّة في صحّته أوضح من هذا»[2].



ثمّ إنّ الفخر الرازي (ت٦٠٦) قدح في هذا الدليل وقال: «أما دعواهم العلم الضروري بصحّته فمكابرة، لأنّا نعلم أنّه ليس العلم بصحّته كالعلم بوجود محمد صلى الله عليه وآله وغزواته مع الكفّار وفتحه لمكة وغير ذلك من المتواترات»[3].

وقد ردّ ابن ميثم البحراني (ت٦٩٩) شبهة الرازي قائلاً: «قوله: هذه مكابرة إذ ليس العلم له كوجود مكة وغيرها من المتواترات، قلنا: عندنا أنّه كذلك، فأمّا عندكم فإن زعمتم أنّه لم يحصل لكم العلم به أصلاً فلم يضرّنا ذلك، وغير ممتنع أن يحصل لكم العلم للعلّة التي ذكرناها، وهو اعتقادكم لما ينافي موجب الخبر، وإن زعمتم أنّ العلم به حاصل لكن بينه وبين المتواترات تفاوت، فقد سلّمتم أنّه متواتر، وأمّا التفاوت فغير ضارّ لأنّ العلوم الضروريّة مختلفة بالأشدّية والأضعفيّة»[4].

وأجاب البياضي (ت٨٧٧) بنحو آخر حيث قال: «اعترض المخالف بمنع صحّة الحديث، ودعوى العلم الضروري به ممنوعة لمخالفتنا، قلنا: قد شرط المرتضى في قبول الضروري عدم سبق شبهة تمنع من اعتقاده، وهو حقّ، فإنّ اعتقاد أحد الضدّين يمنع من اعتقاد الآخر، والمخالف تمكّنت في قلبه الشبهة فمنعته من

ذلك، قالوا: نجد الفرق بينه وبين الوقائع العظام، قلنا: يجوز التفاوت في الضروريّات»[٥].

وقد اجاب أيضاً السيد دلدار علي (ت ١٢٣٥) عن شبهة الرازي قائلاً: «لاشكّ أنّ كلّ من تأمّل وأنصف في كثرة طرق الحديث واشتهاره بين الخاصّة والعامّة مع وفور الدواعي الى الكتمان، وكثرة الصوارف عن النقل، يحصل له العلم الضروري بصحّة هذا الحديث، كيف وقد يحصل للمسلمين القطع واليقين في كثير من الأمور الدينية التي هي أدون مرتبة في باب التواتر من هذا الحديث، كآيات التحدّي والتحدّي بها على رؤوس الأشهاد من الكفّار وأعداء الدين، مع وجود الدواعي الى المعارضة وعدم وجود الموانع، وهكذا صدور المعجزات ونحو ذلك، مع أنّ الكفّار كافّة ينكرون ذلك كلّه، ويدّعون أنّ أهل الإسلام كلّهم تواطؤوا على الكذب واختراع هذه الأخبار، لأنّ كلّهم من أرباب الأغراض والدواعي الى وضع تلك الأخبار، كما إنّ أهل الإسلام يدعون كذلك في باب الأخبار المخصوصة بأهل المذاهب الفاسدة من اليهود والصابئين وعبدة النيران والأوثان وسائر المشركين، فكيف يسوغ لمسلم منصف أن ينكر التفاوت بين العلمين، فعلى تقدير التسليم يكون حاله كحال التفاوت بين البديهيّين، فإنّه قد يكون أحدهما أجلى من الآخر، كيف ولو لم يكن الأمر كذلك يلزم إهمال كثير من المتواترات»[٦].

نعم ربّما يقال: إنّ العلم به لو كان كذلك لاشترك في الوقوف على تفاصيله ومعرفته جميع الناس: العام والخاص، والحال أنّه ليس كذلك، قلنا: «إنّ العلم به إنّما يحصل للمخالط المتأمل للآثار دون البعيد عنهما، كأمثاله من المعلومات التي يعلم بها من خالط العلماء وتأمّل النقل، ولا يحصل للمعرض، كتفصيل ما جرى في بدر وأُحد، والجمل وصفين، وتبوك وحجة الوداع، وكون الركوع والسجود والطواف والوقوف بعرفة من أركان الصلاة والحج، وتعلّق فرض الزكاة بأنواع التسعة، وإيجاب تعمّد الأكل والشرب والجماع في الصوم بالقضاء والكفارة، الى

باقي أحكام هذه العبادات المعلوم ضرورة من دينه ﷺ وجوبها، مع وجود أكثر العامّة وقطّان البدو والسواد جاهلين بجميعها أو معظمها لتشاغلهم بما بينهم من المعايش والأغراض الدنيويّة ...وإن كان جهل هؤلاء الحاصل فيهم لتشاغلهم عن مخالطة العلماء وإعراضهم عن سماع النقل والفتيا غير قادح في عموم العلم بما اتفق العلماء عليه، وعلم من دينه ﷺ من الشرعيات، لم يقدح جهل العوام وطغام الناس بخبري تبوك والغدير في ثبوتهما وعموم العلم بهما»(٧).

وهناك شبهة أُخرى ذكرها أبو الصلاح الحلبي (ت٤٤٧) وردّها، قال: «وليس لأحد أن يقول: فإذا كان العلم بخبري تبوك والغدير عامّاً، فلم فزع أكثر سلفكم الى إيراد الأسانيد بهما وإثبات طريق النقل لهما ؟ وأيّ حاجة فيما عمّ العلم به كبدر وحنين الى ترتيب نقل ؟

لأنّ العلماء من سلفنا وخلفنا رضي الله عنهم لم يعوّلوا في إثبات هذين الخبرين إلاّ على ما ذكرناه، وإنّما نبّهوا في الاستدلال على الطريق وصِفة التواتر تأكيداً للحجّة وتنبيهاً للمعرض على الطريق التي يعمّ العلم بتأمّلها، وجروا في ذلك مجرى من يسأل بيان العلم بصفة حجّة النبي ﷺ هل في قِران أو إفراد أو تمتّع ؟ وأعيان المخلّفين عن غزاة تبوك ؟ وهل كانت ذات حرب أم لا ؟ وبقتل حمزة بن عبد المطلب (رضي الله عنه)يوم أُحد دون غيره ؟ وبقتل عتبة وشيبة والوليد ببدر ؟ في فزعه الى الإشارة الى كتب أصحاب السيرة وطرق الناقلين، لذلك لا يجد مندوحة عنه، إذ هو الطريق الذي منه لحق التفصيل بالجمل في عموم العلم، ولذلك يجد كلّ من لم يخالط العلماء ويسمع الأخبار ويتأمّل الآثار من العوام وأهل السواد والأعراب وأشباههم لا يعلم شيئاً من ذلك، ولا يكون التنبيه لهم على طريق العلم بما نقله الرواة وأصحاب السير من تفاصيل ما جرى قادحاً في عموم العلم بها لكل متأمّل للآثار.

كذلك حال المنبّه من شيوخنا رضي الله عنهم على طرق الناقلين، والمشير الى

صفات المتواترين بخبري تبوك والغدير للمعرض عن سماع ذلك ليس بقادح فيما بينّاه من عموم العلم بهما للمتأمّلين، على أنّ بإيراد ما نقله أصحاب الحديث من الخاصّة والعامّة حصل للسامع العلم بهما، كما بنقل الرواة للمغازي حصل العلم بها لكل سامع، وكيف يكون التنبيه على طريق عموم العلم بالمنقول قادحاً فيه لولا الغفلة»[٨].

٢ ـ الإجماع:

ممّا يدلّ على صحّة الحديث إجماع علماء المسلمين على صدوره، قال السيد المرتضى (ت ٤٣٦): «وما نعلم أنّ فرقة من فرق الأُمّة ردّت هذا الخبر واعتقدت بطلانه وامتنعت من قبوله، وما تجمع الأُمّة عليه لا يكون إلاّ حقّاً عندنا وعند مخالفينا، وإن اختلفنا في العلّة والاستدلال»[٩].

وقال أبو الصلاح الحلبي (ت٤٤٧): «ولذلك لا نجد أحداً من علماء القبلة قديماً وحديثاً ينكرهما، ولا يقف في صحّتهما، كما لا يشكّ في شيء من الأحكام المجمع عليها، وإن خالف في المراد بهما»[١٠].

وقال ابن ميثم (ت٦٩٩): «إنّ الأُمّة أجمعت على نقله، وإجماعهم على مذهب الخصم حجة، أمّا أنّها أجمعت على صحّته فلأنّ الشيعة بأسرهم ينقلونه ليثبتوا به إمامتهم، والخصم ينقله ليثبت فضيلته، فوجب أن يكون مجمعاً على صحّته»[١١].

وقد انبرى هنا بعض متكلّمي أهل السنة للقدح في دعوى الإجماع، واستدّلوا على ذلك بأربع أدلّة:

١ ـ قال الفخر الرازي (ت٦٠٦) عند ردّه على الشيعة في دعوى الإجماع: «تدّعي أنّ كلّ الأُمّة قبلوه قبول القطع أو قبول الظنّ ؟ الأوّل ممنوع وهو نفس المطلوب، والثاني مسلّم وهو لا ينفعكم في مطلوبكم»[١٢].

قلنا: لا طائل تحت هذه الشبهة سوى تنميق الألفاظ وتزويقها، لأنّ الذي قبله قطع بصحّته وصدوره، ولا فرق بين قبول القطع وقبول الظنّ، ذلك أنّ الذي قبله إن كان مراده صحّة السند وصدوره عن النبي ﷺ، فهو هنا إما قاطع وإما غير قاطع، فإن كان قاطعاً فهو المطلوب، وإن كان غير قاطع فمعناه عدم حكمه بصحّته، وهذا لا يقدح في الإجماع ـ كما سنذكره لاحقاً ـ وأمّا إذا كان مراده القطع بالمدلول فالشيعة قطعت بكونه نصّاً، وأهل السنة قطعوا بكونه دليلاً على الفضل، ولا معنى للتفرقة بين قبول القطع وقبول الظن، إلاّ أن يريد أنّ دخول التأويل في فهم مدلوله يخرجه من القطع الى الظن، فهذا أيضاً لا ينفعه، إذ إنّ الآيات المتشابهة مع القطع بصدورها باتت معركة الآراء، وهذا لم يخرجها عن القطيعة وصحّة الصدور، غاية ما هنالك لابد من قبول أقرب التأويلات بالقياس الى اللّغة والعرف والقرائن الداخليّة والخارجيّة، فلا معنى حينئذ لقول الرازي: «الثاني مسلّم وهو لا ينفعكم في مطلوبكم» بل ينفعنا من حيث ثبوت الحديث سنداً، والقطع بصدوره يقيناً.

٢ ـ تمسّك الفخر الرازي بشبهة أُخرى إذ زعم أنّ انشغال الأُمّة بتأويل الحديث والمناقشة فيه لا يكون دليلاً على صحته، قال: «وليس كلّ ما لا يكون صحّته يقينيّة للأُمّة فإنّهم لا يقبلونها، بل أكثر الأخبار التي قبلوها وعملوا بها واجتهدوا في معرفة معانيها غير مقطوعة الصحّة، فثبت بهذا أنّه لا يلزم من عدم ردّ الأُمّة لهذا الحديث وانشغالهم بحمله تارة على الإمامة وتارة على الفضيلة، قطعهم بصحّته»[١٣].

وقد ردّ عليه ابن ميثم البحراني (ت٦٩٩) قائلاً: «لا نسلّم، وذلك أنّ أكثر الأُمّة إذا اعتقدوا بأسرهم، مخالفهم ومؤالفهم، صحّته خصوصاً، وفي المخالفين لما يتضمّنه هذا الخبر من شديد المعاندة في إنكار مقتضاه، فيستحيل أن يكون فيه تسليم له ثم بعد ذلك يتعسّف في صرفه عن ظاهره الى تأويلات نادرة لا تسمن ولا تغني من جوع»[١٤].

وقد أشار السيد المرتضى (ت٤٣٦)فيما قبل الى نحو هذا الشبهة وردّها بقوله: «ليس يجوز أن يتأوّل أحد من المتكلّمين خبراً يعتقد بطلانه أو يشك في صحّته، إلاّ بعد أن يبيّن ذلك من حاله ويدلّ على بطلان الخبر أو على فقد ما يقتضي صحّته، ولم نجد مخالفي الشيعة في ماض ولا مستقبل يستعملون في تأويل خبر الغدير الاّ ما يستعمله المتقبّل، لأنّا لا نعلم أحداً منهم يعتدّ بمثله قدّم الكلام في إبطاله والدفع له أمام تأويله، ولو كانوا أو بعضهم يعتقدون بطلانه أو يشكّون في صحّته لوجب مع ما نعلمه من توفّر دواعيهم الى ردّ احتجاج الشيعة، وحرصهم على دفع ما يجعلونه الذريعة الى تثبيته أن يظهر عنهم دفعه سالفاً وآنفاً، ويشيع الكلام منهم في دفع الخبر كما شاع كلامهم في تأويله، لأنّ دفعه أسهل من تأويله، أو أقوى في إبطال التعلّق به، وأنفى للشبهة»[١٥].

٣ ـ قال الفخر الرازي أيضاً «إنّ كثيراً من أصحاب الحديث لم ينقلوا هذا الحديث كالبخاري ومسلم والواقدي وابن اسحاق»[١٦].

فنقول في الجواب:

أوّلاً: إنّ عدم إخراج هؤلاء الأربعة لهذا الحديث لا يقدح فيه بل هو قدح فيهم، إذ أهملوا حديثاً اجتمعت الأُمّة على نقله وتصحيحه وروايته، ورووا أحاديث أُخر لا تصل الى رتبته، بل هي الى الوضع أقرب.

ثانياً: «كون شخص أو شخصين أهملا حديثاً لم يلزم منه سقوط ذلك الحديث وكذبه، فإنّه لو نقل كلّ الرواة كلّ الأخبار كما وقعت عن رسول الله ﷺ لما وقع بين الناس خلاف في خبر قط، ومعلوم أنّ الخلاف في الأخبار أكثر من أن يحصى، ثم الحامل لهم على الإهمال إمّا عدم الوصول الى التزكية، أو لاعتقادهم عدم صحّته لشبهة عندهم، أو لعدم اعتقادهم لصحّته، أو لتوقّفهم في رواته، حتى أنّ تاركيه لو صرّحوا بفساده لم يلزم فساده»[١٧].

ثالثاً: قال ابن حجر (ت٨٥٢) في فتح الباري في ردّ من شكّ في معجزة شقّ القمر بأنّ أهل التنجيم لم يذكروه: «وأمّا من سأل عن السبب في كون أهل التنجيم لم يذكروه، فجوابه إنّه لم ينقل عن أحد منهم أنّه نفاه، وهذا كاف، فإنّ الحجّة فيمن أثبت لا فيمن لم يوجد منه صريح النفي، حتى أنّ من وجد منه صريح النفي، يقدّم عليه من وجد منه صريح الإثبات»[١٨].

عدم ذكر البخاري ومسلم:

أما كون البخاري ومسلم لم يروياه فنقول ـ مضافاً الى ما مرّ من الأجوبة العامة ـ: إنّ الروايات الصحيحة لا تنحصر في الصحيحين، فهذا الحاكم النيسابوري (ت٤٠٥) قد استدرك عليهما كثيراً من الأحاديث، وأثبت صحّتها على شرطهما أو شرط أحدهما، ووافقه الذهبي على كثير منها، قال الحاكم في مقدمة كتابه: «لم يحكما ـ يعني البخاري ومسلم ـ ولا واحد منهما بأنّه لم يصحّ من الحديث غير ما أخرجاه، وقد نبغ في عصرنا هذا جماعة من المبتدعة يشمتون برواة الآثار بأنّ جميع ما يصحّ عندكم من الحديث لا يبلغ عشرة آلاف حديث، وهذه الأسانيد المجموعة المشتملة على ألف جزء أو أقلّ أو أكثر منه كلّها سقيمة غير صحيحة»[١٩].

وقد ردّ النووي (ت ٦٧٦) على الدار قطني في إلزامه على الشيخين ترك كثير من الصحيح: «هذا الإلزام ليس بلازم في الحقيقة، فإنّهما لم يلتزما استيعاب الصحيح، بل صحّ عنهما تصريحهما بأنّهما لم يستوعباه، وإنّما قصدا جمع جمل من الصحيح، كما يقصد المصنّف في الفقه جمع جملة من مسائله»[٢٠].

وقال القاضي الكناني (ت ٧٣٣): «لم يستوعبا كلّ الصحيح في كتابيهما، وإلزام الدار قطني وغيره لهما أحاديث على شرطهما لم يخرجاها ليس بلازم لهما في الحقيقة، لأنّهما لم يلتزما استيعاب الصحيح، بل جملة منه أو ما يسدّ مسدّه من غيره منه، قال البخاري: ما أدخلت في كتاب الجامع الاّ ما صحّ، وتركت من

الصحاح لحال الطول، وقال مسلم: ليس كلّ شيء عندي صحيح وضعته هاهنا، وإنّما وضعت ما أجمعوا عليه، ولعلّ مراده ما فيه شرائط الصحيح المجمع عليه عنده لا إجماعهم على وجودها في كل حديث منه، أو أراد ما أجمعوا عليه في علمه متناً أو إسناداً وإن اختلفوا في توثيق بعض رواته، فانّ فيه جملة أحاديث مختلف فيها متناً أو إسناداً ... »[٢١].

وقد قال ابن القيّم (ت ٧٥١) في مسألة وقوع الطلاق بكلمة واحدة، ردّاً على من تمسّك بأنّ البخاري لم يرو الحديث ورواه مسلم فقط، قائلاً: «ما ضرّ ذلك الحديث انفراد مسلم به شيئاً، ثم هل تقبلون أنتم أو أحد مثل هذا في كلّ حديث ينفرد به مسلم عن البخاري، وهل قال البخاري قط أنّ كل حديث لم أدخله في كتابي فهو باطل أو ليس بحجّة أو ضعيف، وكم قد احتجّ البخاري بأحاديث خارج الصحيح وليس لها ذكر في صحيحه، وكم صحّح من حديث خارج عن صحيحه»[٢٢].

ثم إنّه كم من حديث صحيح رواه البخاري ومسلم في صحيحهما، ومع هذا قد طعن فيه بعض علماء أهل السنة، فعلى فرض روايتهما لحديث الغدير ـ كسائر الحفّاظ من أصحاب الصحاح والسنن والمسانيد ـ لكان لطعن الحاقدين فيه مجال واسع.

وإليك بعض النماذج مّما ورد في الصحيحين وردّه أو ناقش فيه ـ سنداً أو متناً أو كليهما ـ أهل السنة:

من تلك الموارد حديث تأخّر علي عليه السلام عن بيعة أبي بكر لستة أشهر وجميع بني هاشم الوارد في الصحيحين[٢٣]، ولكن مع هذا ضعّفه البيهقي، قال ابن حجر العسقلاني (ت٨٥٢) في فتح الباري: «أما ما وقع في مسلم عن الزهري أنّ رجلاً قال: لم يبايع علي أبا بكر حتى ماتت فاطمة، قال: ولا أحد من بني هاشم، فقد ضعّفه البيهقي بأنّ الزهري لم يسنده ... »[٢٤].

وقد قال المولوي حيدر علي الفيض آبادي الهندي بعد ذكر التأويلات والأقوال المختلفة حول هذا الحديث: «يلوح من كتب المحدّثين ـ بعد التنقيب والتحقيق ـ بوضوح أنّ في صحّة بعض روايات صحيح البخاري كلاماً، وكذلك في بعض روايات صحيح مسلم، وقلنا فيما سبق أنّ هذه الروايات التي باتت مثار القيل والقال عند أهل الحديث، تكون بمثابة أقل القليل، وهي في الصحيح الثاني أكثر»[٢٥].

كما ردّ الفيض آبادي أيضاً حديث القرطاس الموجود في صحيح البخاري ومسلم في أكثر من مكان، ونسب تضعيفه بل القول بوضعه الى الآمدي أيضاً، ثم صرّح تصريحاً خطيراً حيث قال: «يُنقل عن شيوخ المحدّثين أنّه يظهر بعد الفحص ضعف (٢١٠) رواية في الصحيحين، تفرّد البخاري بثمانين رواية، وتفرّد مسلم بمائة، واشتركا في ثلاثين رواية»[٢٦].

قال ابن تيمية (ت ٧٢٨) في منهاج السنة: «المواضع المنتقدة غالبها في مسلم، وقد انتصر طائفة لهما ـ يعني للبخاري ومسلم ـ فيها، وطائفة قوّت قول المنتقد، والصحيح التفصيل، فإنّ فيهما مواضع منتقدة بلاريب، مثل حديث: خلق الله التربة يوم السبت، وحديث صلاة الكسوف بثلاث ركوعات وأكثر»[٢٧].

ومع هذا فإنّ الكتابين نفسيهما مطعون فيهما، ويوجد كلام حول تقديمهما على غيرهما، قال الحافظ الأدفوي (ت ٧٤٩) الذي أثنى عليه ابن حجر في الدرر الكامنة ١: ٥٣٥ كثيراً، قال في ردّ ابن الصلاح في تلقي الأُمّة كتابي البخاري ومسلم بالقبول: «إنّ قول الشيخ أبي عمرو بن الصلاح: إنّ الأُمّة تلقّت الكتابين بالقبول، إن أراد كلّ الأُمّة فلا يخفى فساده لك، إذ الكتابان إنّما صنّفا في المائة الثالثة بعد عصر الصحابة والتابعين، وتابعي التابعين، وأئمة المذاهب المتبعة، ورؤوس حفّاظ الأخبار، ونقّاد الآثار المتكلّمين في الطرق والرجال المميّزين بين الصحيح والسقيم، وإن أراد بالأُمّة الذين وجدوا بعد الكتابين، فهم بعض الأُمّة، فلا يستقيم دليله

الذي قرّره من تلقّي الأُمّة وثبوت العصمة لهم ... ثم إن أراد كلّ حديث فيهما تُلقّي بالقبول من الناس كافّة فغير مستقيم، فقد تكلّم من الحفّاظ في أحاديث فيهما: فتكلّم الدار قطني في أحاديث وعلّلها، وتكلّم ابن حزم في أحاديث كحديث شريك في الإسراء قال إنّه خلط، ووقع في الصحيحين أحاديث متعارضة لا يمكن الجمع بينهما، والقطع لا يقع التعارض فيه.

وقد اتفق البخاري ومسلم على إخراج حديث محمد بن بشار بندار وأكثرا من الاحتجاج بحديثه، وتكلّم فيه غير واحد من الحفّاظ أئمة الجرح والتعديل، ونسب الى الكذب، وحلف عمرو بن علي الفلاس شيخ البخاري أنّ بندار يكذب في حديثه عن يحي، وتكلّم فيه أبو موسى، وقال علي بن المديني في الحديث الذي رواه في السجود: هذا كذب ... ـ الى أن قال: ـ وأمثال ذلك يستغرق أوراقاً، فتلك الأحاديث عندهما ولم يتلقّوها بالقبول»[٢٨].

كما أنّ الحافظ أبا زرعة (ت ٢٦٤ أو ٢٦٨) قد طعن في مسلم وصحيحه، فقد قال في حقّه: «هذا ليس له عقل، لو دارى محمد بن يحي لصار رجلاً»[٢٩] وفي مورد آخر قال لما ذكر عنده صحيح مسلم: «هؤلاء قوم أرادوا التقدّم قبل أوانه، فعملوا شيئاً يتسوّقون به»[٣٠]، وأبو زرعة هذا هو الذي قال في حقّه إسحاق بن راهويه: «كل حديث لا يعرفه أبو زرعة ليس له أصل»[٣١].

أما البخاري فلم يسلم من القدح أيضاً، فقد قدحه أبو زرعة وأبوحاتم[٣٢]، وكذلك قدحه محمد بن يحي الذهلي، وأشار الى عدم مجالسته لما أبداه في مسألة القرآن[٣٣]، كما قال أيضاً: «قد أظهر هذا البخاري قول اللفظيّة، واللفظيّة عندي شرّ من الجهمية[٣٤] »، وقال: «...وصنّف في ذلك كتاب (أفعال العباد) مجلّد، فأنكر عليه طائفة ما فهموا مرامه كالذهلي وأبي زرعة وأبي حاتم وأبي بكر الأعين وغيرهم»[٣٥].

ومن الطريف أنّ الرازي الذي قدح في حديث الغدير لعدم رواية البخاري ومسلم له، وجعل هذا ذريعة لردّ الحديث، نسى موقفه هذا وقال في كتابه الآخر (مناقب الشافعي) ردّاً على من ضعّف الشافعي لعدم رواية البخاري ومسلم عنه قائلاً: «الرابع: إنّ البخاري ومسلماً ما رويا عنه، ولولا أنّه كان ضعيفاً في الرواية لرويا عنه كما رويا عن سائر المحدّثين، ثم قال في الجواب: إنّ البخاري روى عن أقوام ما روى عنهم مسلم، ومسلماً روى عن أقوام لم يرو عنهم البخاري، فدلّ على أنّهما إن تركا الرواية عن رجل لم يوجب ذلك قدحاً فيه ... وترك الرواية لا يدلّ على الجرح»(٣٦).

فتلخّص ممّا مضى أنّ عدم رواية البخاري ومسلم لحديث الغدير لا يدلّ على قدح في الحديث لا من قريب ولا من بعيد، مضافاً الى أنّ شيوخ البخاري ومسلم قد رويا حديث الغدير بأسانيد صحاح وحسان، وقد سرد أسماءهم العلاّمة الأميني في الغدير، فراجعه(٣٧).

عدم نقل الواقدي وابن اسحاق:

أمّا عدم نقل الواقدي لحديث الغدير، فلا يضرّنا أيضاً، إذ ليس هو من أئمّة الحديث والحفّاظ الذين يشار إليهم بالبنان، وبعد ما أثبتنا أنّ عدم رواية البخاري ومسلم للحديث غير قادح فيه، فعدم القدح لعدم رواية الواقدي إيّاه أولى، مضافاً الى أنّ الواقدي نفسه مقدوح ومتهم عند أهل السنة، ومن الطريف أنّ الشيعة عندما تستشهد برواية الواقدي في مطاعن الخلفاء، يجيب أهل السنة بأنّه ضعيف وكذّاب ومدلّس، ولكن هنا قد أصبح عدم روايته دليلاً على القدح في حديث الغدير.

وكذلك جوابنا في عدم رواية إبن إسحاق أيضاً، ولكن مع هذا فإنّ ابن إسحاق قد أشار الى الحديث وذكر سببه، وذلك فيما رواه ابن كثير وغيره في بعثة اليمن وشكاية الصحابة من علي عليه السلام (٣٨).

٤ ـ قال الفخر الرازي (ت ٦٠٦): «بل الجاحظ وابن أبي داود السجستاني وأبو حاتم الرازي وغيرهم من أئمة الدين قدحوا فيه واستدلّوا على فساده»[٣٩] وأضاف ابن تيمية (ت ٧٢٨) الى هذه القائمة أسماء أخر حيث قال: «فنقل عن البخاري وإبراهيم الحربي وطائفة من أهل العلم بالحديث أنّهم طعنوا فيه وضعّفوه»[٤٠].

فنقول في الجواب:

أوّلاً: ليست هذه الشبهة بالشيء الجديد، فقد طرحت قبل الرازي بقرون، وقد أشار اليها السيد المرتضى (رحمه الله) (ت ٤٣٦) في الشافي وردّها، حيث قال: «أوّل ما نقوله إنّه لا معتبر في باب الإجماع بشذوذ كلّ شاذ عنه، بل الواجب أن يعلم أنّ الذي خرج عنه ممّن يعتبر قول مثله في الإجماع، ثم يعلم أنّ الإجماع لم يتقدّم خلافه، فابن أبي داود والجاحظ لو صرّحا بالخلاف لسقط خلافهما بما ذكرناه من الإجماع خصوصاً بالذي لا شبهة فيه من تقدّم الإجماع وفقد الخلاف وقد سبقهما ثم تأخّر عنهما»[٤١].

ثانياً: إنّ قدح الجاحظ لو ثبت لا يضرّ، لأنّ «طريقته المشتهرة في تصنيفاته المختلفة، وأقواله المتضادّة المتناقضة، وتأليفاته القبيحة في اللّعب والخلاعة، وأنواع السخف والمجانة الذي لا يرتضيه لنفسه ذو عقل وديانة، يمنع من الالتفات الى ما يحكيه، ويوجب التهمة له فيما ينفرد به ويأتيه»[٤٢].

مضافاً الى أنّه من النواصب المبغضين لأمير المؤمنين عليه السلام، قال ابن تيمية (ت ٧٢٨): «نعم مع معاوية طائفة كثيرة من المروانية وغيرهم كالذين قاتلوا معه وأتباعهم بعدهم، يقولون إنّه كان في قتاله على الحق مجتهداً مصيباً، وإنّ علياً ومن معه كانوا ظالمين أو مجتهدين مخطئين، وقد صنّف لهم في ذلك مصنّفات مثل كتاب المروانية الذي صنّفه الجاحظ»[٤٣].

ثالثاً: إنّ ما نسب الى ابن أبي داود السجستاني من القدح في الحديث لم يثبت، قال السيد المرتضى (ت ٤٣٦): «إنّ ابن أبي داود لم ينكر الخبر، وإنّما أنكر كون المسجد الذي بغدير خم متقدّماً»[٤٤]، وأضاف أبو صلاح الحلبي (ت ٤٤٧) قوله: «إنّ المضاف الى السجستاني من ذلك موقوف على حكاية الطبري مع ما بينهما من الملاحاة والشنآن، وقد أكذب الطبري في حكايته عنه، وصرّح بأنّه لم ينكر الخبر وإنّما أنكر أن يكون المسجد بغدير خم متقدّماً، وصنّف كتاباً معروفاً يعتذر فيه ممّا قرفه به الطبري ويتبرّأ منه»[٤٥].

مضافاً إلى أنّ ـ والده ـ أبا داود قد روى الحديث، كما في كتاب الخصائص للنسائي حيث روى حديث المناشدة عن أبي داود[٤٦]، وكفانا الوالد مؤنة الابن حيث كذّبه، قال: «ابن عدي، أنبأ علي بن عبدالله الداهري، سمعت أحمد بن محمد بن عمرو كركره، سمعت علي بن الحسين بن الجنيد، سمعت أبا داود يقول: ابني عبدالله كذّاب، قال ابن صاعد: كفانا ما قال فيه أبوه»[٤٧]، وكذلك قال إبراهيم الأصفهاني: أبوبكر بن أبي داود كذّاب، وقال أبو القاسم البغوي لابن أبي داود: أنت عندي والله منسلح من العلم[٤٨]، فلا ضير إذاً في قدحه بلغ ما بلغ.



رابعاً: أما أبو حاتم الرازي وقدحه في حديث الغدير فلا يضرّ أيضاً، وذلك أنّ أبا حاتم باعتراف أهل السنة كان متعنّتاً في الرجال، قال الذهبي في سير أعلام النبلاء: «إذا وثّق أبو حاتم رجلاً فتمسّك بقوله فإنّه لا يوثّق إلاّ رجلاً صحيح الحديث، وإذا ليّن رجلاً أو قال فيه لا يحتج به، فتوقّف حتى ترى ما قال غيره فيه، فإن وثّقه أحد فلا تبنِ على تجريح أبي حاتم فإنّه متعنّت في الرجال، قد قال في طائفة من رجال الصحيح ليس بحجة، ليس بقويّ أو نحو ذلك»[٤٩].

وقال أيضاً: «يعجبني كثيراً أبو زرعة في الجرح والتعديل يبين عليه الورع والخبرة، بخلاف رفيقه أبي حاتم فإنّه جرّاح»[٥٠]، فكيف بعد هذا نعتمد على جرحه وقدحه في الحديث إن ثبت ذلك عنه.

خامساً: أمّا كون البخاري وإبراهيم الحربي قدحا في حديث الغدير، فلم نسمعه إلاّ من ابن تيمية ولم يسبقه أحد فيما نعلم، ومع هذا فهو ادعاء صرف لم يقم عليه دليلاً، ولم يذكر المصدر حتى يرجع اليه ويرى سبب القدح، فلا عبرة إذ به إذا هو مجرد ادعاء ومكابرة، أمّا طعن ابن حزم فسنجيب عليه في ذكر طرق الحديث.

سادساً وأخيراً: إنّ قدح القادحين لا يقاوم من صرّح بصحّة الحديث وتواتره من الحفّاظ أصحاب السنن والمسانيد، و« القول الشاذ لو أثّر في الإجماع، وكذلك الرأي المستحدث لو أبطل مقدّم الاتفاق، لم يصحّ الاحتجاج بالاجماع، ولا يثبت التعويل على اتفاق»(٥١).

مضافاً الى القاعدة المقرّرة عند القوم من تقديم المثبت على النافي، قال ابن حجر (ت ٨٥٢) في مقام الدفاع عن صحّة شق القمر أمام المنكرين له: «إنّ الحجة فيمن أثبت لا فيمن لم يوجد منه صريح النفي، حتى أنّ من وجد منه صريح النفي يقدّم عليه من وجد منه صريح الاثبات»(٥٢)، وكما قال العيني (ت ٨٥٥) في عمدة القاري بالنسبة الى الخلاف القائم بين من أثبت صلاة النبي ﷺ في جوف الكعبة وبين من نفاها، قال: «ومن الأجوبة أنّ القاعدة تقديم المثبت على النافي»(٥٣).

وكذلك قال المناوي (ت ١٠٣١): «القاعدة عند التعارض تقديم المثبت»(٥٤).

إذا عرفت هذا فثبوت حديث الغدير والإجماع عليه ممّا لا يؤثر فيه طعن الطاعنين للأدلّة التي ذكرناها، فيبقى الإجماع على حاله من غير خدشة.

٣ ـ التصريح بتواتر الحديث:

وسيأتي الحديث عنه لاحقاً.

٤ ـ التصريح بتصحيح الحديث:

صرّح كثير من علماء السنة بصحّة حديث الغدير، وفيما يأتي نشير إلى أهمّ العلماء:

١ ـ ابن ماجة (ت ٢٧٣) أورده في سننه ١: ٤٥ ح ١٢١، وهو وإن لم يصرّح بتصحيحه ولكن يعدّ كتابه من الصحاح الستة عند أهل السنة.

٢ ـ الترمذي (ت ٢٧٩) في سننه ٥: ٢٩٧ ح ٣٧٩٧، وقال: حديث حسن غريب، وكتابه أيضاً من الصحاح الستة عند أهل السنة.

٣ ـ الطحاوي (ت ٣٢١) في مشكل الآثار ٢: ٣٠٨ قال بعد ما روى حديث جابر: صحيح الإسناد لا طعن لأحد في رواته .

٤ ـ ابن حبان (ت ٣٥٤) في صحيحه ١٥: ٣٧٦.

٥ ـ الحاكم النيسابوري (ت ٤٠٥) في المستدرك ٣: ١٠٩، صححه على شرط الشيخين.

٦ ـ أبو القاسم الفضل بن محمد الأصفهاني (ق ٥) نقل تصحيحه ابن المغازلي في المناقب: ٢٧ ح ٣٩.

٧ ـ ابن عبد البر القرطبي (ت ٤٦٣) رواه في الاستيعاب مع حديث المؤاخاة والراية وقال: هذه كلها آثار ثابتة[٥٥].

٨ ـ ابن المغازلي (ت ٤٨٣) في المناقب: ٢٧ نقل تصحيح الأصفهاني وارتضاه.

٩ ـ سبط ابن الجوزي (ت ٦٥٤) في تذكرة الخواص، صحّح رواية أحمد عن البراء بن عازب[٥٦].

١٠ ـ أبو عبدالله الكنجي الشافعي (ت ٦٥٨) قال في كفاية الطالب بعد رواية الحديث بعدّة الطرق: «وانضمام هذه الأسانيد بعضها الى بعض حجّة في صحّة النقل»[٥٧].

١١ ـ أبو المكارم السمناني (ت ٧٣٦) قال بعد روايته: «وهذا الحديث متّفق

على صحّته»[٥٨].

١٢ ـ الحافظ الذهبي (ت ٧٤٨) قال في سير أعلام النبلاء في ترجمة الطبري ١٤: ٢٧٦: جمع حديث غدير خم في أربعة أجزاء رأيت شطره فبهرني سعة رواته وجزمت بوقوع ذلك.

١٣ ـ الحافظ ابن كثير (ت ٧٧٤) صحّح كثيراً من طرقه في البداية والنهاية ٥: ٢٢٨ ـ ٢٣٤، ٧: ٣٣٣ ـ ٣٣٧، السيرة النبوية ٤: ٤١٤ ـ ٤٢٥.

١٤ ـ الهيثمي (ت ٨٠٧) في مجمع الزوائد ج٩ صحّح كثيراً من طرقه برواية أحمد والطبراني وغيرهما.

١٥ ـ إبن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢) قال في فتح الباري ٧: ٦٠ وكثير من أسانيدها صحاح وحسان.

١٦ ـ أبو العباس القسطلاني (ت ٩٢٣) قال بعد ذكر كثرة طرقه: «وكثير من أسانيدها صحاح وحسان»[٥٩].

١٧ ـ ابن حجر الهيثمي (ت ٩٧٣) في الصواعق المحرّقة ١: ١٠٦ وقال: حديث صحيح لا مرية فيه.

١٨ ـ ملا علي القاري (ت ١٠١٤) قال في المرقاة شرح المشكاة ٥: ٥٦٨ هذا حديث صحيح لا مرية فيه.

١٩ ـ المناوي (ت ١٠٣١) في فيض القدير ٦: ٢١٨ نقل تصحيح الهيثمي وارتضاه.

٢٠ ـ الحلبي (ت ١٠٤٤) في السيرة الحلبية ٣: ٢٧٤ قال: هذا حديث صحيح ورد بأسانيد صحاح وحسان، ولا التفات لمن قدح في صحّته كأبي داود وأبي حاتم الرازي، وقول بعضهم إنّ زيادة: «ألّلهم وال من والاه » الى آخره موضوعة مردود ، فقد ورد ذلك من طرق صحّح الذهبي كثيراً منها ».

٢١ ـ الشيخ أحمد بن باكثير المكي (ت ١٠٤٧) قال: «وهذا حديث صحيح لا مرية فيه ولا شك ينافيه، وروي عن الجمّ الغفير من الصحابة، وشاع واشتهر،

وناهيك بمجمع حجة الوداع»[٦٠].

٢٢ ـ أبو عبدالله الزرقاني المالكي (ت ١١٢٢) في شرح المواهب صحح طريق الطبراني[٦١].

٢٣ ـ البدخشاني (ت ١١٢٦) في مفتاح النجاة قال: حديث صحيح مشهور (عنه العبقات، حديث الغدير ١: ٥٠).

٢٤ ـ الأمير الصنعاني (ت ١١٨٢) في التنوير شرح الجامع الصغير ١٠: ٣٨٧ نقل تصحيح الهيثمي وارتضاه.

٢٥ ـ الألباني (ت ١٤٢٠) في سلسلة الأحاديث الصحيحة ٤: ٣٣٠ رقم١٧٥٠ حيث صحّح كثيراً من طرقه برواية أحمد والنسائي والطبراني وغيرهم، ثم قال: «كان الدافع لتحرير الكلام على الحديث، وبيان صحّته أنّني رأيت شيخ الإسلام ابن تيمية قد ضعّف الشطر الأوّل من الحديث، وأما الشطر الآخر فزعم أنّه كذب، وهذا من مبالغاته الناتجة في تقديري من تسرّعة في تضعيف الأحاديث قبل أن يجمع طرقها ويدقّق النظر فيها ».

إذا عرفت هذا فلا عبرة لما قاله ابن حزم (ت ٤٥٦): «أمّا (من كنت مولاه فعليّ مولاه) فلا يصحّ من طريق الثقات أصلاً»[٦٢]، وكذلك لا عبرة بتضعيف ابن تيمية ومن حذا حذوه بتصريح إمام السلفية في الجرح والتعديل العلاّمة الألباني.

٥ ـ طرق الحديث ورواته:

يشهد كثرة طرق حديث الغدير ورواته على صحّته، وسيأتي بيانه.

٦ ـ المناشدة بالحديث:

يشهد لصحّته مناشدة أمير المؤمنين عليه السلام واحتجاجه بالحديث، واعتراف الجم الغفير من الصحابة بذلك .



٧ ـ الشعراء:

يستدلّ لإثبات صحّته أيضاً بما نظمه الشعراء من القرن الأوّل إلى يومنا هذا .

٨ ـ الكتب المؤلّفة:

يشهد لصحّته أيضاً ما ألّفه كبار الحفّاظ والمحدّثين أمثال الطبري، ابن عقدة والذهبي في خصوص حديث الغدير.

بهذه الأدلّة الثمانية نثبت صحّة صدور حديث الغدير وتواتره أيضاً، ولا مجال للطعن فيه إلاّ لمن أراد أن يكابر وينكر الواضحات والمسلّمات.

طرق حديث الغدير:

يُعرف حديث الغدير بكثرة طرقه ورواته في كلّ طبقة، ممّا يدلّل على شأنه العظيم واهتمام الحفّاظ والمحدّثين بروايته وجمع طرقه.

فقد روى ابن المغازلي (ت ٤٨٣) عن أبي القاسم الفضل بن محمد بن عبدالله الأصفهاني أنّه قال: «قد روى حديث غدير خم عن رسول الله صلى الله عليه وآله نحو من مائة نفس منهم العشرة، وهو حديث ثابت لا أعرف له علّة، تفرّد علي عليه السلام بهذه الفضيلة ليس يشركه فيها أحد»[٦٣].

قال ابن شهر آشوب (ت ٥٨٨) في المناقب: «العلماء مطبقون على قبول هذا الخبر، وإنّما وقع الخلاف في تأويله، ذكره: محمد بن إسحاق، وأحمد البلاذري، ومسلم بن الحجاج، وأبو نعيم الأصفهاني، وأبو الحسن الدار قطني، وأبو بكر بن مردويه، وابن شاهين، وأبو بكر الباقلاني، وأبو المعالي الجويني، وأبو إسحاق الثعلبي، وأبو سعد الخركوشي، وأبو المظفر السمعاني، وأبو بكر بن شيبة، وعلي بن

الجعد، وشعبة، والأعمش، وابن عياش، وابن الثلاج، والشعبي، والزهري، والأقليشي، وابن البيع، وابن ماجة، وابن عبد ربه، والألكاني، وأبو يعلى الموصلي من عدّة طرق، وأحمد بن حنبل من أربعين طريقاً، وابن بطة من ثلاث وعشرين طريقاً، وابن جرير الطبري من نيف وسبعين طريقاً في كتاب الولاية، وأبو العباس ابن عقدة من مائة وخمس طرق، وأبو بكر الجعابي من مائة وخمس وعشرين طريقاً.

وقد صنّف علي بن هلال المهلبي كتاب الغدير، وأحمد بن محمد بن سعد كتاب من روى غدير خم، ومسعود الشجري كتاباً فيه رواة هذا الخبر وطرقهم، واستخرج منصور اللاني الرازي في كتابه أسماء رواتها على حروف المعجم.

وذكر عن الصاحب الكافي أنّه قال: روى لنا قصّة غدير خم القاضي أبو بكر الجعابي عن أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعليّ، وطلحة، والزبير، والحسن والحسين، وعبدالله بن جعفر، وعباس بن عبد المطلب، وعبد الله بن عباس، وأبوذر، وسلمان وعبد الله بن عمر، وعبد الرحمن، وأبو قتادة، وزيد بن أرقم، وجرير بن حميد، وعدي بن حاتم، وعبد الله بن أنيس، والبراء بن عازب، وأبو أيوب، وأبو برزة الأسلمي، وسهل بن حنيف، وسمرة بن جندب، وأبو الهيثم، وعبد الله بن ثابت الأنصاري، وسلمة بن الأكوع، والخدري، وعقبة بن عامر، وأبو رافع، وكعب بن عجرة، وحذيفة بن اليمان، وأبو مسعود البدري، وحذيفة بن أسيد، وزيد بن ثابت، وسعد بن عبادة، وخزيمة بن ثابت، وحباب بن عتبة، وجندب بن سفيان، وعمر بن أبي سلمة، وقيس بن سعد، وعبادة بن الصامت، وأبو زينب، وأبو ليلى، وعبد الله بن ربيعة، وأُسامة بن زيد، وسعد بن جنادة، وخباب بن سمرة، ويعلى بن مرة، وابن قدامة الأنصاري، وناجية بن عميرة، وأبو كاهل، وخالد بن الوليد، وحسان بن ثابت، والنعمان بن عجلان، وأبو رفاعة، وعمرو بن الحمق، وعبد الله بن يعمر، ومالك بن الحويرث، وأبو الحمراء، وضمرة بن الحبيب، ووحشي بن حرب، وعروة



بن أبي الجعد، وعامر بن النميري، وبشير بن عبد المنذر، ورفاعة بن عبد المنذر، وثابت بن وديعة، وعمرو بن حريث، وقيس بن عاصم، وعبد الأعلى بن عدي، وعثمان بن حنيف، وأُبيّ بن كعب.

ومن النساء: فاطمة الزهراء عليها السلام، وعائشة، وأُم سلمة، وأُم هاني، وفاطمة بنت حمزة، ...وذكره عمر بن أبي ربيعة في مفاخرته، وذكره حسان في شعره.

وفي رواية عن الباقر عليه السلام قال: لما قال النبي صلى الله عليه وآله يوم الغدير بين ألف وثلاثمائة رجل: (من كنت مولاه فعليّ مولاه) الخبر. الصادق: نعطي حقوق الناس بشهادة شاهدين، وما أُعطي أمير المؤمنين حقّه بشهادة عشرة آلاف نفس، يعني الغدير»(٦٤).

ونقل ابن جبر (ق ٧) عن ابن شهر آشوب أيضاً قوله: «سمعت أبا علي العطار الهمداني يقول: أروي هذا الحديث على مائتي وخمسين طريقاً، قال: وقال جدّي شهر آشوب: سمعت أبا المعالي الجويني يتعجّب ويقول: شاهدت مجلّداً ببغداد في يد صحّاف فيه روايات هذا الخبر مكتوباً عليه: المجلّدة الثامنة والعشرون من طرق قوله: (من كنت مولاه فعلي مولاه) ويتلوه المجلّدة التاسعة والعشرون»(٦٥).

وقال السيد ابن طاوس (ت ٦٦٤) في الإقبال: «فمن ذلك ما صنّفه أبو سعد مسعود من ناصر السجستاني المخالف لأهل البيت في عقيدته، المتفق عند أهل المعرفة به على صحّة ما يرويه لأهل البيت وأمانته، صنّف كتاباً سمّاه كتاب الدراية في حديث الولاية، وهو سبعة عشر جزءاً، روى فيه حديث نص النبي صلى الله عليه وآله بتلك المناقب والمراتب على مولانا علي بن أبي طالب عليه السلام عن مائة وعشرين نفساً من الصحابة .. ومن ذلك ما رواه أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله الحسكاني في كتاب سمّاه كتاب دعاء الهداة إلى أداء حق الموالاة...»(٦٦).

وقد أضاف في الطرائف: «وممّن صنّف تفصيل ما حقّقناه أبو العبّاس أحمد بن محمّد بن سعيد الهمداني الحافظ المعروف بابن عقدة وهو ثقة عند أرباب

المذاهب، وجعل ذلك كتاباً محرّراً سمّاه «حديث الولاية» وذكر الأخبار عن النبي صلى الله عليه وآله بذلك، وأسماء الرواة من الصحابة، والكتاب عندي وعليه خط الشيخ العالم الربّاني أبي جعفر الطوسي وجماعة من شيوخ الإسلام لا يخفى صحّة ما تضمّنه على أهل الأفهام، وقد أثنى على ابن عقدة الخطيب صاحب تاريخ بغداد وزكّاه.

وهذه أسماء من روي عنهم حديث يوم الغدير ونصّ النبي على عليّ عليه الصلاة والسلام والتحية والإكرام بالخلافة، وإظهار ذلك عند الكافّة، ومنهم من هنّأه بذلك:

أبو بكر عبدالله بن عثمان، عمر بن الخطّاب، عثمان بن عفّان، علي بن أبي طالب عليه السلام، طلحة بن عبيدالله، الزبير بن العوام، عبد الرحمان بن عوف، سعيد بن مالك، العبّاس بن عبد المطّلب، الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام، الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام، عبدالله بن عبّاس، عبدالله بن جعفر بن أبي طالب، عبدالله بن مسعود، عمّار بن ياسر، أبو ذر جندب بن جنادة الغفاري، سلمان الفارسي، أسعد بن زرارة الأنصاري، خزيمة بن ثابت الأنصاري، أبو أيوب خالد بن زيد الأنصاري، سهل بن حنيف الأنصاري، حذيفة بن اليمان، عبدالله بن عمر بن الخطّاب، البراء بن عمر بن عازب الأنصاري، رفاعة بن رافع، سمرة بن جندب، سلمة بن الأكوع الأسلمي، زيد بن ثابت الأنصاري، أبو ليلى الأنصاري، أبو قدامة الأنصاري، سهل بن سعد الأنصاري.

عدي بن حاتم الطائي، ثابت بن زيد بن وديعة، كعب بن عجرة الأنصاري، أبو الهيثم بن التيهان الأنصاري، هاشم بن عتبة بن أبي وقّاص الزهري، المقداد بن عمرو الكندي، عمر بن أبي سلمة، عبدالله بن أبي عبدالأسد المخزومي، عمران بن حصين الخزاعي، ويزيد بن الخصيب الأسلمي، جبلة بن عمرو الأنصاري، أبو هريرة الدوسي، أبو برزة نضلة بن عتبة الأسلمي، أبو سعيد الخدري، جابر بن



عبدالله الأنصاري، حريز بن عبدالله، زيد بن عبدالله، زيد بن أرقم الأنصاري، أبو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وآله، أبو عمرة بن عمرو بن محصن الأنصاري، أنس بن مالك الأنصاري، ناجية بن عمرو الخزاعي، أبو زينب بن عوف الأنصاري، يعلى بن مرّة الثقفي.

سعيد بن سعد بن عبدالله الأنصاري، حذيفة بن أسيد، أبو شريحة الغفاري، عمرو بن الحمق الخزاعي، زيد بن حارثة الأنصاري، ثابت بن وديعة الأنصاري، مالك بن حويرث أبو سليمان، جابر بن سمرة السواني، عبدالله بن ثابت الأنصاري، جيش بن جنادة السلولي، ضميرة الأسدي، عبدالله بن عازب الأنصاري، عبدالله بن أبي أوفى الأسلمي، يزيد بن شراحيل الأنصاري، عبدالله بن بشير المازني، النعمان بن العجلان الأنصاري، عبد الرحمان بن يعمر الديلمي، أبو حمزة خادم رسول الله صلى الله عليه وآله، أبو الفضالة الأنصاري، عطية بن بشير المازني، عامر بن ليلى الغفاري، أبو الطفيل عامر بن وائلة الكناني، عبد الرحمان بن عبد رب الأنصاري، حسّان بن ثابت الأنصاري، سعد بن جنادة العوفي .

عامر بن عمير النميري، عبدالله بن ياميل، حبة بن جوين العرني، عقبة بن عامر الجهني، أبو ذؤيب الشاعر، أبو شريح الخزاعي، ابو جحيفة وهب بن عبدالله النسوي، أبو امامة الصدي بن عجلان الباهلي، عامر بن ليلى بن جندب بن سفيان الغفلي البجلي، أسامة بن زيد بن حارثة الكلبي، وحشي بن حرب، قيس بن ثابت بن شماس الأنصاري، عبد الرحمان بن مديح، حبيب بن بديل بن ورقاء الخزاعي، فاطمة عليها السلام بنت رسول الله صلى الله عليه وآله، عائشة بنت أبي بكر، أم سلمة أم المؤمنين، أم هاني بنت أبي طالب، فاطمة بنت حمزة بن عبد المطّلب، أسماء بنت عميس الخثعميّة.

ثمّ ذكر ابن عقدة ثمانية وعشرين رجلا من الصحابة لم يذكرهم ولم يذكر أسماءهم أيضاً ...

وقد روى الحديث في ذلك محمد بن جرير الطبري صاحب التاريخ من خمس وسبعين طريقاً، وأفرد له كتاباً سمّاه «حديث الولاية »، ورواه أيضاً أبو عباس أحمد بن محمد بن سعيد المعروف بابن عقدة بخبر يوم الغدير من مائة وخمس طرق وأفرد له كتاباً سمّاه «حديث الولاية »، وتقدّم تسمية من روى عنهم، وذكر محمد بن الحسن الطوسي في كتاب الاقتصاد وغيره أن قد روى خبر الغدير غير المذكورين من مائة وخمس وعشرين طريقاً، ورواه أيضاً أحمد بن حنبل في مسنده أكثر من خمسة عشر طريقاً، ورواه الفقيه ابن المغازلي الشافعي في كتابه أكثر من اثني عشر طريقاً»(٦٧).

وقال السيد جمال الدين أحمد بن موسى بن طاوس (ت٦٧٣) في بناء المقالة الفاطمية في نقض الرسالة العثمانية: «ورواه ابن مردويه من طرق كثيرة جداً وهو ممّن لا يتهم على نفسه، وأهل نحلته هو أحد الحفّاظ، فمّما روى فيه عن عمر الإقرار له بأنه مولاه، فربما كانت رواية ابن مردويه خمس كراريس زائداً فناقصاً.

ورويت في بعض أسفاري يقول من رويت عنه: عمي روى عنه، نقل شيخ المحدّثين وأحد أئمة المسلمين أحمد بن حنبل من ست طرق، ومن الجمع بين الصحاح الستة لرزين العبدري إمام الحرمين من صحيح أبي داود السجستاني وهو كتاب السنن، ومن صحيح الترمذي عن أبي سريحة وزيد بن أرقم، ونقله الدار قطني في جامعه عن عمر بن الخطاب من طريقين.

وعن ابن عباس من طريق آخر، وعن عدي بن ثابت من طريق واحد .

وساقه الإمام الحافظ النسائي في كتابه «خصائص أمير المؤمنين » عليه السلام من تسع طرق، عن زيد بن يثيع من طريقين، وعن زيد بن أرقم من طريقين، وعن البراء بن عازب من طريق واحد، وعن ابن حصين من طريق عبد الله بن عمر.

وساقه أبو جعفر محمد بن جرير الطبري صاحب «التفسير » و« التاريخ الكبير » من خمسة وسبعين طريقاً.



ورواه أبو بكر الجويني من مائة وخمسة وعشرين طريقاً.

ابن عبدة رواه من مائة وخمس طرق.

الحافظ أبو بكر بن مردويه يرويه عن مائة نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله منهم نساء خمس.

الحافظ أبو العلاء الهمداني يقول: أنا أرويه عن مائتين وثلاثين طريقاً، ونقله مسلم بن الحجاج ومسلم بن الهيثم النيسابوري.

ورواه أبو نعيم الحافظ في كتابه حلية الأولياء.

نقله الفقيه العدل، أبو الحسن علي بن خمارويه الشافعي الواسطي من اثنين وسبعين طريقاً، منهم نساء ست، منهم: (فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وعائشة بنت أبي بكر (الصديق)، وفاطمة بنت حمزة بن عبد المطلب، وأُم سلمة زوجة النبي صلى الله عليه وآله، وأُم هاني بنت أبي طالب، وأسماء بنت عميس الخثعمية.

ورواه أبو العباس أحمد بن عقدة من مائة طريق.

قال الفقيه برهان الدين حجة الإسلام أبو جعفر محمد بن علي الحمداني القزويني: سمعت بعض أصحاب أبي حنيفة يقول: شاهدت بالكوفة شاباً بيده مجلّدة يذكر فيها روايات هذا الكتاب مكتوب عليه «المجلّدة الثامنة والعشرون» من طريق خبر قوله عليه السلام: «من كنت مولاه فعلي مولاه» ويتلوه في المجلّدة التاسعة: أخبرني»(٦٨).

قال الذهبي (ت ٧٤٨) في سير أعلام النبلاء في ترجمة الطبري: «وجمع طرق حديث غدير خم في أربعة أجزاء، رأيت شطره فبهرني سعة رواياته وجزمت بوقوع ذلك»(٦٩).

وقال ابن حجر (ت ٨٥٢) في فتح الباري: «أما حديث من كنت مولاه فعلي مولاه، فقد أخرجه الترمذي والنسائي، وهو كثير الطرق جداً، وقد استوعبها ابن عقدة في كتاب مفرد، وكثير من أسانيدها صحاح وحسان»(٧٠).

وقال الهيثمي (ت٩٧٣) في الصواعق: «وقد أخرجه جماعة كالترمذي والنسائي وأحمد وطرقه كثيرة جداً، ومن ثم رواه ستة عشر صحابياً، وفي رواية أحمد أنّه سمعه من النبي صلى الله عليه وآله ثلاثون صحابياً، وشهدوا به لعلي عليه السلام لما نوزع أيّام خلافته، وكثير من أسانيدها صحاح وحسان، ولا التفات لمن قدح في صحته...»[٧١]، وتبعه الحلبي (ت ١٠٤٤) في السيرة الحلبية أيضاً.

وقال العجلوني (ت١١٦٢) في كشف الخفاء: «رواه الطبراني وأحمد والضياء في المختارة عن زيد بن أرقم وعلي وثلاثين من الصحابة...»[٧٢].

فضلاً عمّن صرّح بتواتر حديث الغدير من أعلام السنّة، المنبئ بكثرة طرقه ورواته، وفيهم من يصرّح بذلك.

إذا عرفت هذا فأيّ مجال يبقي للاصغاء الى كلام ابن حزم (ت ٤٥٦) القائل: «أما من كنت مولاه فعليّ مولاه، فلا يصحّ من طريق الثقات أصلا »[٧٣].

أو كلام الجويني (ت ٤٧٨) في غياث الأُمم: «هذا اللفظ وما عداه وسواه نقله معدودون من الرواة وهم عرضة الزلل والخطل والهفوات »[٧٤] .

وإن تعجب فاعجب من الزيلعي (ت ٧٦٢) إذ قال في نصب الراية: «كم من حديث كثرت رواته، وتعدّدت طرقه، وهو حديث ضعيف كحديث الطير وحديث الحاجم والمحجوم وحديث من كنت مولاه فعلي مولاه، بل قد لا يزيد الحديث كثرة الطرق إلاّ ضعفاً »[٧٥].

فإذا كانت القضايا تعالج هكذا، فأيّ قيمة تبقى للسنة، وأيّ فائدة في جمع طرق الأحاديث في الصحاح والمسانيد ومحاولة تمحيصها وذكر الشواهد والمتابعات لها بغية تصحيح قدر أكبر من السنة النبويّة، فهنيئاً لأهل السنة ـ المتحمّسين في الدفاع عن السنة ـ هكذا تصريحات.

وأعجب منه في الغباء «السالوس» حين أتحفنا بعد ما أتعب نفسه وأجهد



فكره في البحث والتنقيب، فقال في كتابه أثر الإمامة: «إنّ كتاب الولاية إمّا أنّه أُلّف ونُسب الى الطبري زوراً وانتصاراً للمذهب، وإمّا أنّ الطبري جمع ما وجده عن الولاية بغير نظر إلى مصادر الروايات، وفي كلتا الحالتين لا وزن له ولا يبيّن رأي الطبري»[٧٦].

وهذا كلام لا يعبأ به بعد ما عرفت من أئمة القوم من الحفّاظ والمحدّثين أنّ كثيراً من طرقه تشتمل على روايات صحاح وحسان، حتّى أنّ الحافظ ابن كثير (ت٧٧٤) مع تعصّبه وعناده أشار الى وجود روايات صحيحة في كتاب الطبري بجنب الروايات الضعيفة، فقال: «واعتنى بأمر هذا الحديث أبو جعفر محمد بن جرير الطبري صاحب التفسير والتاريخ، فجمع فيه مجلّدين أورد فيهما طرقه وألفاظه، وساق الغثّ والسمين والصحيح والسقيم»[٧٧].



تواتر حديث الغدير:

حديث الغدير من الأحاديث المتواترة وقد ثبت بإجماع المسلمين، وأصبح في الضرورة والوضوح كسائر الأخبار الواضحة التي لا تحتاج الى إسناد ومؤونة لإثباتها كغزوات الرسول صلى الله عليه وآله المشهورة، وسائر الواجبات والمحرمات .

والحديث المتواتر هو الحديث الذي يرويه كثير من الرواة بحيث يستحيل معه احتمال التواطؤ على الكذب، قال ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢): «ومن أحسن ما يقرّر به كون المتواتر موجوداً وجود كثرة في الأحاديث، أنّ الكتب المشهورة المتداولة بأيدي أهل العلم شرقاً وغرباً المقطوع عندهم بصحّة نسبتها الى مصنّفيها، اذا اجتمعت على إخراج حديث، وتعدّدت طرقه تعدّداً تحيل العادة تواطؤهم على الكذب، أفاد العلم اليقيني بصحّة نسبته الى قائله»[٧٨].

وهذا ما ينطبق تماماً على حديث الغدير لكثرة طرقه ورواته والكتب المؤلّفة حوله.

وهذا الحديث عند الشيعة متواتر مقطوع على صدوره وقد أطبقت كتب الإمامية في التصريح بذلك، قال السيد المرتضى (ت ٤٣٦): «وبعد فالشيعة الإمامية تتواتر خلفاً عن سلف بهذا الخبر، وأكثر رواة أصحاب الحديث يرويه بالأسانيد المتصلة، وجميع أصحاب السير نقلوه، ومصنّفو صحيح الأحاديث ذكروه، فقد شارك هذا الحديث الأخبار الظاهرة واستبدّ بما ليس لها، لأنّ الأخبار على ضربين: فضرب لا يعتبر في نقله بالأسانيد المتصلة كالأخبار عن البلدان والحوادث العظام، والضرب الآخر يعتبر فيه اتصال الأسانيد، وخبر الغدير قد حصل فيه الوجهان، وكمل له الطريقان، وأيضاً فإنّ علماء الأُمة مطبقون على قبوله، وإنّما اختلفوا في تأويله»(٧٩).

وقال الشيخ الطوسي (ت ٤٦٠): «الذي يدلّ على صحّة الخبر ما تواترت به الشيعة عن النبي صلى الله عليه وآله وقد رواه أيضاً من مخالفيهم من إن لم يزيدوا على حدّ التواتر لم ينقصوا عنه، لأنّه ليس في الشرع خبر اتفق أهل النقل على أنّه متواتر به نقل كنقل هذا الخبر.. فإن لم يكن مع ذلك متواتراً، فليس ها هنا خبر متواتر به»(٨٠).

قال ابن البطريق (ت ٦٠٠) بعد ما أشار الى طرق الطبري وابن عقدة: «وهذا قد تجاوز حدّ التواتر فلا يوجد خبر قط نقل من طرق بقدر هذه الطرق، فيجب أن يكون أصلاً متبعاً وطريقاً مهيعاً»(٨١).

قال ابن جبر (ق ٧): «وروي أنّ يوم الغدير لعلي بن أبي طالب عليه السلام ستون ألف شاهد، وقيل ستة وثمانون ألف شاهد، ومعلوم أنّ اولئك من الأماكن المتفرقة والأمصار المتباعدة، كل شهد ذلك المحفل العظيم من رسول الله صلى الله عليه وآله واذا بلغ الخبر دون هذا المبلغ خرج عن حكم أخبار الآحاد، وانتظم في سلك المتواترات، ووجب العمل عليه والانقياد له، والجاحد له كالجاحد للبلدان والوقائع المشهورة التي لا يرتاب فيها أحد من العقلاء»(٨٢).



هذا عندنا، أما عند علماء السنة فقد صرّح بتواتره كثير من الأعلام، نوردهم فيما يأتي:

١ ـ الإسكافي (ت ٢٢٠) في المعيار والموازنة قال: «حديث الغدير المتواتر بين المسلمين»[٨٣].

٢ ـ شمس الدين الذهبي (ت ٧٤٨) قال بعد رواية الحديث: «هذا حديث حسن عال جداً، ومتنه فمتواتر»[٨٤]، وقال ابن كثير (ت ٧٧٤) نقلاً عن الذهبي: «قال: وصدر الحديث متواتر أتيقّن أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قاله، وأما: «أللّهم وال من والاه » فزيادة قوية الإسناد»[٨٥].

٣ ـ الحافظ ابن كثير (ت ٧٧٤) نقل تواتر الحديث عن شيخه الذهبي وارتضاه إذ لم يعلّق عليه بشيء.

٤ ـ الحافظ ابن الجزري (ت ٨٣٣) قال في أسنى المطالب: «هذا الحديث حسن [أي حديث المناشدة برواية ابن أبي ليلى]، من هذا الوجه، صحيح من وجوه كثيرة، تواتر عن أمير المؤمنين علي عليه السلام وهو متواتر أيضاً عن النبي صلى الله عليه وآله رواه الجم الغفير عن الجم الغفيرة، ولا عبرة بمن حاول تضعيفه ممّن لا اطلاع له في هذا العلم»[٨٦].

٥ ـ جلال الدين السيوطي (ت ٩١١) أورده في الأزهار المتناثرة في الأخبار المتواترة.

٦ ـ المتقي الهندي (ت ٩٧٥) لخّص فيه كتاب الأزهار للسيوطي وسمّاه «قطف الأزهار » وأورد فيه حديث الغدير.

٧ ـ جمال الدين عبد الرحمن الشيرازي النيشابوري (ت ١٠٠٠) أورده في كتاب الأربعين وصرّح بتواتره[٨٧].

٨ ـ ملا علي القاري (ت ١٠١٤) نقل تواتره عن بعض الحفّاظ، وصرّح هو بصحته[٨٨].

٩ ـ المناوي (ت ١٠٣١) في فيض القدير نقل التواتر عن السيوطي وارتضاه[٨٩].

١٠ ـ ضياء الدين المقبلي (ت ١١٠٨) قال: «فمجموعها يفيد التواتر المعنوي وشواهدها لا تحصر ... فإن كان مثل هذا معلوماً و الاّ فما في الدنيا معلوم»[٩٠].

١١ ـ السيد ابن حمزة الحراني (ت. ١١٢) نقل في كتابه البيان والتعريف تواتر السيوطي[٩١].

١٢ ـ أبو عبد الله الزرقاني (ت ١١٢٢) ذكر تواتره في شرح المواهب[٩٢].

١٣ ـ العجلوني (ت ١١٦٢) قال بعد ذكر روايته عن الطبراني وأحمد وغيرهما: فالحديث متواتر أو مشهور[٩٣].

١٤ مفتي الشام العمادي الحنفي الدمشقي (ت ١١٧١) عدّه في الصلاة الفاخرة من الأحاديث المتواترة[٩٤].

١٥ ـ محمد بن اسماعيل اليماني (ت ١١٨٢) قال في الروضة الندية: «وحديث الغدير متواتر عند أكثر أئمة الحديث»[٩٥].

١٦ ـ محمود الآلوسي (ت ١٢٧٠) نقل تواتر الذهبي وارتضاه[٩٦].

١٧ ـ الألباني (ت ١٤٢٠) قال: «إنّ حديث الترجمة حديث صحيح بشطريه، بل الأوّل منه متواتر عنه كما يظهر لمن تتبع أسانيده وطرقه»[٩٧].

١٨ ـ شهاب الدين الغماري، قال: فتواتر عن النبي ﷺ من رواية ستين شخصاً[٩٨].

١٩ ـ عبد الله العموري في كتابه: المقالات السنية في كشف ضلالات أحمد بن تيمية، ردّ على ابن تيمية وأثبت تواتر الحديث[٩٩].

إذا عرفت هذا فاعلم أنّ جمعاً من متكلّمي أهل السنة لمّا ضاق بهم الخناق في إنكار أصل حديث الغدير، تمسّكوا بنفي تواتره وجعلوه من أخبار الآحاد، محتجين بأنّ أمثال البخاري ومسلم لم يروياه، وكذلك قد قدح فيه أمثال ابن أبي داود السجستاني وأبي حاتم الرازي وابن حزم وغيرهم .

قال التفنازاني (ت ٧٩٣): «والجواب منع تواتر الخبر، فإنّ ذلك من مكابرات الشيعة، كيف وقد قدح في صحته كثير من أهل الحديث، ولم ينقله المحقّقون منهم كالبخاري ومسلم والواقدي... »[١٠٠].

وقال الجويني (ت ٤٧٨): «قلنا: هذا من أخبار الآحاد ثم هو منكر للاحتمالات»[١٠١]، وكذلك قال الفخر الرازي (ت ٦٠٦) في الأربعين: «إنّه خبر واحد»[١٠٢]، وكذلك الآمدي (ت ٦٣١)[١٠٣]، والقوشجي (ت ٨٧٩)[١٠٤]، وغيرهم، وقد تجاوز ابن حجر الهيتمي (ت ٩٧٣) الحدّ وزعم تناقض الشيعة في استدلالها بحديث الغدير حيث قال: «إنّ فرق الشيعة اتفقوا على اعتبار التواتر فيما يستدلّ به على الإمامة، وقد علم نفيه لما مرّ من الخلاف في صحّة هذا الحديث، بل الطاعنون في صحّته جماعة من أئمة الحديث وعدوله المرجوع اليهم فيه ...فهذا الحديث مع كونه آحاداً مختلف في صحّته، فكيف ساغ لهم أن يخالفوا ما اتفقوا عليه من اشتراط التواتر في أحاديث الإمامة، ويحتجّون بذلك، ما هذا الاّ تناقض قبيح»[١٠٥] .

ونقول في الجواب: قد ذكرنا في سند الحديث الإجابة على هذه الشبهات، ونضيف هنا:

أوّلاً: كفانا تصريح كثير من علماء أهل السنة ومحدّثيهم الذين هم مدار العلم والعمل في هكذا موارد، دون المتكلّمين الذين يغلب عليهم الجدل وإنكار الواضحات للتغلّب في المناظرات، فهؤلاء صرّحوا بتواتر الحديث وكثرة طرقه ورواته كما مرّ، وقد علّق الشيخ الطوسي (ت ٤٦٠) قائلاً: «وليس في شيء من أخبار الشريعة ما نقل هذا النقل، فإن لم يكن هذا متواتراً فليس ها هنا خبر متواتر»[١٠٦].

ثانياً: لم يذكر العلماء في شروط تواتر الخبر كونه خالياً من القدح، وأن يكون متواتراً عند جميع الناس كافة بحيث لا يشذّ عنه أحد، كيف وقد حكموا

بتواتر كثير من الأخبار لروايته من قبل رواة لا يتجاوزون أصابع اليد، فهذا ابن حزم يثبت تواتر منع بيع الماء عن أربعة من الصحابة ويقول: «فهؤلاء أربعة من الصحابة، فهو نقل تواتر لا تحلّ مخالفته»[١٠٧].

ثالثاً: لقد تواترت الأُمّة الإسلامية على كون المعوذتين من القرآن، وقد قدح في هذا التواتر ابن مسعود حيث ذهب الى عدم كونهما من القرآن، ولم يجعل العلماء قدحه هذا محلاً بالتواتر.

ولقد ألقى الفخر الرازي (ت ٦٠٦) شبهة أُخرى وزعم تواتر فضائل الشيخين ليلقي التنافي والتساقط، فقال في نهاية العقول: «أمّا دعواكم تواتر هذا الخبر فمخالفوكم أيضاً يدّعون تواتر الأخبار الدالّة على فضائل الشيخين ...» فردّه ابن ميثم (ت ٦٩٩) قائلاً: «أمّا ما كان من تلك الأخبار مستلزم صحّة إمامتهما، أو قادحاً فيما علمناه بالضرورة في حق علي عليه السلام فنحن نجزم بعدم صحّته لاستحالة أن يتكلّم النبي صلى الله عليه وآله بكلامين متنافيين، وما لم يكن كذلك من الأخبار الدالّة على فضيلة لهما من خارج، فنحن لا نمنع أن يقول النبي صلى الله عليه وآله في حق أحد كلاماً يستميل به قلبه، فتتأكّد فيه محبة الإيمان ورسوخه، بعد ثبوت صحّة ذلك النقل على وجهه»[١٠٨].

ثم قدح الرازي في تواتر الشيعة حيث قال: «تعويلكم على رواية الشيعة إمّا لأجل كثرتهم أو لأجل إجماعهم، والأول باطل لأنّهم ما بلغوا في الزمن الأوّل حدّ التواتر » فردّه ابن ميثم قائلاً: «إنّ مثل هذا الخبر لا يختصّ بنقله الشيعة فقط حتى لا تكون كثرتهم تفيد العلم، سلّمنا أنّ الشيعة هم الناقلون فقط، لكن لم قلتم أنّهم لم يبلغوا في الكثرة الى حدّ التواتر ؟ وظاهر أنّهم لم يزالوا بالغين الى حدّ التواتر، سلّمنا لكنّ العلم التواتري لا يتوقّف على الكثرة، فإنّ المخبر الواحد مع انضمام القرائن اليه قد يفيد خبره العلم، فليس من شرط التواتر تحقّق الكثرة دائماً»[١٠٩].

وأخيراً فقد شدّد علماء أهل السنة النكير على من ردّ حديثاً، نقل عن أحمد بن حنبل أنّه قال: «من ردّ حديث رسول الله ﷺ فهو على شفا هلكة»[١١٠]، وعنه أيضاً قال: «بلغ ابن أبي ذئب أنّ مالكاً لا يأخذ بحديث «البيّعان بالخيار» فقال: يستتاب فإن تاب وإلاّ ضربت عنقه، قال أحمد: ومالك لم يردّ الحديث لكن تأوّله»[١١١].

فإذا كان حكم ردّ الآحاد هذا، فما هو حكم ردّ خبر الغدير المتواتر؟!

شهود الغدير:

كانت حجّة الوداع أوّل حجة حجّها رسول الله ﷺوآخرها، وقد أذّن بالناس قبل ذلك وحثّهم على الخروج ليعلّمهم مناسك الحج، فامتثل لذلك المسلمون وخرجوا لينالوا هذا الشرف العظيم، ويتعلّموا مناسك حجّهم .

وقد اختلفت الروايات في عدد من خرج مع رسول الله ﷺ من المدينة، ومن التحق به في أثناء الطريق، وبتبعه من شهد بعد حجّة الوداع غدير خم، ولا مبرّر لهذا الخلاف الشاسع سوى عدم وجود آليات العدّ والفرز آنذاك، بل كل راو ذكر العدد الذي خمّنه، أو رآه في فترات مختلفة، مثلاً كان العدد عند الخروج من المدينة أقلّ منه عندما كان في منتصف الطريق، وكذلك عندما وصل ﷺ إلى مكّة، وكذلك عندما حجّ وطاف، وكذلك عند رجوعه، فالأعداد تختلف اختلافاً كبيراً في هذه المراحل والحالات.

ويمكن تقسيم الروايات الواردة ضمن ثلاث طوائف:

الطائفة الأولى: التصريح بالكثرة:

روى الذهبي عن الإمام الصادق أنّه قال: أذّن رسول الله ﷺ بالحج فاجتمع في المدينة بشر كثير[١١٢].

وعن ابن حبان في ثقاته: ثمّ إنّ النبي صلى الله عليه وآله أراد أن يحجّ حجّة الوداع فأذّن في الناس أنّه خارج فقدم المدينة بشر كثير كلّهم يلتمس أن ياتمّ برسول الله صلى الله عليه وآله[١١٣].

وفي رواية عن الإمام الصادق عليه السلام: فعلم به من حضر المدينة وأهل العوالي والأعراب، فاجتمعوا فحج رسول الله صلى الله عليه وآله [١١٤].

وقال الفيروزآبادي: لمّا عزم صلى الله عليه وآله على الحج أعلم أصحابه بذلك فاستعدوا للسفر بأجمعهم، ووصل الخبر إلى القرى والضياع القريبة من المدينة، فتجهّز المسلمون بأجمعهم نحو المدينة، وفي حال المسير إلى مكّة تلاحق الناس من كلّ الأطراف حتى تجاوزوا الحصر والعد ...[١١٥].

وفي رواية جابر: خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله مهلّين بالحج معنا النساء والولدان ...[١١٦].

الطائفة الثانية: ذكر القبائل وبعض الأشخاص:

روى الآجري عن جابر قال: كنّا بالجحفة بغدير خم إذ خرج إلينا رسول الله صلى الله عليه وآله من خباء أو فسطاط، فقال بيده ثلاث مرات: هلم هلم هلم، وثَمّ ناس من خزاعة ومزينة وجهينة وأسلم وغفّار ...[١١٧].

وفي رواية جرير بن عبد الله: فبلغنا مكاناً يقال له غدير خم، فنادى الصلاة جامعة، فاجتمعنا المهاجرون والأنصار[١١٨].

وفي رواية حبة بن جوين: إنّ قوماً من الأنصار قالوا: سمعنا رسول الله صلى الله عليه وآله يقول يوم غدير خم: «من كنت مولاه ... » فيهم جبلة بن عمرو، وسهل بن حنيف، وعثمان بن حنيف في جماعة من الأنصار[١١٩].

وفي رواية حذيفة بن اليمان: كنت والله جالساً بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله وقد نزل بنا غدير خم، وقد غُصّ المجلس بالمهاجرين والأنصار[١٢٠].

وأخيراً لم يقتصر الحضور على المسلمين، بل شهد تلك الوقعة حتى بعض المشركين، فهذا مسلم بن كيسان الكوفي يروي عن حبة بن جوين حادثة الغدير، ويقول حبّة في آخره: وأنا يومئذ مشرك(١٢١) .

وقد أجاب علاء الدين مغلطاي عن إشكال ابن الأثير بأنّه لم يحجّ آنذاك مشرك، قائلاً: إن صحّ السند بذلك إليه، لا يمنع أن يكون حضر ذلك وهو غير متلبس بالحج إمّا في عهد أو ما أشبهه، أو يكون ماراً في الطريق فسمح ذلك فقطعه، والله أعلم(١٢٢) .

الطائفة الثالثة: ذكر العدد:

وهو مختلف تماماً بين القلّة القليلة، والكثرة الكثيرة، وإليك بعض ذلك :

١ ـ ١٣٠٠ شخصاً، ففي رواية عن الإمام الباقر عليه السلام: لمّا قال النبي صلى الله عليه وآله يوم غدير خم بين ألف وثلاثمائة رجل: من كنت مولاه فعليّ مولاه ...(١٢٣).

فهو إن صحّ يدلّ على الملتقّين حول المنبر آنذاك .

٢ ـ عشرة آلاف، روى العياشي عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: العجب يا أبا حفص لما لقي علي بن أبي طالب، إنّه كان له عشرة آلاف شاهد لم يقدر على أخذ حقّه، والرجل يأخذ حقّه بشاهدين، إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله خرج من المدينة حاجّاً ومعه خمسة آلاف، ورجع من مكّة وقد شيّعه خمسة آلاف من أهل مكة(١٢٤) .

٣ ـ سبعة عشر ألفاً، ففي جامع الأخبار: وقد شيّعه صلى الله عليه وآله من مكّة اثنا عشر ألف رجل من اليمن، وخمسة آلاف رجل من المدينة(١٢٥).

٤ ـ أربعون ألفاً، ذكر المقريزي في وصف خطبة النبي صلى الله عليه وآله بعرفة: فإنّه شهد الخطبة نحواً من أربعين ألفاً(١٢٦). وأشار إليه أيضاً الحلبي في سيرته بعنوان قيل(١٢٧).

٥ ـ ستون ألفاً، قال ابن جبر: وروي أنّ يوم الغدير لعلي بن أبي طالب عليه السلام

ستون ألف شاهد[١٢٨].

٦ ـ سبعون ألفاً، ففي الاحتجاج: وبلغ من حجّ مع رسول الله ﷺ من أهل المدينة وأهل الأطراف والأعراب سبعين ألف إنسان أو يزيدون على نحو عدد أصحاب موسى السبعين ألفاً الذين أخذ عليهم بيعة هارون فنكثوا واتبعوا السامريّ والعجل، وكذلك أخذ رسول الله ﷺ البيعة لعلي عليه السلام بالخلافة على نحو عدد أصحاب موسى عليه السلام السبعين ألفاً، فنكثوا البيعة[١٢٩] .

٧ ـ ستة وثمانون ألفاً، قال ابن جبر في ذكر شهود الغدير: وقيل ستة وثمانون ألف شاهد[١٣٠] .

٨ ـ تسعون ألفاً، أشار إليه الحلبي في سيرته بعنوان قيل، وكذلك ابن فهد المكي[١٣١] .

٩ ـ مائة ألف وأربعة عشر ألفاً، ذكره الحلبي في السيرة بعنوان قيل، وكذلك ابن فهد المكي[١٣٢] .

١٠ ـ مائة وعشرون ألفاً، ذكر هذا العدد كلّ من السبط ابن الجوزي في تذكرة الخواص، والحلبي في سيرته، وابن فهد المكي في اتحاف الورى[١٣٣] .

هذا وقد ذكر بعض المؤرّخين اعتماداً على رواية أمّ معقل أنّ الناس أصابهم جدري أو حصبة قبل الحج، فلم يتمكّن كثير منهم من الخروج مع النبي ﷺ، قال ابن حزم: ثم أمر ﷺ بالخروج، فأصاب الناس جدري أو حصبة منعت من شاء الله أن يمنع من الحج معه[١٣٤] .

وقال الحلبي: وعند خروجه ﷺ للحج أصاب الناس بالمدينة جُدري ـ بضمّ الجيم وفتح الدال، وبفتحها ـ أو حصبة منعت كثيراً من الناس من الحج ﷺ[١٣٥] .

وفي لفظ ابن فهد المكي: فأصابهم جدري أو حصبة منعت بعضهم من الحج مع النبي ﷺ [١٣٦] .

والمعتمد لدى هؤلاء ما روي عن أم معقل حيث قالت: لمّا تهيّأ رسول الله ﷺ

لحجّة الوداع أمر الناس بالخروج معه أصابتهم هذه القرحة: الجدري أو الحصبة، قالت: فدخل علينا ما شاء الله أن يدخل لمرض أبي معقل ومرضت معه[١٣٧] .

وفيه أوّلاً: إنّها لم تذكر عدد المصابين، بل اكتفت بذكر مرض زوجها ومرضها، فمن أين استنبط المؤرّخون أنّ كثيراً من الصحابة لم يحج .

ثانياً: لو كان الخبر مضبوطاً لذكره أصحاب الصحاح والمسانيد والتواريخ المعتنية بذكر جزئيات سيرة النبي صلى الله عليه وآله والصحابة، مع بعض التفصيل من حيث ذكر عدد المصابين، أو ذكر بعض المعروفين منهم.

ثالثاً: توجد رواية أم معقل في باقي السنن والمسانيد من دون ذكر تعميم المرض، بل تذكر أم معقل أنّ المرض أصاب زوجها فقط، ففي سنن أبي داود: «وأصابنا مرض وهلك أبو معقل »[١٣٨] .

وعليه نستنتج أنّ المرض كان جزئيّاً ولم يصب إلاّ بيت أُمّ معقل، وأنّ كثيراً من المسلمين ـ مع قطع النظر عن العدد ـ قد حضروا حجّة الوداع، وشهدوا حادثة الغدير، وبايعوا عليّاً عليه السلام بالولاية والإمامة، ولكن تخلّوا عنها فيما بعد لأسباب مختلفة ذكرناها في دلالة الحديث، قسم ردّ الشبهات .

الكتب المؤلّفة في حديث الغدير:

هناك كثير من الحفّاظ والمحدّثين قديماً وحديثاً، خرّجوا حديث الغدير ورووه في كتبهم، وقد عدّهم العلاّمة الأميني (رحمه الله) (ت ١٣٩٠) في كتابه الغدير الجزء الأوّل، ونحن هنا نذكر من أفرد تأليفاً مستقلاً في حديث الغدير، وجمع طرقه ورواته من المتقدّمين، وهم كما يأتي:

١ ـ محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠) جمع طرق حديث الغدير في كتاب مستقلّ سمّاه كتاب الولاية أو «الردّ على الحرقوصيّة »، وقد أشار الى كتاب الطبري

هذا أو رآه ونقل عنه كلّ من السيّد ابن طاووس (ت ٦٦٤) والذهبي (ت ٧٤٨) وابن كثير (ت ٧٧٤) في البداية والنهاية والسيرة النبوية.

قال السيّد ابن طاووس (رحمه الله): «ومن ذلك ما رواه محمد بن جرير الطبري صاحب التاريخ الكبير، صنّفه وسمّاه كتاب الردّ على الحرقوصيّة، روى فيه حديث يوم الغدير، وما نصّ النبي صلى الله عليه وآله على علي عليه السلام بالولاية والمقام الكبير، وروى ذلك من خمس وسبعين طريقاً»(١٣٩).

وقال في الطرائف: «وقد روى حديث يوم الغدير محمد بن جرير الطبري صاحب التاريخ من خمس وسبعين طريقاً، وأفرد له كتاباً سمّاه الولاية، ورأيت في بعض ما صنّفه الطبري في صحّة خبر يوم الغدير أنّ اسم كتابه الردّ على الحرقوصيّة يعني الحنبليّة، لانّ أحمد بن حنبل من ولد حرقوص بن زهير الخارجي، وقيل: إنّما سمّاه الطبري بهذا الأسم لأنّ البربهاري الحنبلي تعرّض للطعن في شيء ممّا يتعلّق بخبر يوم غدير خم»(١٤٠).

وقال ياقوت الحموي (ت ٦٢٦) في ترجمة الطبري: «وكان قد قال بعض الشيوخ ببغداد بتكذيب غدير خم، وقال: إنّ علي بن أبي طالب كان باليمن في الوقت الذي كان رسول الله صلى الله عليه وآله بغدير خم، وقال هذا الإنسان في قصيدة مزدوجة يصف بلداً بلداً ومنزلاً منزلاً أبياتاً يلوح فيها الى معنى حديث غدير خم فقال:

ثمّ مررنـا بغـدير خــم   كم قائل فيه بروز جم

على عليّ والنبــيّ الأُمي

وبلغ أبا جعفر ذلك فابتدأ بالكلام من فضائل علي بن أبي طالب، وذكر طرق حديث خم، فكثر الناس لاستماع ذلك...»(١٤١).

وممّن ذكر كتاب الطبري ورآه وكان سبباً في تصديقه لحديث الغدير، الحافظ الذهبي (ت ٧٤٨) حيث قال في سير أعلام النبلاء في ترجمة الطبري: «وجمع طرق

حديث غدير خم في أربعة أجزاء، رأيت شطره فبهرني سعة رواياته وجزمت بوقوع ذلك»[١٤٢].

ورآه أيضاً الحافظ ابن كثير (ت ٧٧٤) حيث قال: «وقد رأيت له كتاباً جمع فيه أحاديث غدير خم في مجلّدين ضخمين»[١٤٣]، وقال أيضاً: «وقد اعتنى بأمر هذا الحديث أبو جعفر محمد بن جرير الطبري صاحب التفسير والتاريخ، فجمع فيه مجلّدين أورد فيهما طرقه وألفاظه، وساق الغثّ والسمين والصحيح والسقيم على ما جرت به عادة كثير من المحدّثين...»[١٤٤].

وقال الحافظ ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢): وقد جمعه ابن جرير الطبري في مؤلّف فيه أضعاف من ذكر»[١٤٥].

إذا عرفت هذا فاعجب من السالوس حيث قال: «إنّ كتاب الولاية إما أنّه أُلّف ونُسب الى الطبري زوراً انتصاراً للمذهب، وإما أنّ الطبري جمع ما وجده عن الولاية بغير نظر الى مصادر الروايات، وفي كلتا الحالتين لا وزن له ولا يبيّن رأي الطبري»[١٤٦]، فانظر الى أتباع المدرسة السلفيّة كيف يتمسّكون بكلّ حشيش لردّ فضائل أمير المؤمنين عليه السلام، حيث يروق لهم بكل سهولة ليس ردّ الشيعة فقط، بل ردّ كبار محدّثيهم وحفّاظهم الذين عليهم مدار العلم والعمل في مدرسة أهل السنة، كلّ ذلك حذراً من أن تثبت لأمير المؤمنين عليه السلام فضيلة.

٢ ـ أحمد بن محمد أبو العباس ابن عقدة (ت ٣٣٢)، وقد صنّف كتاباً مستقلاً في حديث الغدير، وذكر كتابه عدّة من الحفّاظ والمحدّثين، وكانت نسخة منه عند السيد ابن طاووس (ت ٦٦٤) حيث روى عنه وذكر أسماء الرواة الذين ذكرهم ابن عقدة لحديث الغدير.

قال السيد ابن طاوس رحمه الله: «وممن صنّف تفصيل ما حقّقناه: أبو العباس أحمد بن سعيد الهمداني الحافظ المعروف بابن عقدة، وهو ثقة عند أرباب المذاهب،

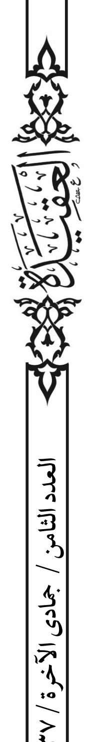
وجعل ذلك كتاباً محرّراً سمّاه حديث الولاية، وذكر الأخبار عن النبي ﷺ بذلك، وأسماء الرواة من الصحابة، والكتاب عندي وعليه خط الشيخ العالم الرباني أبي جعفر الطوسي وجماعة من شيوخ الإسلام لا يخفى صحّة ما تضمّنه على أهل الأفهام، وقد أثنى على ابن عقدة الخطيب صاحب تاريخ بغداد وزكّاه.

وهذه أسماء من روى عنهم حديث يوم الغدير ونصّ النبي ﷺ على علي عليه السلام ...:

١ ـ أبو بكر عبد الله بن عثمان.
٢ ـ عمر بن الخطاب.
٣ ـ عثمان بن عفان.
٤ ـ علي بن أبي طالب عليه السلام.
٥ ـ طلحة بن عبيد الله.
٦ ـ الزبير بن العوام.
٧ ـ عبد الرحمن بن عوف.
٨ ـ سعيد بن مالك.
٩ ـ العباس بن عبد المطلب.
١٠ ـ الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام.
١١ ـ الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام.
١٢ ـ عبد الله بن عباس.
١٣ ـ عبد الله بن جعفر بن أبي طالب.
١٤ ـ عبد الله بن مسعود.
١٥ ـ عمار بن ياسر.
١٦ ـ أبوذر جندب بن جنادة الغفاري.
١٧ ـ سلمان الفارسي.
١٨ ـ أسعد بن زرارة الأنصاري.
١٩ ـ خزيمة بن ثابت الأنصاري.



٢٠ ـ أبو أيوب خالد بن زيد الأنصاري.
٢١ ـ سهل بن حنيف الأنصاري.
٢٢ ـ حذيفة بن اليمان.
٢٣ ـ عبد الله بن عمر بن الخطاب .
٢٤ ـ البراء بن عازب الأنصاري.
٢٥ ـ رفاعة بن رافع.
٢٦ ـ سمرة بن جندب.
٢٧ ـ سلمة بن الأكوع الأسلمي.
٢٨ ـ زيد بن ثابت الأنصاري.
٢٩ ـ أبو ليلى الأنصاري.
٣٠ ـ أبو قدامة الأنصاري.
٣١ ـ سهل بن سعد الأنصاري .
٣٢ ـ عدي بن حاتم الطائي.
٣٣ ـ ثابت بن زيد بن وديعة.
٣٤ ـ كعب بن عجرة الأنصاري.
٣٥ ـ أبو الهيثم بن التيهان الأنصاري.
٣٦ ـ هاشم بن عتبة بن أبي وقاص الزهري.
٣٧ ـ المقداد بن عمرو الكندي.
٣٨ ـ عمر بن أبي سلمة.
٣٩ ـ عبد الله بن أبي عبد الأسد المخزومي.
٤٠ ـ عمران بن حصين الخزاعي.
٤١ ـ يزيد بن الخصيب الأسلمي.
٤٢ ـ أبو هريرة الدوسي.
٤٣ ـ أبو برزة نضلة بن عتبة الأسلمي.
٤٤ ـ أبو سعيد الخدري.
٤٥ ـ جابر بن عبدالله الأنصاري.



٤٦ ـ حريز بن عبدالله.
٤٧ ـ زيد بن عبدالله.
٤٨ ـ زيد بن أرقم الأنصاري.
٤٩ ـ أبو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وآله.
٥٠ ـ أبو عمرة بن عمرو بن محصن الأنصاري.
٥١ ـ أنس بن مالك الأنصاري.
٥٢ ـ ناجية بن عمرو الخزاعي.
٥٣ ـ أبو زينب بن عوف الأنصاري.
٥٤ ـ يعلى بن مرة الثقفي.
٥٥ ـ سعيد بن سعد بن عبادة الأنصاري.
٥٦ ـ حذيفة بن أسيد.
٥٧ ـ أبو شريحة الغفاري.
٥٨ ـ عمرو بن الحمق الخزاعي.
٥٩ ـ زيد بن حارثة الأنصاري.
٦٠ ـ ثابت بن وديعة الأنصاري.
٦١ ـ مالك بن حويرث أبو سليمان.
٦٢ ـ جابر بن سمرة السواني.
٦٣ ـ عبد الله بن ثابت الأنصاري
٦٤ ـ جيش بن جنادة السلولي.
٦٥ ـ ضميرة الأسدي.
٦٦ ـ عبد الله بن عازب الأنصاري.
٦٧ ـ عبد الله بن أبي أوفى الأسلمي.
٦٨ ـ يزيد بن شراحيل الأنصاري.
٦٩ ـ عبد الله بن بشير المازني .
٧٠ ـ النعمان بن العجلان الأنصاري.
٧١ ـ عبد الرحمن بن يعمر الديلمي.

٧٢ ـ أبو حمزة خادم رسول الله ﷺ.
٧٣ ـ أبو الفضالة الأنصاري.
٧٤ ـ عطية بن بشير المازني.
٧٥ ـ عامر بن ليلى الغفاري.
٧٦ ـ أبو الطفيل عامر بن واثلة الكناني.
٧٧ ـ عبد الرحمن بن عبد رب الأنصاري.
٧٨ ـ حسان بن ثابت الأنصاري.
٧٩ ـ سعد بن جنابة العوفي.
٨٠ ـ عامر بن عمير النميري.
٨١ ـ عبد الله بن ياميل.
٨٢ ـ حبة بن جوين العرني.
٨٣ ـ عقبة بن عامر الجهني.
٨٤ ـ أبو ذؤيب الشاعر.
٨٥ ـ أبو شريح الخزاعي.
٨٦ ـ أبو جحيفة وهب بن عبد الله النسوي.
٨٧ ـ أبو امامة الصدي بن عجلان الباهلي.
٨٨ ـ عامر بن ليلى بن جندب بن سفيان الغفلي البجلي.
٨٩ ـ اسامة بن زيد بن حارثة الكلبي.
٩٠ ـ وحشي بن حرب.
٩١ ـ قيس بن ثابت بن شماس الأنصاري.
٩٢ ـ عبد الرحمن بن مديح.
٩٣ ـ حبيب بن بديل بن ورقاء الخزاعي.
٩٤ ـ فاطمة بنت رسول الله ﷺ .
٩٥ ـ عائشة بنت أبي بكر.
٩٦ ـ أُم سلمة أُم المؤمنين.
٩٧ ـ أُم هاني بنت أبي طالب.

٩٨ ـ فاطمة بنت حمزة بن عبد المطلب.

٩٩ ـ أسماء بنت عميس الخثعميّة.

ثم ذكر ابن عقدة ثمانية وعشرين رجلاً من الصحابة لم يذكرهم ولم يذكر أسماءهم أيضاً[١٤٧].

وقال ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢) في فتح الباري: «وأما حديث من كنت مولاه فعلي مولاه، فقد أخرجه الترمذي والنسائي، وهو كثير الطرق جداً، وقد استوعبها ابن عقدة في كتاب مفرد، وكثير من أسانيدها صحاح وحسان»[١٤٨]، كما قال في تهذيب التهذيب: «واعتنى بجمع طرقه أبو العباس ابن عقدة، فأخرجه من حديث سبعين صحابياً أو أكثر»[١٤٩].

٣ ـ أبو طالب عبيد الله بن أحمد بن زيد الأنباري الواسطي (ت ٣٥٦)، وله كتاب طرق حديث الغدير، ذكره له النجاشي في فهرسته[١٥٠].

٤ ـ أبو غالب أحمد بن محمد بن محمد الزراري (ت ٣٦٨)، له جزء في خطبة الغدير، نصّ عليه هو بنفسه في رسالته في آل أعين[١٥١].

٥ ـ أبو المفضّل محمد بن عبد الله بن المطلب الشيباني (ت ٣٧٢)، له كتاب من روى حديث غدير خم، ذكره له النجاشي[١٥٢].

٦ ـ الحافظ علي بن عمر الدار القطني (ت ٣٨٥)، قال الكنجي الشافعي: جمع الحافظ الدار قطني طرقه في جزء[١٥٣].

٧ ـ الشيخ محسن بن الحسين بن أحمد النيشابوري الخزاعي، له كتاب بيان حديث الغدير، ذكره له الشيخ منتجب الدين في فهرسته[١٥٤].

٨ ـ أبو عبد الله الحسين بن عبيد الله بن إبراهيم الغضائري (ت ٤١١)، له كتاب يوم الغدير، ذكره له النجاشي في فهرسته[١٥٥].

٩ ـ علي بن عبد الرحمن بن عيسى بن عروة بن الجراح القناني (ت ٤١٣)، له كتاب طرق خبر الولاية، عدّه النجاشي من تأليفه في فهرسته[١٥٦].

١٠ ـ الحافظ أبو سعيد مسعود بن ناصر بن أبي زيد السجستاني (ت ٤٧٧) له كتاب الدراية في حديث الولاية، ذكره ابن شهر آشوب في المناقب، والسيد ابن طاوس في الإقبال[١٥٧].

١١ ـ الحافظ شمس الدين الذهبي (ت ٧٤٨) له كتاب طرق حديث الولاية، قال هو في كتابه تذكره الحفّاظ: «أما حديث (من كنت مولاه) فله طرق جيّدة، وقد أفردت ذلك أيضاً (أي أفرده بمصنف مستقل)»[١٥٨].

١٢ ـ قال أحمد بن طاوس (ت ٦٧٣): «قال الفقيه برهان الدين حجّة الإسلام أبو جعفر محمد بن علي الحمداني القزويني: سمعت بعض أصحاب أبي حنيفة يقول: شهدت بالكوفة شاباً بيده مجلّدة فيها روايات هذا الكتاب مكتوب عليه «المجلّدة الثامنة والعشرون » من طريق خبر قوله عليه السلام: من كنت مولاه فعلي مولاه، ويتلوه في المجلّدة التاسعة: أخبرني»[١٥٩].

ويظهر أنّ هذا الكتاب هو الذي رآه أبو المعالي الجويني ببغداد، فقد قال ابن شهر آشوب (ت ٥٨٨): «قال جدّي شهر آشوب: سمعت أبا المعالي الجويني يتعجّب ويقول: شاهدت مجلّداً ببغداد في يد صحّاف فيه روايات هذا الخبر مكتوباً عليه: المجلّدة الثامنة والعشرون من طرق قوله: «من كنت مولاه فعلي مولاه » ويتلوه المجلّدة التاسعة والعشرون»[١٦٠].

يراجع للمزيد: ببليو غرافية حديث الغدير.

وإذا عرفت هذا فلا حاجة لنا الى ردّ ابن حزم (ت ٤٥٦) القائل: «أمّا (من كنت مولاه فعلي مولاه) فلا يصحّ من طريق الثقات اصلاً»[١٦١]، أو ما ذكره الجويني (ت ٤٧٨) من قوله: «هذا اللّفظ وما عداه وسواه نقله معدودون من الرواة، وهم عرضة الزلل والخطل والهفوات»[١٦٢].

وما نقله المقدسي (ت ٨٨٨) عن الشيخ مجد الدين الفيروز آبادي حيث قال: «إنّه لا يصح من طريق الثقات أصلاً والزيادة التي ألحقوها بها كذب»[١٦٣].

وكفانا في الردّ عليهم ما قاله ابن حجر الهيثمي (ت ٩٧٣) في الصواعق من قوله: «إنّه حديث صحيح لا مرية فيه ...وكثير من أسانيدها صحاح وحسان، ولا التفات لمن قدح في صحّته»[١٦٤]، وتبعه الحلبي (ت ١٠٤٤) حيث قال: «هذا حديث صحيح ورد بأسانيد صحاح وحسان، ولا التفات لمن قدح في صحته كأبي داود وأبي حاتم الرازي »[١٦٥].

خطبة الغدير[١٦٦]:

خرج رسول الله صلى الله عليه وآله في السنة العاشرة من الهجرة إلى الحج وهي حجة الوداع، ودعا الناس بالائتمام به ليعلّمهم مناسكهم، إذ كان يعلم بدنوّ رحيله.

روى الذهبي عن الإمام الصادق عن أبيه عليهما السلام عن جابر أنّه قال: أذّن رسول الله صلى الله عليه وآله في الناس بالحج فاجتمع في المدينة بشر كثير[١٦٧].

وقال ابن حبان: ثم إنّ النبي صلى الله عليه وآله أراد أن يحجّ حجّة الوداع، فأذّن في الناس أنّه خارج فقدم المدينة بشر كثير كلّهم يلتمس أن يأتمّ برسول الله صلى الله عليه وآله [١٦٨].

وقال الفيروزآبادي: لمّا عزم صلى الله عليه وآله على الحج أعلم أصحابه بذلك، فاستعدّوا للسفر بأجمعهم، ووصل الخبر إلى القرى والضياع القريبة من المدينة، فتجهّز المسلمون بأجمعهم نحو المدينة، وفي حال المسير إلى مكة تلاحق الناس من كلّ الأطراف حتى تجاوزوا الحصر والعدّ [١٦٩].

كان معه جموع لا يعلمها إلاّ الله تعالى، قيل: كانوا أربعين ألفاً، وقيل: كانوا سبعين ألفاً، وقيل: كانوا تسعين ألفاً، وقيل: كانوا مائة ألف وأربعة عشر ألفاً، وقيل: وعشرين ألفاً، وقيل: كانوا أكثر من ذلك »[١٧٠].

وفي حجة الوداع هذه حدثت أعظم واقعة في التاريخ الإسلامي، حيث أُمر النبي صلى الله عليه وآله بتبليغ ما إن لم يبلّغه بطلت رسالته، فقد نزل عليه الوحي قائلاً: ﴿يَا أَيُّهَا

﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾(١٧١) وذيل الآية الدالّ على حفظ الله تعالى لنبيّه ﷺ من الناس يدلّ بصراحة على أهميّة الموضوع وخطورته.

وبعد ما بلّغ رسول الله ﷺ إمامة علي عليه السلام، وأنّه امتداد لخط الرسالة، نزل قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً﴾(١٧٢).

وقد تخلّلت هاتين الآيتين خطبةٌ عظيمة ذكر فيها رسول الله عليه السلام أُموراً كثيرة، منها حديث الغدير، وحديث الثقلين. قال ابن كثير (ت٧٧٤): «فصل في إيراد الحديث الدالّ على أنّه عليه السلام خطب بمكان بين مكة والمدينة مرجعه من حجة الوداع قريب من الجحفة يقال له غدير خم، فبيّن فيها فضل علي بن أبي طالب، وبراءة عرضه مما كان تكلّم فيه بعض من كان معه بأرض اليمن ...فخطب خطبة عظيمة في اليوم الثامن عشر من ذي الحجة عامئذ، وكان يوم الأحد بغدير خم تحت شجرة هناك فبيّن أشياء، وذكر من فضل علي وأمانته وعدله وقربه إليه ما أزاح به ما كان في نفوس كثير من الناس منه»(١٧٣).

يُلاحظ على هذا المقطع:

جعل ابن كثير في صدر كلامه سبب الحديث ما تكلّم به بعض من كان معه في اليمن، ثم يقول: خطب ﷺ خطبة عظيمة فبيّن فيها أشياء، وهذا يناقض الحصر الذي ذكره في صدر كلامه من اختصاص سبب الخطبة بحديث الشكوى لما صدر من أمير المؤمنين عليه السلام بأرض اليمن، كما أنّ قوله: «فبيّن فيها أشياء» يفيد تطرّق النبي ﷺ إلى أمور أُخرى غير حديث الغدير لا يروق ابن كثير التحدّث عنها. كما أنّ قوله: «وذكر من فضل علي وأمانته» يفيد أنّ تلك الأشياء التي أخفاها ابن كثير غير هذه الموارد، مضافاً إلى أنّها أُمور إضافية على أصل حديث

الغدير، وقد أهمل نصّها ابن كثير حاله حال غيره من المحدّثين.

ومن حقّنا أن نسأل المحدّثين المهتمّين بالسّنة المطهّرة: أين نصوص هذه الخطبة العظيمة التي ألقاها النبي ﷺ في تلك المناسبة وبتلك الحالة ؟! ولماذا لم يبق منها في تراث أهل السنة سوى حديث الغدير، مع تشكيك بعضهم في صدره وذيله ؟!

هذا، وقد وردت روايات كثيرة عند أهل السنة تشير إلى هذه الخطبة إشارة عابرة، فقد ذكرها زيد بن أرقم حيث قال: خطبنا رسول الله ﷺ يوم غدير خم [١٧٤]، وفي لفظ آخر: خطبنا رسول الله ﷺ يوم الغدير [١٧٥]. وفي لفظ آخر: قام فينا رسول الله ﷺ بواد بين مكة والمدينة يُدعى خمّاً خطيباً [١٧٦].

وعن حذيفة قال: إنّ رسول الله ﷺ خطب بغدير تحت شجرات [١٧٧].

وعن أبي رافع قال: لما نزل رسول الله ﷺ غدير خم بمصدره من حجة الوداع قام خطيباً بالناس [١٧٨].

وعن أبي هريرة قال: نظرت إلى رسول الله ﷺ وهو قائم يخطب وعلي إلى جنبه [١٧٩].

وعن عمرو ذي مرّ وزيد بن أرقم قالا: خطب رسول الله ﷺ يوم غدير خم [١٨٠].

وعن عائشة بنت سعد عن أبيها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول يوم الجحفة وأخذ بيد عليّ فخطب فحمد الله وأثنى عليه [١٨١].

وعن أُم هاني قالت: رجع رسول الله ﷺ من حجته حتى إذا كان بغدير خم أمر بدوحات فقممن، ثم قام خطيباً بالهاجرة [١٨٢].

وعن أبي جنيدة جندع بن عمرو بن مازن قال: فلمّا نزل غدير خم قام في الناس خطيباً [١٨٣].

وقد أشار إليها ابن كثير كما مرّ، والحلبي حيث قال: لمّا وصل ﷺ إلى محلّ بين مكة والمدينة يقال له غدير خم بقرب رابغ جمع الصحابة وخطبهم خطبة(١٨٤).

وقال الجزري بعد رواية الحديث: وذلك في خطبة خطبها النبي ﷺ في حقّه(١٨٥).

وقال اليعقوبي: وقام خطيباً وأخذ بيد علي بن أبي طالب(١٨٦).

وقال الحموي نقلاً عن الحازمي أنّ خمّاً واد بين مكة والمدينة عند الجحفة، به غدير عنده خطب رسول الله ﷺ(١٨٧).

وقال ابن دريد: وخم غدير معروف، وهو الموضع الذي قام فيه رسول الله ﷺ خطيباً بفضل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام (١٨٨).

وقال الزمخشري: ليلة الغدير معظّمة عند الشيعة محياة فيهم بالتهجّد، وهي اللّيلة التي خطب فيها رسول الله ﷺ بغدير خم على أقتاب الإبل(١٨٩).

وقال الثعالبي: ليلة الغدير هي الليلة التي خطب رسول الله ﷺ في غدها بغدير خم على أقتاب الابل(١٩٠).

وقال البدخشاني بعد رواية الحديث: قاله بغدير خم حين خطب تحت شجرات بسند صحيح عن أبي الطفيل عن حذيفة بن اليمان، وهذه الخطبة طويلة(١٩١).

ومن المعلوم أنّ التكلّم بكلمات يسيرة ـ بحسب ما رووه ـ لا يقال له خطبة، فالخطبة لها مقدمة ونهاية يتخلّلها أُمور كثيرة تتناسب مع سبب التوقّف في تلك المنطقة وعلى تلك الحالة، سيّما إذا نظرنا إلى ما رواه زيد بن أرقم حيث قال: أمر رسول الله ﷺ بالشجرات فقمّ ما تحتها ورُشّ ثم خطبنا، فوالله ما من شيء يكون إلى أن تقوم الساعة إلاّ وقد أخبرنا به يومئذ(١٩٢).

نعم وردت هذه الخطبة في مصادرنا عن الإمام الباقر (عليه السلام)، وزيد بن أرقم، وحذيفة بن اليمان، وقد رواها كلٌّ من السيد ابن طاوس في كتاب اليقين والإقبال والتحصين، والطبرسي في الاحتجاج، والفتال النيسابوري في روضة الواعظين، والبياضي في الصراط المستقيم، وعلي بن يوسف الحلّي في العدد القوية، والشيخ جمال الدين الرازي في نزهة الكرام، وإليك نصّها ملفّقاً عن هذه المصادر:

عن علقمة بن محمد الحضرمي، عن أبي جعفر محمّد بن علي (عليه السلام) قال: حجّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) من المدينة وقد بلّغ جميعَ الشرايع قومه غيرَ الحجّ والولاية ؛ فأتاه جبرئيل فقال: يا محمّد، إنّ الله يُقرؤك السلام ويقول لك: «إنّي لم أقبض نبيّاً من أنبيائي ولا رسولاً من رسلي إلاّ من بعد كمال ديني وتمام حجّتي ، وقد بقي عليك من ذلك فريضتان ممّا يحتاج أن تبلّغ قومك: فريضةُ الحج وفريضةُ الولاية والخلافةِ من بعدك ؛ فإنّي لم أخلُ أرضي من حجّة ولن أخليَها أبداً » ؛ وإنّ الله عزّ وجلّ يأمرك أن تبلغ قومك الحجَّ، وليحجّ معك من استطاع السبيل من أهل الحضر والأطراف والأعراب، فتعلّمهم من حجّهم مثل ما علّمتهم من صلاتهم وزكاتهم وصيامهم، وتُوقفهم من ذلك على مثل الذي أوقفتهم عليه من جميع ما بلّغتهم من الشرايع.

فنادى منادي رسول الله (صلى الله عليه وآله): إنّ رسول الله يريد الحجّ، وأن يعلّمكم من ذلك مثل الذي علّمكم من شرايع دينكم ويوقفكم من ذلك على مثل ما أوقفكم.

قال: فخرج رسول الله (صلى الله عليه وآله) وخرج معه ناس وصَفّوا له لينظروا ما يصنع، وكان جميع من حجّ مع رسول الله (عليه السلام) من أهل المدينة والأعراب سبعين ألفاً أو يزيدون، على نحو عدد أصحاب موسى السبعين ألفاً الذين أخذ عليهم بيعة هارون فنكثوا واتّبعوا السامريّ والعجل، وكذلك أخذ رسول الله (صلى الله عليه وآله) البيعة لعليّ (عليه السلام) بالخلافة على نحو عدد أصحاب موسى (عليه السلام) سبعين ألفاً، فنكثوا البيعة واتّبعوا



العجل والسّامري، سنةً بسنة ومثلاً بمثل لم يخرم منه شيءٌ.

واتّصلت التلبيةُ ما بين مكّة والمدينة ؛ فلمّا وقف رسول الله صَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ بالموقف أتاه جبرئيل عَلَيْهِالسَّلَامُ عن أمر الله عزّ وجلّ فقال: يا محمّد، إنّ الله يقرأ عليك السّلام ويقول لك: «إنّه قد دنا أجلُك ومدّتُك، وإنّي أستقدمك على ما لابدّ منه ولا عنه محيص، فاعهد عهدك وتقدّم في وصيّتك، واعمد إلى ما عندك من العلم، وميراث علوم الأنبياء من قبلك، والسّلاح والتابوت، وجميع ما عندك من آيات الأنبياء، فسلّمه إلى وصيّك وخليفتك من بعدك حجّتي البالغة على خلقي علي بن أبي طالب، فأقمه للنّاس وجَدِّد عهدَك وميثاقَك وبيعتَه، وذكّرهم ما في الذّرّ من بيعتي وميثاقي الذي واثقتهم به، وعهدي الذي عهدت إليهم من الولاية لمولاهم ومولى كلّ مؤمن ومؤمنة علي بن أبي طالب ؛ فإنّي لم أقبض نبيّاً بعد إكمال ديني وإتمام نعمتي بولاية أوليائي ومعاداة أعدائي، وذلك كمال توحيدي وتمام نعمتي على خلقي باتّباع وليّي، وطاعتُه طاعتي ؛ وذلك أنّي لا أترك أرضي بغير قيّم ليكونَ حجّةً لي على خلقي فـ ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً**﴾(١٩٣) بولاية وليّي ومولى كلّ مؤمن ومؤمنة عليٍّ، عبدي ووصيِّ نبيّي والخليفةِ من بعده، وحجّتي البالغة على خلقي ؛ مقرونةٌ طاعتهُ بطاعة محمّد نبيّي، ومقرونةٌ طاعته مع طاعة محمّد بطاعتي، من أطاعه أطاعني ومن عصاه عصاني ؛ جعلته علماً بيني وبين خلقي، ومن عرفه كان مؤمناً ومن أنكره كان كافراً ومن أشرك ببيعته كان مشركاً ؛ من لقيني بولايته دخل الجنّة ومن لقيني بعداوته دخل النّار ؛ فأقم ـ يا محمّد ـ عليّاً عَلَماً وخذ عليهم البيعةَ، وجَدّد عهدي وميثاقي لهم الذي واثقتهم عليه، فإنّي قابضك إليّ ومُستقدِمك عَلَيَّ».

قال؛ فخشي رسول الله صَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ قومَه وأهلَ النفاق والشقاق بأن يتفرّقوا ويرجعوا جاهليةً لِما عرف من عداوتهم، وما تنطوي على ذلك أنفسهم لعليّ عَلَيْهِالسَّلَامُ من البغضاء، وسأل جبرئيل عَلَيْهِالسَّلَامُ أن يسأل ربَّه العصمة من النّاس، وانتظر أن يأتيه

جبرئيل بالعصمة من الناس من الله عزّ وجلّ؛ فأخّر ذلك إلى أن بلغ مسجد الخيف، فأتاه جبرئيل في مسجد الخيف فأمره أن يعهد عهده ويقيم عليّاً عليه‌السلام علماً للناس، ولم يأته بالعصمة من الله تعالى بالذي أراد، حتّى إذا أتى «كُراعَ الغميمِ» بين مكة والمدينة، فأتاه جبرئيل فأمره بالذي أتاه به من قبل ولم يأته بالعصمة .فقال: «يا جبرئيل، إنّي أخشى قومي يكذّبوني ولا يقبلون قولي في عليّ» !

فدفع حتّى بلغ «غديرَ خُمٍّ» قبل الجحفة بثلاثة أميال أتاه جبرئيل ـ على خمس ساعات مضت من النهار ـ بالزجر والانتهار والعصمة من الناس، فقال: يا محمّد، إنّ الله عزّ وجلّ يُقرئك السّلام ويقول لك:

﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّه يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾(١٩٤).

فكان أوّلهم قُربَ الجحفة، فأمره أن يَرُدَّ من تقدّم منهم، ويحبسَ من تأخّر عنهم في ذلك المكان، وأن يُقيمه للناس ويُبَلِّغَهم ما أنزل في عليّ عليه‌السلام، وأخبره أن قد عصمه الله من النّاس.

فأمر رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله ـ عند ما جاءته العصمة ـ مناديَه ينادي في النّاس: الصلاة جامعة ؛ وتنحّى إلى ذلك الموضع ـ وفيه سَلَمات ـ فأمر رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله أن يُقَمَّ ما تحتهنَّ، وأن يُنصب له أحجار كهيئة المنبر ليشرف على الناس فرجع أوائل الناس واحتبس أواخرهم.

فقام رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله فوق تلك الأحجار فقال(١٩٥):

اَلْحَمْدُ لِلّهِ الَّذي عَلا في تَوَحُّدِهِ وَدَنا في تَفَرُّدِهِ وَجَلَّ في سُلْطانِهِ وَعَظُمَ في اَرْكانِهِ، وَاَحاطَ بِكُلِّ شَيْء عِلْماً وَهُوَ في مَكانِهِ وَقَهَرَ جَميعَ الْخَلْقِ بِقُدْرَتِهِ وَبُرْهانِهِ، حَميداً لَمْ يَزَلْ، مَحْموداً لا يَزالُ (وَمَجيداً لايَزولُ، وَمُبْدِئاً وَمُعيداً وَكُلُّ أَمْر إِلَيْهِ يَعُودُ) .

بارِئُ الْمَسْمُوكاتِ وَداحِي الْمَدْحُوّاتِ وَجَبّارُ الاْرَضينَ وَالسّماواتِ، قُدُّوسٌ سُبُّوحٌ،

رَبُّ الْمَلائكَةِ وَالرُّوحِ، مُتَفَضِّلٌ عَلى جَميع مَنْ بَرَأَهُ، مُتَطَوِّلٌ عَلى جَميعِ مَنْ أَنْشَأَهُ .

يَلْحَظُ كُلَّ عَيْن وَالْعُيُونُ لا تَراهُ .

كَريمٌ حَليمٌ ذُو أَنات، قَدْ وَسِعَ كُلَّ شَيء رَحْمَتُهُ وَمَنَّ عَلَيْهِمْ بِنِعْمَتِهِ .

لا يَعْجَلُ بِانْتِقامِهِ، وَلا يُبادِرُ إِلَيْهِمْ بِمَا اسْتَحَقُّوا مِنْ عَذابِهِ .

قَدْ فَهِمَ السَّرائِرَ وَعَلِمَ الضَّمائِرَ، وَلَمْ تَخْفَ عَلَيْهِ اَلْمَكْنوناتُ ولا اشْتَبَهَتْ عَلَيْهِ الْخَفِيّاتُ.

لَهُ الإِحاطَةُ بِكُلِّ شَيء، والغَلَبَةُ على كُلِّ شَيء والقُوَّةُ في كُلِّ شَيء والقُدْرَةُ عَلى كُلِّ شَيء وَلَيْسَ مِثْلَهُ شَيءٌ.

وَهُوَ مُنْشِئُ الشَّيءِ حينَ لا شَيءَ دائمٌ حَي وَقائمٌ بِالْقِسْطِ، لا إِلهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزيزُ الْحَكيمُ .

جَلَّ عَنْ أَنْ تُدْرِكَهُ الأَبْصارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصارَ وَهُوَ اللَّطيفُ الْخَبيرُ.

لا يَلْحَقُ أَحَدٌ وَصْفَهُ مِنْ مُعايَنَة، وَلا يَجِدُ أَحَدٌ كَيْفَ هُوَ مِنْ سِر وَعَلانِيَة إِلاّ بِما دَلَّ عَزَّ وَجَلَّ عَلى نَفْسِهِ .

وَأَشْهَدُ أَنَّهُ اللهُ اَلَّذي مَلأَ الدَّهْرَ قُدْسُهُ، وَالَّذي يَغْشَي الأَبَدَ نُورُهُ، وَالَّذي يُنْفِذُ أَمْرَهُ بِلا مُشاوَرَةِ مُشير وَلا مَعَهُ شَريكٌ في تَقْديرِهِ وَلا يُعاوَنُ في تَدْبيرِهِ .

صَوَّرَ مَا ابْتَدَعَ عَلى غَيْرِ مِثال، وَخَلَقَ ما خَلَقَ بِلا مَعُونَة مِنْ أَحَد وَلا تَكَلُّف وَلاَ احْتِيال.

أَنْشَأَها فَكانَتْ وَبَرَأَها فَبانَتْ.

فَهُوَ اللهُ الَّذي لا إِلاهَ إِلاَّ هُو المُتْقِنُ الصَّنْعَةَ، اَلْحَسَنُ الصَّنيعَةِ، الْعَدْلُ الَّذي لا يَجُورُ، وَالأَكْرَمُ الَّذي تَرْجِعُ إِلَيْهِ الأُمُورُ .

وَأَشْهَدُ أَنَّهُ اللهُ الَّذي تَواضَعَ كُلُّ شَيء لِعَظَمَتِهِ، وَذَلَّ كُلُّ شَيء لِعِزَّتِهِ، وَاسْتَسْلَمَ كُلُّ شَيء لِقُدْرَتِهِ، وَخَضَعَ كُلُّ شَيء لِهَيْبَتِهِ .

مَلِكُ الأَمْلاكِ وَمُفَلِّكُ الأَفْلاكِ وَمُسَخِّرُ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ، كُلٌّ يَجْري لأَجَل مُسَمّي .

يُكَوِّرُ الَّليْلَ على النَّهارِ وَيُكَوِّرُ النَّهارَ على الَّليْلِ يَطْلُبُهُ حَثيثاً .

قاصِمُ كُلِّ جَبّار عَنيد وَمُهْلِكُ كُلِّ شَيْطان مَريد.

لَمْ يَكُنْ لَهُ ضِدٌّ وَلا مَعَهُ نِدٌّ أَحَدٌ صَمَدٌ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفْواً أَحَدٌ.

إلاهٌ واحِدٌ وَرَبٌّ ماجِدٌ يَشاءُ فَيُمْضي، وَيُريدُ فَيَقْضي، وَيَعْلَمُ فَيُحْصي، وَيُميتُ وَيُحْيي، وَيُفْقِرُ وَيُغْني، وَيُضْحِكُ وَيُبْكي، (وَيُدْني وَيُقْصي) وَيَمْنَعُ وَيُعْطي، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، بِيَدِهِ الْخَيْرُ وَهُوَ على كُلِّ شَيء قَديرٌ .

يُولِجُ الَّليْلَ فِي النَّهارِ وَيُولِجُ النَّهارَ في الَّليْلِ، لا إِلهَ إِلاّ هُوَ الْعَزيزُ الْغَفّارُ .

مُسْتَجيبُ الدُّعاءِ وَمُجْزِلُ الْعَطاءِ، مُحْصِي الاَنْفاسِ وَرَبُّ الْجِنَّةِ وَالنّاسِ، الَّذي لا يُشْكِلُ عَلَيْهِ شَيٌ، وَلا يُضجِرُهُ صُراخُ الْمُسْتَصْرِخينَ وَلا يُبْرِمُهُ إِلْحاحُ الْمُلِحّينَ .

اَلْعاصِمُ لِلصّالِحينَ، وَالْمُوَفِّقُ لِلْمُفْلِحينَ، وَمَوْلَي الْمُؤْمِنينَ وَرَبُّ الْعالَمينَ .

الَّذي اسْتَحَقَّ مِنْ كُلِّ مَنْ خَلَقَ أَنْ يَشْكُرَهُ وَيَحْمَدَهُ (عَلي كُلِّ حال) .

أَحْمَدُهُ كَثيراً وَأَشْكُرُهُ دائماً على السَّرّاءِ والضَّرّاءِ وَالشِّدَّةِ وَالرَّخاءِ، وَأُومِنُ بِهِ وَبِمَلائكَتِهِ وكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ .

أَسْمَعُ لاَمْرِهِ وَأُطيعُ وَأُبادِرُ إلى كُلِّ ما يَرْضاهُ وَأَسْتَسْلِمُ لِما قَضاهُ، رَغْبَةً في طاعَتِهِ وَخَوْفاً مِنْ عُقُوبَتِهِ، لأَنَّهُ اللهُ الَّذي لا يُؤْمَنُ مَكْرُهُ وَلا يُخافُ جَورُهُ .

وَأُقِرُّ لَهُ على نَفْسي بِالْعُبُودِيَّةِ وَأَشْهَدُ لَهُ بِالرُّبُوبِيَّةِ، وَأُؤَدّي ما أَوْحي بِهِ إِلَي حَذَراً مِنْ أَنْ لا أَفْعَلَ فَتَحِلَّ بي مِنْهُ قارِعَةٌ لا يَدْفَعُها عَنّي أَحَدٌ وَإِنْ عَظُمَتْ حيلَتُهُ وَصَفَتْ خُلَّتُهُ ـ لا إِلهَ إِلاَّ هُوَ ـ لاَنَّهُ قَدْ أَعْلَمَني أَنّي إِنْ لَمْ أُبَلِّغْ ما أَنْزَلَ إِلَي (في حَقّ عَلي) فَما بَلَّغْتُ رِسالَتَهُ، وَقَدْ ضَمِنَ لي تَبارَكَ وَتَعالَى الْعِصْمَةَ (مِنَ النّاسِ) وَهُوَ اللهُ الْكافِي الْكَريمُ.

فَأَوْحي إِلَي: ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمانِ الرَّحيمِ، يا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ ما أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبّكَ ـ في عَلي يَعْني فِي الْخِلاَفَةِ لِعَلي بْنِ أَبي طالِب ـ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَما بَلَّغْتَ رِسالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النّاسِ﴾.

مَعاشِرَ النّاسِ، ما قَصَّرْتُ في تَبْليغِ ما أَنْزَلَ الله تَعالى إِلَي، وَأَنَا أُبَيّنُ لَكُمْ سَبَبَ هذِهِ الآيَةِ: إِنَّ جَبْرَئيلَ هَبَطَ إِلَي مِراراً ثَلاثاً يَأْمُرُني عَنِ السَّلامِ رَبّي - وَهُو السَّلامُ - أَنْ أَقُومَ في هذَا الْمَشْهَدِ فَأُعْلِمَ كُلَّ أَبْيَض وَأَسْوَدَ: أَنَّ عَلِي بْنَ أَبي طالِب أَخي وَوَصِيّي وَخَليفَتي (عَلي أُمَّتي) وَالإِمامُ مِنْ بَعْدي، الَّذي مَحَلُّهُ مِنّي مَحَلُّ هارُونَ مِنْ مُوسي إِلاَّ أَنَّهُ لا نَبِي بَعْدي وَهُوَ وَلِيُّكُمْ بَعْدَ الله وَرَسُولِهِ .

وَقَدْ أَنْزَلَ الله تَبارَكَ وَتَعالى عَلَي بِذلِكَ آيَةً مِنْ كِتابِهِ (هِي): ﴿إِنَّما وَلِيُّكُمُ الله وَرَسُولُهُ وَالَّذينَ آمَنُوا الَّذينَ يُقيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتونَ الزَّكاةَ وَهُمْ راكِعُونَ﴾، وَعَلِي بْنُ أَبي طالِب الَّذي أَقامَ الصَّلاةَ وَآتَي الزَّكاةَ وَهُوَ راكِعٌ يُريدُ الله عَزَّ وَجَلَّ في كُلِّ حال .

وَسَأَلْتُ جَبْرَئيلَ أَنْ يَسْتَعْفِي لِي (السَّلامَ) عَنْ تَبْليغِ ذلِكَ إِلَيْكُمْ - أَيُّهَا النّاسُ - لِعِلْمي بِقِلَّةِ الْمُتَّقينَ وَكَثْرَةِ الْمُنافِقينَ وَإِدغالِ اللاّئمينَ وَحِيَلِ الْمُسْتَهْزِئينَ بِالإِسْلامِ، الَّذينَ وَصَفَهُمُ الله في كِتابِهِ بِأَنَّهُمْ يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ ما لَيْسَ في قُلوبِهِمْ، وَيَحْسَبُونَهُ هَيِّناً وَهُوَ عِنْدَ الله عَظيمٌ.

وَكَثْرَةِ أَذاهُمْ لي غَيْرَ مَرَّة حتّى سَمَّوني أُذُناً وَزَعَمُوا أَنّي كَذلِكَ لِكَثْرَةِ مُلازَمَتِهِ إِيّي وَإِقْبالي عَلَيْهِ (وَهَواهُ وَقَبُولِهِ مِنّي) حتّى أَنْزَلَ الله عَزَّ وَجَلَّ في ذلِكَ ﴿وَمِنْهُمُ الَّذينَ يُؤْذونَ النَّبِي وَيَقولونَ هُوَ أُذُنٌ، قُلْ أُذُنُ - (عَلَى الَّذينَ يَزْعُمونَ أَنَّهُ أُذُنٌ) - خَيْر لَكُمْ، يُؤْمِنُ بِالله وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنينَ﴾ الآيَةُ.

وَلَوْ شِئْتُ أَنْ أُسَمِّي الْقائلينَ بِذلِكَ بِأَسْمائهِمْ لَسَمَّيْتُ وَأَنْ أُوْمِئَ إِلَيْهِمْ بِأَعْيانِهِمْ لأَوْمَأْتُ وَأَنْ أَدُلَّ عَلَيْهِمْ لَدَلَلْتُ، وَلكِنّي وَالله في أُمورِهِمْ قَدْ تَكَرَّمْتُ.

وَكُلُّ ذلِكَ لا يَرْضَي الله مِنّي إِلاّ أَنْ أُبَلِّغَ ما أَنْزَلَ الله إِلَي (في حَقِّ عَلِي)، ثُمَّ تلا: ﴿يا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ ما أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ - في حَقِّ عَلِي - وَانْ لَمْ تَفْعَلْ فَما بَلَّغْتَ رِسالَتَهُ وَالله يَعْصِمُكَ مِنَ النّاسِ﴾ .

فَاعْلَمُوا مَعاشِرَ النّاسِ (ذلِكَ فيهِ وَافْهَموهُ وَاعْلَمُوا) أَنَّ الله قَدْ نَصَبَهُ لَكُمْ وَلِيّاً وَإِماماً فَرَضَ طاعَتَهُ على الْمُهاجِرينَ وَالأَنْصارِ وَعَلَي التّابِعينَ لَهُمْ بِإِحْسان، وَعَلَي الْبادي

وَالْحاضِرِ، وَعَلَى الْعَجَمِي وَالْعَرَبِي، وَالْحُرِّ وَالْمَمْلوكِ وَالصَّغيرِ وَالْكَبيرِ، وَعَلَى الأَبْيَضِ وَالأَسْوَدِ، وَعَلي كُلِّ مُوَحِّد.

ماض حُكْمُهُ، جاز قَوْلُهُ، نافِذٌ أَمْرُهُ، مَلْعونٌ مَنْ خالَفَهُ، مَرْحومٌ مَنْ تَبِعَهُ وَصَدَّقَهُ، فَقَدْ غَفَرَ الله لَهُ وَلِمَنْ سَمِعَ مِنْهُ وَأَطاعَ لَهُ.

مَعاشِرَ النّاسِ، إِنَّهُ آخِرُ مَقام أَقُومُهُ في هذا الْمَشْهَدِ، فَاسْمَعوا وَأَطيعوا وَانْقادوا لأَمْرِ (الله) رَبِّكُمْ، فَإِنَّ الله عَزَّ وَجَلَّ هُوَ مَوْلاكُمْ وَإِلهُكُمْ، ثُمَّ مِنْ دونِهِ رَسولُهُ وَنَبِيُّهُ الْمُخاطِبُ لَكُمْ، ثُمَّ مِنْ بَعْدي عَلي وَلِيُّكُمْ وَإِمامُكُمْ بِأَمْرِ الله رَبِّكُمْ، ثُمَّ الإِمامَةُ في ذُرِّيَّتي مِنْ وُلْدِهِ إلى يَوْم تَلْقَوْنَ الله وَرَسولَهُ.

لا حَلالَ إِلاّ ما أَحَلَّهُ الله وَرَسُولُهُ وَهُمْ، وَلا حَرامَ إِلاّ ما حَرَّمَهُ الله (عَلَيْكُمْ) وَرَسُولُهُ وَهُمْ، وَالله عَزَّ وَجَلَّ عَرَّفَنِي الْحَلالَ وَالْحَرامَ وَأَنَا أَفْضَيْتُ بِما عَلَّمَني رَبِّي مِنْ كِتابِهِ وَحَلالِهِ وَحَرامِهِ إِلَيْهِ .

مَعاشِرَ النّاسِ، (فَضِّلُوهُ).

ما مِنْ عِلْم إِلاَّ وَقَدْ أَحْصاهُ الله فِي، وَكُلُّ عِلْم عُلِّمْتُ فَقَدْ أَحْصَيْتُهُ في إِمامِ الْمُتَّقينَ، وَما مِنْ عِلْم إِلاّ وَقَدْ عَلَّمْتُهُ عَلِيّاً، وَهُوَ الإِمامُ الْمُبينُ (الَّذي ذَكَرَهُ الله في سُورَةِ يس: (وَكُلَّ شَيء أَحْصَيْناهُ في إِمام مُبين).

مَعاشِرَ النَّاسِ، لا تَضِلُّوا عَنْهُ وَلا تَنْفِرُوا مِنْهُ، وَلا تَسْتَنْكِفُوا عَنْ وِلايَتِهِ، فَهُوَ الَّذي يَهدي إلى الْحَقِّ وَيَعْمَلُ بِهِ، وَيُزْهِقُ الْباطِلَ وَيَنْهي عَنْهُ، وَلا تَأْخُذُهُ فِي الله لَوْمَةُ لائِم.

أَوَّلُ مَنْ آمَنَ بِالله وَرَسُولِهِ (لَمْ يَسْبِقْهُ إلى الأيمانِ بي أَحَدٌ)، وَالَّذي فَدي رَسُولَ الله بِنَفْسِهِ، وَالَّذي كانَ مَعَ رَسُولِ الله وَلا أَحَدَ يَعْبُدُ الله مَعَ رَسُولِهِ مِنَ الرِّجالِ غَيْرُهُ .

(أَوَّلُ النّاسِ صَلاةً وَأَوَّلُ مَنْ عَبَدَالله مَعي.

أَمَرْتُهُ عَنِ الله أَنْ يَنامَ في مَضْجَعي، فَفَعَلَ فادِياً لي بِنَفْسِهِ).

مَعاشِرَ النّاسِ، فَضِّلُوهُ فَقَدْ فَضَّلَهُ الله، وَاقْبَلُوهُ فَقَدْ نَصَبَهُ الله.

مَعاشِرَ النّاسِ، إِنَّهُ إِمامٌ مِنَ اللهِ، وَلَنْ يَتُوبَ اللهُ على أَحَد أَنْكَرَ وِلايَتَهُ وَلَنْ يَغْفِرَ لَهُ، حَتْماً على اللهِ أَنْ يَفْعَلَ ذلِكَ بِمَنْ خالَفَ أَمْرَهُ وَأَنْ يُعَذِّبَهُ عَذاباً نُكراً أَبَدَا الآبادِ وَدَهْرَ الدُّهورِ.

فَاحْذَرُوا أَنْ تُخالِفوهُ.

فَتَصْلُوا ناراً وَقودُهَا النَّاسُ وَالْحِجارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكافِرِينَ.

مَعاشِرَ النّاسِ، بي ـ وَاللهِ ـ بَشَّرَ الاْوَّلُونَ مِنَ النَّبِيّينَ وَالْمُرْسَلينَ، وَأَنَا ـ (وَاللهِ) ـ خاتَمُ الاْنْبِياءِ وَالْمُرْسَلينَ والْحُجَّةُ على جَميعِ المخلوقينَ مِنْ أَهْلِ السَّماواتِ وَالاْرَضينَ.

فَمَنْ شَكَّ في ذلِكَ فَقَدْ كَفَرَ كُفْرَ الْجاهِلِيَّةِ الأُولي وَمَنْ شَكَّ في شَيء مِنْ قَوْلي هذا فَقَدْ شَكَّ في كُلِّ ما أُنْزِلَ إِلَي، وَمَنْ شَكَّ في واحِد مِنَ الاْئمَّةِ فَقَدْ شَكَّ فِي الْكُلِّ مِنْهُمْ، وَالشَاكُّ فينا فِي النّارِ.

مَعاشِرَ النّاسِ، حَبانِي اللهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهذِهِ الْفَضيلَةِ مَنّاً مِنْهُ عَلَي وَإِحْساناً مِنْهُ إِلَي وَلا إِلاهَ إِلاّ هُوَ، أَلا لَهُ الْحَمْدُ مِنِّي أَبَدَ الآبِدينَ وَدَهْرَ الدّاهِرينَ وَعَلي كُلِّ حال.

مَعاشِرَ النّاسِ، فَضِّلُوا عَلِيّاً فَإِنَّهُ أَفْضَلُ النَّاسِ بَعْدي مِنْ ذَكَر وَأُنْثي ما أَنْزَلَ اللهُ الرِّزْقَ وَبَقِي الْخَلْقُ.

مَلْعُونٌ مَلْعُونٌ، مَغْضُوبٌ مَغْضُوبٌ مَنْ رَدَّ عَلَي قَوْلي هذا وَلَمْ يُوافِقْهُ.

أَلا إِنَّ جَبْرَئيلَ خَبَّرَني عَنِ اللهِ تَعالى بِذلِكَ وَيَقُولُ: «مَنْ عادي عَلِيّاً وَلَمْ يَتَوَلَّهُ فَعَلَيْهِ لَعْنَتي وَغَضَبي»، (وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ ما قَدَّمَتْ لِغَد وَاتَّقُوا اللهَ ـ أَنْ تُخالِفُوهُ فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِها ـ إِنَّ اللهَ خَبيرٌ بِما تَعْمَلُونَ).

مَعاشِرَ النَّاسِ، إِنَّهُ جَنْبُ اللهِ الَّذي ذَكَرَ في كِتابِهِ العَزيزِ، فَقالَ تعالى (مُخْبِراً عَمَّنْ يُخالِفُهُ): (أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يا حَسْرَتا على ما فَرَّطْتُ في جَنْبِ اللهِ).

مَعاشِرَ النّاسِ، تَدَبَّرُوا الْقُرْآنَ وَافْهَمُوا آياتِهِ وَانْظُرُوا إلى مُحْكَماتِهِ وَلا تَتَّبِعوا مُتَشابِهَهُ، فَوَاللهِ لَنْ يُبَيِّنَ لَكُمْ زواجِرَهُ وَلَنْ يُوضِحَ لَكُمْ تَفْسيرَهُ إِلاَّ الَّذي أَنَا آخِذٌ بِيَدِهِ

وَمُصْعِدُهُ إِلي وَشائلٌ بِعَضُدِهِ (وَرافِعُهُ بِيَدَي) وَمُعْلِمُكُمْ: أَنَّ مَنْ كُنْتُ مَوْلاهُ فَهذا عَلِي مَوْلاهُ، وَهُوَ عَلِي بْنُ أَبِي طالِب أَخي وَوَصِيّي، وَمُوالاتُهُ مِنَ الله عَزَّ وَجَلَّ أَنْزَلَها عَلَي .

مَعاشِرَ النّاسِ، إِنَّ عَلِيّاً وَالطَّيِّبينَ مِنْ وُلْدي (مِنْ صُلْبِهِ) هُمُ الثِّقْلُ الاْصْغَرُ، وَالْقُرْآنُ الثِّقْلُ الاْكْبَرُ، فَكُلُّ واحِد مِنْهُما مُنْبِئٌ عَنْ صاحِبِهِ وَمُوافِقٌ لَهُ، لَنْ يَفْتَرِقا حتّى يَرِدا عَلَيَّ الْحَوْضَ .

أَلا إِنَّهُمْ أُمَناءُ الله في خَلْقِهِ وَحُكّامُهُ في أَرْضِهِ .

أَلا وَقَدْ أَدَّيْتُ .

أَلا وَقَدْ بَلَّغْتُ، أَلا وَقَدْ أَسْمَعْتُ، أَلا وَقَدْ أَوْضَحْتُ، أَلا وَإِنَّ الله عَزَّ وَجَلَّ قالَ وَأَنَا قُلْتُ عَنِ الله عَزَّ وَجَلَّ، أَلا إِنَّهُ لا «أَميرَ الْمُؤْمِنينَ » غَيْرَ أَخي هذا، أَلا لا تَحِلُّ إِمْرَةُ الْمُؤْمِنينَ بَعْدي لاَِحَد غَيْرِهِ .

ثم قال: «أيّها النَّاسُ، مَنْ اَوْلي بِكُمْ مِنْ اَنْفُسِكُمْ؟ قالوا: الله وَرَسُولُهُ .

فَقالَ: أَلا من كُنْتُ مَوْلاهُ فَهذا عَلِيٌّ مَوْلاهُ، اللّٰهُمَّ والِ مَنْ والاهُ وَعادِ مَنْ عاداهُ وَانْصُرْ مَنْ نَصَرَهُ واخْذُلْ مَنْ خَذَلَهُ .

مَعاشِرَ النّاسِ، هذا عَلِي أَخي وَوَصيي وَواعي عِلْمي، وَخَليفَتي في أُمَّتي عَلي مَنْ آمَنَ بي وَعَلي تَفْسيرِ كِتابِ الله عَزَّ وَجَلَّ وَالدّاعي إِلَيْهِ وَالْعامِلُ بِما يَرْضاهُ وَالمحارِبُ لأَعْدائِهِ وَالْمُوالي على طاعَتِهِ وَالنّاهي عَنْ مَعْصِيَتِهِ .

إِنَّهُ خَليفَةُ رَسُولِ الله وَأَميرُ الْمُؤْمِنينَ وَالإمامُ الْهادي مِنَ الله، وَقاتِلُ النّاكِثينَ وَالْقاسِطينَ وَالْمارِقينَ بِأَمْرِ الله .

يَقُولُ الله: (ما يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيّ) .

بِأَمْرِكَ يا رَبِّ أَقولُ: اَللّٰهُمَّ والِ مَنْ والاهُ وَعادِ مَنْ عاداهُ (وَانْصُرْ مَنْ نَصَرَهُ وَاخْذُلْ مَنْ خَذَلَهُ) وَالْعَنْ مَنْ أَنْكَرَهُ وَاغْضِبْ على مَنْ جَحَدَ حَقَّهُ .

اللّٰهُمَّ إِنَّكَ أَنْزَلْتَ الآيَةَ في عَلِي وَلِيِّكَ عِنْدَ تَبْيينِ ذلِكَ وَنَصْبِكَ إِيّاهُ لِهذَا الْيَوْمِ: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتي وَرَضيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ ديناً﴾،

﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ ديناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخاسِرينَ﴾.

اللّٰهُمَّ إِنِّي أُشْهِدُكَ أَنِّي قَدْ بَلَّغْتُ .

مَعاشِرَ النّاسِ، إِنَّما أَكْمَلَ الله عَزَّ وَجَلَّ دينَكُمْ بِإِمامَتِهِ .

فَمَنْ لَمْ يَأْتَمَّ بِهِ وَبِمَنْ يَقُومُ مَقامَهُ مِنْ وُلْدي مِنْ صُلْبِهِ إِلى يَوْمِ الْقِيامَةِ وَالْعَرْضِ على الله عَزَّ وَجَلَّ فَأُولئِكَ الَّذينَ حَبِطَتْ أَعْمالُهُمْ ﴿فِي الدُّنْيا وَالآخِرَةِ﴾ وَفِي النّارِ هُمْ خالِدُونَ، ﴿لا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذابُ وَلا هُمْ يُنْظَرونَ﴾ .

مَعاشِرَ النّاسِ، هذا عَلِي، أَنْصَرُكُمْ لي وَأَحَقُّكُمْ بي وَأَقْرَبُكُمْ إِلَي وَأَعَزُّكُمْ عَلَي، وَالله عَزَّ وَجَلَّ وَأَنَا عَنْهُ راضِيانِ .

وَما نَزَلَتْ آيَةُ رِضاً (فِي الْقُرْآنِ) إِلاّ فيهِ، وَلا خاطَبَ الله الَّذينَ آمَنُوا إِلاّ بَدَأَ بِهِ، وَلا نَزَلَتْ آيَةُ مَدْح فِي الْقُرْآنِ إِلاّ فيهِ، وَلا شَهِدَ الله بِالْجَنَّةِ في ﴿هَلْ أَتى على الإِنْسانِ﴾ إِلاّ لَهُ، وَلا أَنْزَلَها في سِواهُ وَلا مَدَحَ بِها غَيْرَهُ .

مَعاشِرَ النّاسِ، هُوَ ناصِرُ دينِ الله وَالْمُجادِلُ عَنْ رَسُولِ الله، وَهُوَ التَّقِي النَّقِي الْهادِي الْمَهْدِي .

نَبِيُّكُمْ خَيْرُ نَبي وَوَصِيُّكُمْ خَيْرُ وَصِي (وَبَنُوهُ خَيْرُ الأَوْصِياءِ) .

مَعاشِرَ النّاسِ، ذُرِّيَّةُ كُلِّ نَبِي مِنْ صُلْبِهِ، وَذُرِّيَّتي مِنْ صُلْبِ (أَميرِالْمُؤْمِنينَ) عَلِي .

مَعاشِرَ النّاسِ، إِنَّ إِبْليسَ أَخْرَجَ آدَمَ مِنَ الْجَنَّةِ بِالْحَسَدِ، فَلا تَحْسُدُوهُ فَتَحْبِطَ أَعْمالُكُمْ وَتَزِلَّ أَقْدامُكُمْ، فَإِنَّ آدَمَ أُهْبِطَ إِلى الأَرْضِ بِخَطيئَة واحِدَة، وَهُوَ صَفْوَةُ الله عَزَّ وَجَلَّ، وَكَيْفَ بِكُمْ وَأَنْتُمْ أَنْتُمْ وَمِنْكُمْ أَعْداءُ الله، أَلا وَإِنَّهُ لا يُبْغِضُ عَلِيّاً إِلاّ شَقِي، وَلا يُوالي عَلِيّاً إِلاَّ تَقِي، وَلا يُؤْمِنُ بِهِ إِلاّ مُؤْمِنٌ مُخْلِصٌ .

وَفي عَلِي - وَالله - نَزَلَتْ سُورَةُ الْعَصْر: ﴿بِسْمِ الله الرَّحْمانِ الرَّحيمِ، وَالْعَصْرِ، إِنَّ الإِنْسانَ لَفي خُسْر﴾، (إِلاّ عَلِيّاً الّذي آمَنَ وَرَضِي بِالْحَقِّ وَالصَّبْرِ) .

مَعاشِرَ النّاسِ، قَدِ اسْتَشْهَدْتُ الله وَبَلَّغْتُكُمْ رِسالَتي وَما على الرَّسُولِ إِلاَّ الْبَلاغُ الْمُبينُ.

مَعاشِرَ النّاسِ، ﴿اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقاتِهِ وَلا تَموتُنَّ إلاّ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾.

مَعاشِرَ النّاسِ، ﴿آمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَالنَّورِ الَّذي أُنْزِلَ مَعَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهاً فَنَرُدَّها على أَدْبارِها أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَما لَعَنَّا أَصْحابَ السَّبْتِ﴾.

(بِاللهِ ما عَنى بِهذِهِ الآيَةِ إلاَّ قَوْماً مِنْ أَصْحابي أَعْرِفُهُمْ بِأَسْمائِهِمْ وَأَنْسابِهِمْ، وَقَدْ أُمِرْتُ بِالصَّفْحِ عَنْهُمْ فَلْيَعْمَلْ كُلُّ امْرِئٍ على ما يَجِدُ لِعَلِي في قَلْبِهِ مِنَ الْحُبِّ وَالْبُغْضِ).

مَعاشِرَ النّاسِ، النُّورُ مِنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ مَسْلوكٌ فِي ثُمَّ في عَلِي بْنِ أَبي طالِب، ثُمَّ فِي النَّسْلِ مِنْهُ إلى الْقائِمِ الْمَهْدِي الَّذي يَأْخُذُ بِحَقِّ اللهِ وَبِكُلِّ حَقّ هُوَ لَنا، لاَنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ جَعَلَنا حُجَّةً على الْمُقَصِّرينَ وَالْمُعانِدينَ وَالْمُخالِفينَ وَالْخائِنينَ وَالآثِمينَ وَالظّالِمينَ وَالْغاصِبينَ مِنْ جَميعِ الْعالَمينَ.

مَعاشِرَ النّاسِ، أُنْذِرُكُمْ أَنّي رَسُولُ اللهِ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِي الرُّسُلُ، أَفَإنْ مِتُّ أَوْ قُتِلْتُ انْقَلَبْتُمْ على أَعْقابِكُمْ؟ وَمَنْ يَنْقَلِبْ على عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللهُ الشّاكِرينَ (الصّابِرينَ).

أَلا وَإنَّ عَلِيّاً هُوَ الْمَوْصُوفُ بِالصَّبْرِ وَالشُّكْرِ، ثُمَّ مِنْ بَعْدِهِ وُلْدي مِنْ صُلْبِهِ .

مَعاشِرَ النّاسِ، لا تَمُنُّوا عَلَيَ بِإسْلامِكُمْ، بَلْ لا تَمُنُّوا على اللهِ فَيُحْبِطَ عَمَلَكُمْ وَيَسْخَطَ عَلَيْكُمْ وَيَبْتَلِيَكُمْ بِشُواظ مِنْ نار وَنُحاس، إنَّ رَبَّكُمْ لَبِا الْمِرْصادِ.

مَعاشِرَ النّاسِ، إنَّهُ سَيَكُونُ مِنْ بَعْدي أَئِمَّةٌ يَدْعُونَ إلى النّارِ وَيَوْمَ الْقِيامَةِ لايُنْصَرونَ .

مَعاشِرَ النّاسِ، إنَّ اللهَ وَأَنَا بَريئانِ مِنْهُمْ .

مَعاشِرَ النّاسِ، إنَّهُمْ وَأَنْصارَهُمْ وَأَتْباعَهُمْ وَأَشْياعَهُمْ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النّارِ وَلَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرينَ .

أَلا إنَّهُمْ أَصْحابُ الصَّحيفَةِ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ في صَحيفَتِهِ!!

مَعاشِرَ النّاسِ، إنّي أَدَعُها إمامَةً وَوِراثَةً (فِي عَقِبي إلى يَوْمِ الْقِيامَةِ)، وَقَدْ بَلَّغْتُ ما أُمِرتُ بِتَبْليغِهِ حُجَّةً على كُلِّ حاضِر وَغائِب وَعَلي كُلِّ أَحَد مِمَّنْ شَهِدَ أَوْلَمْ يَشْهَدْ، وُلِدَ أَوْلَمْ

يُولَدْ، فَلْيُبَلِّغِ الْحاضِرُ الْغائِبَ وَالْوالِدُ الْوَلَدَ إلى يَوْمِ الْقِيامَةِ .

وَسَيَجْعَلُونَ الإمامَةَ بَعْدي مُلْكاً وَاغْتِصاباً، (أَلا لَعَنَ الله الْغاصِبينَ الْمُغْتَصبينَ)، وَعِنْدَها سَيَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا الثَّقَلانِ (مَنْ يَفْرَغُ) وَيُرْسِلُ عَلَيْكُما شُواظٌ مِنْ نار وَنُحاسٌ فَلا تَنْتَصِرانِ .

مَعاشِرَ النّاسِ، إنَّ الله عَزَّ وَجَلَّ لَمْ يَكُنْ لِيَذَرَكُمْ على ما أَنْتُمْ عَلَيْهِ حتّى يَميزَ الْخَبيثَ مِنَ الطَّيِّبِ، وَما كانَ الله لِيُطْلِعَكُمْ على الْغَيْبِ .

مَعاشِرَ النّاسِ، إنَّهُ ما مِنْ قَرْيَة إلاّ وَالله مُهْلِكُها بِتَكْذيبِها قَبْلَ يَوْمِ الْقِيامَةِ وَمُمَلِّكُهَا الإمامَ الْمَهْدِي وَالله مُصَدِّقٌ وَعْدَهُ .

مَعاشِرَ النّاسِ، قَدْ ضَلَّ قَبْلَكُمْ أَكْثَرُ الأوَّلينَ، وَالله لَقَدْ أَهْلَكَ الأوَّلينَ، وَهُوَ مُهْلِكُ الآخِرينَ .

قالَ الله تَعالى: ﴿أَلَمْ نُهْلِكِ الأوَّلينَ، ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ الآخِرينَ، كذلِكَ نَفْعَلُ بِالمجْرِمينَ، وَيْلٌ يَوْمَئِذ لِلْمُكَذِّبينَ﴾.

مَعاشِرَ النّاسِ، إنَّ الله قَدْ أَمَرَني وَنَهاني، وَقَدْ أَمَرْتُ عَلِيّاً وَنَهَيْتُهُ (بِأَمْرِهِ) .

فَعِلْمُ الأمْرِ وَالنَّهْي لَدَيْهِ، فَاسْمَعُوا لأمْرِهِ تَسْلَمُوا وَأَطيعُوهُ تَهْتَدُوا وَانْتَهُوا لِنَهْيِهِ تَرشُدُوا، (وَصيرُوا إلى مُرادِهِ) وَلا تَتَفَرَّقْ بِكُمُ السُّبُلُ عَنْ سَبيلِهِ .

مَعاشِرَ النّاسِ، أَنَا صِراطُ الله الْمُسْتَقيمُ الَّذي أَمَرَكُمْ بِاتِّباعِهِ، ثُمَّ عَلِي مِنْ بَعْدي .

ثُمَّ وُلْدي مِنْ صُلْبِهِ أَئِمَّةُ (الْهُدى)، يَهْدونَ إلى الْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلونَ .

ثُمَّ قَرَأَ: «بِسْمِ الله الرَّحْمنِ الرَّحيمِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِ الْعالَمينَ .. » إلى آخِرِها، وَقالَ: فِيَّ نَزَلَتْ وَفيهِمْ (وَالله) نَزَلَتْ، وَلَهُمْ عَمَّتْ وَإِيَّاهُمْ خَصَّتْ، أُولئكَ أَوْلياءُ الله الَّذينَ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاهُمْ يَحْزَنونَ، أَلا إنَّ حِزْبَ الله هُمُ الْغالِبُونَ .

أَلا إنَّ أَعدائَهُمْ هُمُ السُّفَهاءُ الْغاوُونَ إِخْوانُ الشَّياطينِ يوحي بَعْضُهُمْ إلى بَعْض زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُروراً .

أَلا إِنَّ أَوْلِيائَهُمُ الَّذينَ ذَكَرَهُمُ الله في كِتابِهِ، فَقالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿لاتَجِدُ قَوْماً يُؤمِنُونَ بِالله وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوادُّونَ مَنْ حادَّ الله وَرَسُولَهُ وَلَوْ كانُوا آبائَهُمْ أَوْ أَبْنائَهُمْ أَوْ إِخْوانَهُمْ أَوْ عَشيرَتَهُمْ، أُولئِكَ كَتَبَ في قُلوبِهِمُ الإيمانَ﴾ إلى آخِرِ الآيَةِ .

أَلا إِنَّ أَوْلِيائَهُمُ الْمُؤْمِنونَ الَّذينَ وَصَفَهُمُ الله عَزَّ وَجَلَّ فَقالَ: (الَّذينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إيمانَهُمْ بِظُلْم أُولئِكَ لَهُمُ الأمْنُ وَهُمْ مُهْتَدونَ) .

﴿أَلا إِنَّ أَوْلِيائَهُمُ الَّذينَ آمَنُوا وَلَمْ يَرْتابوا﴾.

أَلا إِنَّ أَوْلِيائَهُمُ الَّذينَ يدْخُلونَ الْجَنَّةَ بِسَلام آمِنينَ، تَتَلَقّاهُمُ الْمَلائِكَةُ بِالتَّسْليمِ يَقُولونَ: سَلامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلوها خالِدينَ .

أَلا إِنَّ أَوْلِيائَهُمْ، لَهُمُ الْجَنَّةُ يُرْزَقونَ فيها بِغَيْرِ حِساب .

أَلا إِنَّ أَعْدائَهُمُ الَّذينَ يَصْلَونَ سَعيراً .

أَلا إِنَّ أَعْدائَهُمُ الَّذينَ يَسْمَعونَ لِجَهَنَّمَ شَهيقاً وَهِيَ تَفورُ وَيَرَوْنَ لَها زَفيراً .

أَلا إِنَّ أَعْدائَهُمُ الَّذينَ قالَ الله فيهِمْ: ﴿كُلَّما دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَها﴾ الآية.

أَلا إِنَّ أَعْدائَهُمُ الَّذينَ قالَ الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿كُلَّما أُلْقِيَ فيها فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُها أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذيرٌ، قالوا بَلى قَدْ جاءَنا نَذيرٌ فَكَذَّبْنا وَقُلْنا ما نَزَّلَ الله مِنْ شَيء إِنْ أَنْتُمْ إِلاّ في ضَلال كَبيرٍ﴾ إلى قَوله: ﴿أَلا فَسُحْقاً لأَصْحابِ السَّعيرِ﴾.

أَلا إِنَّ أَوْلِيائَهُمُ الَّذينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ، لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبيرٌ .

مَعاشِرَ النّاسِ، شَتّانَ ما بَيْنَ السَّعيرِ وَالأجْرِ الْكَبيرِ .

(مَعاشِرَ النّاسِ)، عَدُوُّنا مَنْ ذَمَّهُ الله وَلَعَنَهُ، وَوَلِيُّنا (كُلُّ) مَنْ مَدَحَهُ الله وَأَحَبَّهُ .

(مَعاشِرَ النّاسِ)، أَلا وَإِنّي (أَنَا) النَّذيرُ وَعَلِي الْبَشيرُ .

مَعاشِرَ النّاسِ، أَلا وَإِنّي مُنْذِرٌ وَعَلِي هاد .

مَعاشِرَ النّاس (أَلا) وَإِنّي نَبي وَعَلِي وَصِيّ .

(مَعاشِرَ النّاسِ، أَلا وَإِنّي رَسولٌ وَعَلِي الإمامُ وَالْوَصِي مِنْ بَعْدي، وَالأئِمَّةُ مِنْ بَعْدِهِ وُلْدُهُ .

أَلا وَإِنّي والِدُهُمْ وَهُمْ يَخْرُجونَ مِنْ صُلْبِهِ) .

أَلا إِنَّ خاتَمَ الأَئِمَةِ مِنّا الْقائِمَ الْمَهْدِي .

أَلا إِنَّهُ الظّاهِرُ على الدّينِ .

أَلا إِنَّهُ الْمُنْتَقِمُ مِنَ الظّالِمينَ .

أَلا إِنَّهُ فاتِحُ الْحُصُونِ وَهادِمُها .

أَلا إِنَّهُ غالِبُ كُلِّ قَبيلَة مِنْ أَهْلِ الشِّرْكِ وَهاديها .

أَلا إِنَّهُ الْمُدْرِكُ بِكُلِّ ثار لأَوْلِياءِ الله .

أَلا إِنَّهُ النّاصِرُ لِدينِ الله .

أَلا إِنَّهُ الْغَرّافُ مِنْ بَحْر عَميق .

أَلا إِنَّهُ يَسِمُ كُلَّ ذي فَضْل بِفَضْلِهِ وَكُلَّ ذي جَهْل بِجَهْلِهِ .

أَلا إِنَّهُ خِيَرَةُ الله وَمُخْتارُهُ .

أَلا إِنَّهُ وارِثُ كُلِّ عِلْم وَالُمحيطُ بِكُلِّ فَهْم .

أَلا إِنَّهُ المخْبِرُ عَنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَالْمُشَيِّدُ لأَمْرِ آياتِهِ .

أَلا إِنَّهُ الرَّشيدُ السَّديدُ .

أَلا إِنَّهُ الْمُفَوَّضُ إِلَيْهِ .

أَلا إِنَّهُ قَدْ بَشَّرَ بِهِ مَنْ سَلَفَ مِنَ الْقُرونِ بَيْنَ يَدَيْهِ .

أَلا إِنَّهُ الْباقي حُجَّةً وَلا حُجَّةَ بَعْدَهُ وَلا حَقَّ إِلاّ مَعَهُ وَلا نُورَ إِلاّ عِنْدَهُ .

أَلا إِنَّهُ لا غالِبَ لَهُ وَلا مَنْصورَ عَلَيْهِ .

أَلا وَإِنَّهُ وَلِي الله في أَرْضِهِ، وَحَكَمُهُ في خَلْقِهِ، وَأَمينُهُ في سِرِّهِ وَعلانِيَتِهِ .

مَعاشِرَ النّاسِ، إِنّي قَدْ بَيَّنْتُ لَكُمْ وَأَفْهَمْتُكُمْ، وَهذا عِلي يُفْهِمُكُمْ بَعْدي .

أَلا وَإِنّي عِنْدَ انْقِضاءِ خُطْبَتي أَدْعُوكُمْ إلى مُصافَقَتي على بَيْعَتِهِ وَالإِقْرارِ بِهِ، ثُمَّ مُصافَقَتِهِ بَعْدي .

أَلا وَإِنّي قَدْ بايَعْتُ الله وَعَلِي قَدْ بايَعَني .

وَأَنَا آخِذُكُمْ بِالْبَيْعَةِ لَهُ عَنِ الله عَزَّ وَجَلَّ .

﴿إِنَّ الَّذينَ يُبايِعُونَكَ إِنَّما يُبايِعُونَ الله، يَدُ الله فَوْقَ أَيْديهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّما يَنْكُثُ على نَفْسِهِ، وَمَنْ أَوْفي بِما عاهَدَ عَلَيْهُ الله فَسَيُؤْتيهِ أَجْراً عَظيماً﴾.

مَعاشِرَ النّاسِ، إِنَّ الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ مِنْ شَعائرِ الله، ﴿فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلا جُناحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِما﴾ الآيَة .

مَعاشِرَ النّاسِ، حُجُّوا الْبَيْتَ، فَما وَرَدَهُ أَهْلُ بَيْت إِلاَّ اسْتَغْنَوْا وَأُبْشِروا، وَلا تَخَلَّفوا عَنْهُ إِلاّ بَتَرُوا وَافْتَقَرُوا .

مَعاشِرَ النّاسِ، ما وَقَفَ بِالْمَوْقِفِ مُؤْمِنٌ إِلاَّ غَفَرَ الله لَهُ ما سَلَفَ مِنْ ذَنْبِهِ إِلى وَقْتِهِ ذلِكَ، فَإِذا انْقَضَتْ حَجَّتُهُ اسْتَأْنَفَ عَمَلَهُ .

مَعاشِرَ النّاسِ، الْحُجّاجُ مُعانُونَ وَنَفَقاتُهُمْ مُخَلَّفَةٌ عَلَيْهِمْ وَالله لايُضيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنينَ .

مَعاشِرَ النّاسِ، حُجُّوا الْبَيْتَ بِكَمالِ الدّينِ وَالتَّفَقُّهِ، وَلا تَنْصَرِفُوا عَنِ الْمَشاهِدِ إِلاّ بِتَوْبَة وَإِقْلاع .

مَعاشِرَ النّاسِ، أَقيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكاةَ كَما أَمَرَكُمُ الله عَزَّ وَجَلَّ، فَإِنْ طالَ عَلَيْكُمُ الأمَدُ فَقَصَّرْتُمْ أَوْ نَسيتُمْ فَعَلِي وَلِيُّكُمْ وَمُبَيِّنٌ لَكُمْ، الَّذي نَصَبَهُ الله عَزَّ وَجَلَّ لَكُمْ بَعْدي أَمينَ خَلْقِهِ .

إِنَّهُ مِنّي وَأَنَا مِنْهُ، وَهُوَ وَمَنْ تَخْلُفُ مِنْ ذُرّيَّتي يُخْبِرونَكُمْ بِما تَسْأَلُونَ عَنْهُ وَيُبَيِّنُونَ لَكُمْ ما لا تَعْلَمُونَ .

أَلا إِنَّ الْحَلالَ وَالْحَرامَ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ أُحصِيَهُما وَأُعَرّفَهُما فَآمُرَ بِالْحَلالِ وَانْهَي عَنِ الْحَرامِ في مَقام واحِد، فَأُمِرْتُ أَنْ آخُذَ الْبَيْعَةَ مِنْكُمْ وَالصَّفْقَةَ لَكُمْ بِقَبُولِ ما جِئْتُ بِهِ عَنِ الله عَزَّ وَجَلَّ في عَلِي أميرِ الْمُؤْمِنينَ وَالأَوْصياءِ مِنْ بَعْدِهِ الَّذينَ هُمْ مِنّي وَمِنْهُ إمامَةٌ فيهِمْ قائِمَةٌ، خاتِمُها الْمَهْدي إلى يَوْم يَلْقَي الله الَّذي يُقَدِّرُ وَيَقْضي .

مَعاشِرَ النّاسِ، وَكُلُّ حَلال دَلَلْتُكُمْ عَلَيْهِ وَكُلُّ حَرام نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ فَإِنّي لَمْ أَرْجِعْ عَنْ ذلِكَ وَلَمْ أُبَدِّلْ.

أَلا فَاذْكُرُوا ذلِكَ وَاحْفَظُوهُ وَتَواصَوْا بِهِ، وَلا تُبَدِّلُوهُ وَلا تُغَيِّرُوهُ.

أَلا وَإِنّي أُجَدِّدُ الْقَوْلَ: أَلا فَأَقيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكاةَ وَأْمُرُوا بِالْمَعْروفِ وَانْهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ.

أَلا وَإِنَّ رَأْسَ الأمْرِ بِالْمَعْرُوفِ أَنْ تَنْتَهُوا إلى قَوْلي وَتُبَلِّغُوهُ مَنْ لَمْ يَحْضُرْ وَتَأْمُرُوهُ بِقَبُولِهِ عَنّي وَتَنْهَوْهُ عَنْ مُخالَفَتِهِ، فَإِنَّهُ أَمْرٌ مِنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَمِنّي .

وَلا أَمْرَ بِمَعْروف وَلا نَهْيَ عَنْ مُنْكَر إلاَّ مَعَ إمام مَعْصوم .

مَعاشِرَ النّاسِ، الْقُرْآنُ يُعَرِّفُكُمْ أَنَّ الأئِمَّةَ مِنْ بَعْدِهِ وُلْدُهُ، وَعَرَّفْتُكُمْ إِنَّهُمْ مِنّي وَمِنْهُ، حَيْثُ يَقُولُ اللهُ في كِتابِهِ: ﴿وَجَعَلَها كَلِمَةً باقِيَةً في عَقِبِهِ﴾.

وَقُلْتُ: «لَنْ تَضِلُّوا ما إنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِما» .

مَعاشِرَ النّاسِ، التَّقْوى، التَّقْوى، وَاحْذَرُوا السّاعَةَ كَما قالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ السّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾.

أُذْكُرُوا الْمَماتَ (وَالْمَعادَ) وَالْحِسابَ وَالْمَوازينَ وَالمحاسَبَةَ بَيْنَ يَدَي رَبِّ الْعالَمينَ وَالثَّوابَ وَالْعِقابَ.

فَمَنْ جاءَ بِالْحَسَنَةِ أُثيبَ عَلَيْها وَمَنْ جاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَيْسَ لَهُ فِي الجِنانِ نَصيبٌ .

مَعاشِرَ النّاسِ، إنَّكُمْ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ تُصافِقُوني بِكَفّ واحِد في وَقْت واحِد، وَقَدْ أَمَرَني اللهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ آخُذَ مِنْ أَلْسِنَتِكُمُ الإقْرارَ بِما عَقَّدْتُ لِعَلِي أَميرِالْمُؤْمنينَ، وَلِمَنْ جاءَ بَعْدَهُ مِنَ الأئِمَّةِ مِنّي وَمِنْهُ، عَلي ما أَعْلَمْتُكُمْ أَنَّ ذُرِّيَّتي مِنْ صُلْبِهِ .

فَقُولُوا بِأَجْمَعِكُمْ: إنّا سامِعُونَ مُطيعُونَ راضُونَ مُنْقادُونَ لِما بَلَّغْتَ عَنْ رَبِّنا وَرَبِّكَ في أَمْرِ إمامِنا عَلِي أَميرِالْمُؤْمِنينَ وَمَنْ وُلِدَ مِنْ صُلْبِهِ مِنَ الأئِمَّةِ .

نُبايِعُكَ على ذلِكَ بِقُلوُبِنا وَأَنْفُسِنا وَأَلْسِنَتِنا وَأَيْدينا .

على ذلِكَ نَحْيي وَعَلَيْهِ نَموتُ وَعَلَيْهِ نُبْعَثُ.

وَلا نُغَيِّرُ وَلا نُبَدِّلُ، وَلا نَشُكُّ (وَلا نَجْحَدُ) وَلا نَرْتابُ، وَلا نَرْجِعُ عَنِ الْعَهْدِ وَلا نَنْقُضُ الْميثاقَ .

وَعَظْتَنا بِوَعْظِ الله في عَلِي أَميرِالْمُؤْمِنينَ وَالاَئِمَّةِ الَّذينَ ذَكَرْتَ مِنْ ذُرِّيتِكَ مِنْ وُلْدِهِ بَعْدَهُ، الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ وَمَنْ نَصَبَهُ الله بَعْدَهُما .

فَالْعَهْدُ وَالْميثاقُ لَهُمْ مَأْخُوذٌ مِنَّا، مِنْ قُلُوبِنا وَأَنْفُسِنا وَأَلْسِنَتِنا وَضَمائِرِنا وَأَيْدينا .

مَنْ أَدْرَكَها بِيَدِهِ وَإِلاَّ فَقَدْ أَقَرَّ بِلِسانِهِ، وَلا نَبْتَغي بِذلِكَ بَدَلاً وَلايَرَي الله مِنْ أَنْفُسِنا حِوَلاً .

نَحْنُ نُؤَدّي ذلِكَ عَنْكَ الّداني والقاصي مِنْ اَوْلادِنا واَهالينا، وَنُشْهِدُ الله بِذلِكَ وَكَفى بِالله شَهيداً وَأَنْتَ عَلَيْنا بِهِ شَهيدٌ » .

مَعاشِرَ النّاسِ، ما تَقُولونَ؟ فَإِنَّ الله يَعْلَمُ كُلَّ صَوْت وَخافِيَةَ كُلِّ نَفْس، ﴿فَمَنِ اهْتَدى فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّما يَضِلُّ عَلَيْها﴾، وَمَنْ بايَعَ فَإِنَّما يُبايِعُ الله، ﴿يَدُ الله فَوْقَ أَيْديهِمْ﴾.

مَعاشِرَ النّاسِ، فَبايِعُوا الله وَبايِعُوني وَبايِعُوا عَلِيّاً أَميرَالْمُؤْمِنينَ وَالْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ وَالاَئِمَّةَ (مِنْهُمْ فِي الدُّنْيا وَالآخِرَةِ) كَلِمَةً باقِيَةً .

يُهْلِكُ الله مَنْ غَدَرَ وَيَرْحَمُ مَنْ وَفي، ﴿وَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّما يَنْكُثُ على نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفي بِما عاهَدَ عَلَيْهُ الله فَسَيُؤْتيهِ أَجْراً عَظيماً﴾.

مَعاشِرَ النّاسِ، قُولُوا الَّذي قُلْتُ لَكُمْ وَسَلِّمُوا على عَلي بِإِمْرَةِ الْمُؤْمِنينَ، وَقُولُوا: ﴿سَمِعْنا وَأَطَعْنا غُفْرانَكَ رَبَّنا وَإِلَيْكَ الْمَصيرُ﴾، وَقُولوا: ﴿اَلْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذي هَدانا لِهذا وَما كُنّا لِنَهْتَدِي لَوْلا أَنْ هَدانَا الله﴾ الآية .

مَعاشِرَ النّاسِ، إنَّ فَضائِلَ عَلي بْنِ أَبي طالِب عِنْدَ الله عَزَّ وَجَلَّ ـ وَقَدْ أَنْزَلَها فِي الْقُرْآنِ ـ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ أُحْصِيَها في مَقام واحِد، فَمَنْ أَنْبَأَكُمْ بِها وَعَرَفَها فَصَدِّقُوهُ .



مَعاشِرَ النّاسِ، مَنْ يُطِعِ الله وَرَسُولَهُ وَعَلِيّاً وَالائِمَّةَ الَّذينَ ذَكَرْتُهُمْ فَقَدْ فازَ فَوْزاً عَظيماً .

مَعاشِرَ النَّاسِ، السّابِقُونَ إلى مُبايَعَتِهِ وَمُوالاتِهِ وَالتَّسْليمِ عَلَيْهِ بِإمْرَةِ الْمُؤْمِنينَ أُولئكَ هُمُ الْفائزُونَ في جَنّاتِ النَّعيمِ .

مَعاشِرَ النّاسِ، قُولُوا ما يَرْضَي الله بِهِ عَنْكُمْ مِنَ الْقَوْلِ، فَإنْ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الأَرْضِ جَميعاً فَلَنْ يَضُرَّ الله شَيْئاً .

اللّٰهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُؤْمِنينَ (بِما أَدَّيْتُ وَأَمَرْتُ) وَاغْضِبْ على (الْجاحِدينَ) الْكافِرينَ، وَالْحَمْدُ لِلّهِ رَبِّ الْعالَمينَ.



* هوامش البحث *

(١) انظر: الشافي للمرتضى ٢: ٢٦١ ـ ٢٦٢، والذخيرة: ٤٤٣، وتقريب المعارف لأبي الصلاح: ٢٠٥.

(٢) كنز الفوائد للكراجكي ٢: ٨٥.

(٣) نهاية العقول للفخر الرازي: ٣٨٢ (خ).

(٤) النجاة في القيامة لابن ميثم: ١٢٥.

(٥) الصراط المستقيم للبياضي ١: ٣٠٦.

(٦) عماد الإسلام للسيد دلدار علي ٤: ٢١٧ (خ)، عبقات الأنوار لمير حامد حسين ٢: ٧ ـ ٨.

(٧) تقريب المعارف لإبي الصلاح الحلبي: ٢٠٦ ـ ٢٠٧.

(٨) تقريب المعارف للحلبي: ٢٠٨ ـ ٢٠٩.

(٩) الشافي للمرتضى ٢: ٢٦٢، وانظر: كنز الفوائد للكراجكي ٢: ٨٦، تمهيد الأصول للطوسي: ٣٩٤.

(١٠) تقريب المعارف للحلبي: ٢٠٧.

(١١) النجاة في القيامة لابن ميثم: ١١٠.

(١٢) الأربعين للرازي: ٢٩٨.

(١٣) نهاية العقول للفخر الرازي: ٣٨٣ (خ).

(١٤) النجاة في القيامة لابن ميثم: ١٢٧.

(١٥) الشافي للمرتضى ٢: ٢٦٢ ـ ٢٦٣، تلخيص الشافي للطوسي ٢: ١٧٠.

(١٦) نهاية العقول للفخر للرازي: ٣٨٢ (خ)، وذكر هذه الشبهة كلّ من الآمدي (ت٦٣١) في أبكار الأفكار ٥: ١٨١، والتفتازاني (ت٧٩٣) في شرح المقاصد ٥: ٢٧٤، والجرجاني (ت٨١٦) في شرح المواقف ٨: ٣٦١، والقوشجي (ت٨٧٩) في الشرح التجريد: ٣٦٩، وقد أشار السيد المرتضى (ت٤٣٦) الى هذه الشبهة في الشافي ٢: ٢٦٣ وردّها.

(١٧) النجاة في القيامة لابن ميثم: ١٢٥، الصراط المستقيم للبياضي ١: ٣٠٦ ملخّصاً.

(١٨) فتح الباري لابن حجر ٧: ١٤٧، عنه العبقات، حديث الغدير ٦: ٣٧.

(١٩) المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري ١: ٤١،

(٢٠) شرح صحيح مسلم للنووي ١: ٢٤، عنه العبقات، حديث الغدير ٢: ٢٧٠.

(٢١) المنهل الروي في علم اصول حديث النبي صلى الله عليه وآله: ٦، عنه العبقات، حديث الغدير ٢: ٢٧٠ .

(٢٢) زاد المعاد لابن القيم ٤: ٦٠، عنه العبقات، حديث الغدير ٢: ٢٧٢ ـ ٢٧٣.

(٢٣) صحيح البخاري ٣: ٤٦ غزوة خيبر، صحيح مسلم ٥: ١٥٤ كتاب الجهاد.

(٢٤) فتح الباري لابن حجر ٧: ٣٧٩.

(٢٥) إزالة الغين: ٥٨٢، عنه العبقات، حديث الغدير ٢: ٣٠٣.

(٢٦) المصدر نفسه ٥٩٣، عنه العبقات، حديث الغدير ٢: ٣١٠.

(٢٧) منهاج السنة لابن تيمية ٧: ٢١٥، ٥: ١٠١.

(٢٨) الإمتاع في أحكام السماع للأدفوي: ٢٠٩، الفصل العاشر في الكلام على الآلات، عنه العبقات حديث الغدير ٢: ٣٣٣ ـ ٣٣٥.

(٢٩) سير أعلام النبلاء للذهبي ١٢: ٢٨١.

(٣٠) ميزان الاعتدال للذهبي ١: ١٢٦، تهذيب الكمال للمزي ١: ٤١٩.

(٣١) سير أعلام النبلاء للذهبي ١٣: ٧١.

(٣٢) أشار الى ذلك الذهبي في المغني ٢: ٢٦٨، وأيضاً في طبقات السبكي ١: ١٩٠ وفيض القدير للمناوي ١: ١٠ .

(٣٣) سير أعلام النبلاء للذهبي: ١٢: ٤٥٦، فتح الباري لابن حجر ١: ٤٩٢.

(٣٤) سير أعلام النبلاء للذهبي ١٢: ٤٥٩ .

(٣٥) المصدر نفسه ١٢: ٤٦٠.

(٣٦) مناقب الشافعي للرازي: ١٤٨، عنه العبقات، حديث الغدير ٢: ٣٣٥.

(٣٧) الغدير للعلاّمة الأميني ١: ٥٨٠.

(٣٨) البداية والنهاية ٥: ٢١٤.

(٣٩) نهاية العقول للرازي: ٣٨٢ (خ)، وتبعه الآمدي في أبكار الأفكار ٥: ١٨١، والجرجاني في شرح المواقف ٨: ٣٦١، والزعبي في البينات في الرد على أباطيل المراجعات ٢: ١٥٠.



(٤٠) منهاج السنة لابن تيمية ٧: ٣١٩، واقتضاء الصراط المستقيم: ٤١٨، المقدسي رسالة في الردّ على الرافضة :٢١٩، القفاري في أصول مذهب الشيعة ٢: ٣٠٩.
(٤١) الشافي للمرتضى ٢: ٢٦٣ ـ ٢٦٤، تلخيص الشافي للطوسي ٢: ١٧٠، وتمهيد الأصول: ٣٩٤.
(٤٢) كنز الفوائد للكراجكي ٢: ٨٧.
(٤٣) منهاج السنة لابن تيمية ٢: ٢٠٧، عنه العبقات، حديث الغدير ٣: ٨٦.
(٤٤) الشافي للمرتضى ٢: ٢٦٤، تلخيص الشافي للطوسي ٢: ١٧٣، تمهيد الاصول: ٣٩٤، المنقذ من التقليد للحمصي ٢: ٣٣٥ .
(٤٥) تقريب المعارف لإبي الصلاح الحلبي: ٢٠٧ ـ ٢٠٨.
(٤٦) الخصائص للنسائي: ١٧.
(٤٧) سير أعلام النبلاء للذهبي ١٣: ٢٢٨.
(٤٨) م ن.
(٤٩) سير أعلام النبلاء للذهبي ١٣: ٢٦٠.
(٥٠) م ن ١٣: ٨١.
(٥١) كنز الفوائد للكراجكي ٣: ٨٧.
(٥٢) فتح الباري ٧: ١٤٢.
(٥٣) عمدة القاري للعيني ٩: ٢٤٥.
(٥٤) فيض القدير للمناوي ٥: ١٣٤.
(٥٥) الاستيعاب: رقم ١٨٥٥، عنه الغدير للأميني ١: ٤٥٤.
(٥٦) تذكرة الخواص: ٢٩ ـ ٣٠، عنه الغدير للأميني ١: ٥٤٦.
(٥٧) كفاية الطالب: ٦٤، عنه الغدير للأميني ١: ٥٤٧.
(٥٨) العروة لأهل الخلوة: ٤٢٢، عنه الغدير للأميني ١: ٥٤٨.
(٥٩) المواهب اللدنية ٣: ٣٦٥، عنه الغدير للأميني ١: ٥٥٢.
(٦٠) وسيلة المال: ١١٧، ١١٨، عنه الغدير للأميني ١: ٥٥٧.
(٦١) شرح المواهب ٧: ١٣، عنه الغدير للأميني ١: ٥٦٣.
(٦٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل ٣: ٧١.
(٦٣) المناقب لابن المغازلي: ٣٧ ح ٣٩.
(٦٤) المناقب لإبن شهر آشوب ٣: ٣٣ ـ ٣٥.
(٦٥) نهج الإيمان لابن جبر: ١٣٣.
(٦٦) الإقبال لإبن طاوس ٢: ٢٣٩.
(٦٧) الطرائف لابن طاوس ١: ٢١٢ ـ ٢١٥.

(٦٨) بناء المقالة الفاطمية لأحمد بن طاووس: ٢٩٩ ـ ٣٠٢.
(٦٩) سير أعلام النبلاء للذهبي ١٤: ٢٧٦.
(٧٠) فتح الباري لابن حجر ٧: ٦٠.
(٧١) الصواعق المحرقة ١: ١٠٦ ـ ١٠٧.
(٧٢) كشف الخفاء للعجلوني: ٣٢٤ رقم ٢٥٩١.
(٧٣) الفصل لابن حزم ٣: ٧١ .
(٧٤) غياث الامم للجويني: ٢٨ .
(٧٥) نصب الراية للزيلعي ١: ٤٨٣، عنه تحفة الأحوذي للمباركفوري ٣: ١٣٧ .
(٧٦) أثر الإمامة، السالوس: ٩١.
(٧٧) البداية والنهاية لابن كثير ٥: ٢٢٨، والسيرة النبوية ٤: ٤١٤.
(٧٨) نقله عنه السيوطي في اتمام الدراية: ٥٤، راجع العبقات، حديث الغدير ٦: ٣٥ .
(٧٩) الذخيرة للمرتضى: ٤٤٣.
(٨٠) تمهيد الأصول للطوسي: ٣٩٣.
(٨١) العمدة لابن البطريق: ١١٢.
(٨٢) نهج الإيمان لابن جبر: ١٢٢، ١٢٣، ونحوه الصراط المستقيم للبياضي ١: ٣١٣.
(٨٣) المعيار والموازنة: ٢١٠.
(٨٤) سير أعلام النبلاء ٨: ٣٣٤.
(٨٥) البداية والنهاية ٥: ٢٣٤.
(٨٦) أسنى المطالب: ٣، عنه العبقات، حديث الغدير ١: ١٧٢.
(٨٧) الأربعين: ١١، عنه العبقات، حديث الغدير، ١: ٢٢٤.
(٨٨) المرقاة شرح المشكاة ١٠: ٤٦٤ ح ٦٠٩١.
(٨٩) فيض القدير للمناوي ٦: ٢١٨ ح ٩٠٠٠.
(٩٠) الأبحاث المسدّدة في الفنون المتعدّدة: ١٢٢، عنه العبقات، حديث الغدير ١: ٢٢٩ ـ ٢٣١.
(٩١) البيان والتعريف ٢: ١٣٦، ٢٣٠، عنه الغدير للأميني ١: ٥٦٣.
(٩٢) شرح المواهب ٧: ١٣، عنه الغدير للأميني ١: ٥٦٣.
(٩٣) كشف الخفاء للعجلوني: ٣٢٤.
(٩٤) الصلاة الفاخرة: ٤٩ عنه الغدير للأميني ١: ٥٦٦ .
(٩٥) الروضة الندية شرح التحفة العلوية: ٦٧، عنه العبقات، حديث الغدير ١: ٢٢٩ ـ ٢٣١.
(٩٦) روح المعاني ٥: ١٩٥.
(٩٧) سلسلة الأحاديث الصحيحة ٤: ٣٤٣.



(٩٨) تشنيف الآذان: ٧٧.
(٩٩) المقالات السنية: ٣٦٠ ـ ٣٦١.
(١٠٠) شرح المقاصد ٥: ٢٧٤.
(١٠١) الإرشاد للجويني: ٣٥٥.
(١٠٢) الأربعين: ٢٩٨.
(١٠٣) أبكار الأفكار ٥: ١٨١.
(١٠٤) شرح تجريد العقائد: ٣٦٩.
(١٠٥) الصواعق المحرقة ١: ١٠٧، عنه السيرة الحلبية ٣: ٢٧٥ ملخّصاً.
(١٠٦) المفصح في الإمامة (ضمن رسائل الشيخ الطوسي): ١٣٤.
(١٠٧) المحلّى لابن حزم ٩: ٧، عنه العبقات، حديث الغدير ٦: ١٩.
(١٠٨) النجاة في القيامة لابن ميثم: ١٢٦.
(١٠٩) م ن: ١٢٦.
(١١٠) سير أعلام النبلاء للذهبي ١١: ٢٩٧.
(١١١) م ن ٧: ١٤٢.
(١١٢) تاريخ الإسلام (المغازي): ٧٠١ .
(١١٣) كتاب الثقات ٢: ١٢٤، الطبقات لابن سعد ٢: ١٧٢، نهاية الإرب للنويري ١٧: ٣٧١، المغازي للواقدي ٢: ١٠٨٨ .
(١١٤) الكافي للكليني ٤: ٢٤٥ .
(١١٥) سفر السعادة: ٧٠ .
(١١٦) صحيح مسلم ٢: ٧٢١ ح١٣٨، المصنّف لابن أبي شيبة ٤: ٣٢٤ ح١، ممّا يدلّ على الاستنفار العام .
(١١٧) الشريعة ٣: ٢١٦ ح١٥٧٧ .
(١١٨) المعجم الكبير للطبراني ٢: ٣٥٧ ح٢٥٠٥ .
(١١٩) تخريج الأحاديث للزيلعي ٢: ٢٤٠ رقم ٦٨١ .
(١٢٠) تفسير فرات الكوفي: ٥١٦ ح٦٧٥ .
(١٢١) أسد الغابة ١: ٦٦٦٩ رقم ١٠٣١ .
(١٢٢) اكمال تهذيب الكمال ٣: ٣٥١ رقم ١١٤٤ .
(١٢٣) المناقب لابن شهر آشوب ٣: ٢٦، البحار ٣٧: ١٥٨ .
(١٢٤) تفسير العياشي ١: ٣٣٢، البحار ٣٧: ١٤٠ ح٣٣ .
(١٢٥) جامع الأخبار: ٤٧، البحار ٣٧: ١٦٥ ح٤٢ .

(١٢٦) إمتاع الأسماع ٢: ١١٢ .

(١٢٧) السيرة الحلبية ٣: ٣٠٨ .

(١٢٨) نهج الإيمان: ١٢٢ .

(١٢٩) الاحتجاج للطبرسي ١: ١٣٤، كما أشار إلى العدد الحلبي في سيرته ٣: ٣٠٨ .

(١٣٠) نهج الإيمان: ١٢٢ .

(١٣١) السيرة الحلبية ٣: ٣٠٨، اتحاف الورى بأخبار أمّ القرى ١: ٥٦٨ .

(١٣٢) السيرة الحلبية ٣: ٣٠٨، اتحاف الورى ١: ٥٦٨ .

(١٣٣) تذكرة الخواص: ٣٠، السيرة الحلبيّة ٣: ٣٠٨، اتحاف الورى ١: ٥٦٨ .

(١٣٤) حجّة الوداع لابن حزم: ٣٤، ٥١ .

(١٣٥) السيرة الحلبية ٣: ٣٠٨ .

(١٣٦) اتحاف الورى بأخبار أمّ القرى ١: ٥٦٨ .

(١٣٧) حجة الوداع لابن حزم: ٣٤: ٥١ .

(١٣٨) سنن أبي داود: ٣٠٦ ح١٩٨٩ .

(١٣٩) الإقبال لابن طاووس ٢: ٢٣٩.

(١٤٠) عنه عبقات الأنوار، حديث الغدير ١: ١٢٤.

(١٤١) معجم الأُدباء ١٨: ٨٤.

(١٤٢) سير أعلام النبلاء ١٤: ٢٧٦، وفي تذكرة الحفاظ ٢: ٧١٣ وقال: فاندهشت له ولكثرة تلك الطرق.

(١٤٣) البداية والنهاية ١١: ١٦٧ ترجمة الطبري.

(١٤٤) م ن ٥: ٢٢٨، السيرة النبوية ٤: ٤١٤، عنه الآلوسي في روح المعاني ٥: ١٩٥.

(١٤٥) تهذيب التهذيب ٧: ٢٩٧ رقم ٥٦٦.

(١٤٦) أثر الإمامة للسالوس: ٩١.

(١٤٧) الطرائف لابن طاوس ١: ٢١٢ ـ ٢١٥، والإقبال ٢: ٢٣٩ ملخّصاً، كما أشار الى كتاب ابن عقدة كل من ابن شهر آشوب في المناقب ٣: ٣٤، وابن البطريق في العمدة: ١١٢، وابن جبر في نهج الإيمان ١٣٣ ـ ١٣٤، وغيرهم من علمائنا.

(١٤٨) فتح الباري ٧: ٦٠.

(١٤٩) تهذيب التهذيب ٧: ٢٩٧ رقم ٥٦٦.

(١٥٠) رجال النجاشي: ٢٣٢ رقم ٦١٧، عنه الغدير للأميني ١: ٣١٧.

(١٥١) رسالة أبي غالب الزراري: ١٨٠، عنه الغدير للأميني ١: ٣١٧.

(١٥٢) رجال النجاشي: ٣٩٦ رقم ١٠٥٩، عنه الغدير للأميني ١: ٣١٧.



(١٥٣) كفاية الطالب: ٦٠، عنه الغدير للأميني ١: ٣١٧.
(١٥٤) الفهرست: ١٥٦ رقم ٣٦٠، عنه الغدير للأميني ١: ٣١٧.
(١٥٥) م ن: ٦٩ رقم ١٦٦، عنه الغدير للأميني ١: ٣١٨.
(١٥٦) رجال النجاشي: ٢٦٩ رقم ٧٠٦، عنه الغدير للأميني ١: ٣١٨.
(١٥٧) المناقب لابن شهر آشوب ٣: ٣٤٠، والإقبال ٢: ٢٣٩.
(١٥٨) تذكره الحفاظ ٣: ١٠٤٢ رقم ٩٦٢.
(١٥٩) بناء المقالة الفاطمية: ٣٠٢.
(١٦٠) نقله عنه ابن جبر في نهج الإيمان: ١٣٣، والبياضي في الصراط المستقيم ١: ٣٠١، وانظر القندوزي في ينابيع المودة ١: ٣٤.
(١٦١) الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم ٣: ٧١.
(١٦٢) غياث الأُمم للجويني: ٢٨.
(١٦٣) رسالة في الرد على الرافضة: ٢١٣.
(١٦٤) الصواعق المحرقة ١: ١٠٧.
(١٦٥) السيرة الحلبية ٣: ٢٧٤.
(١٦٦) أنا مدين في هذا المدخل إلى ما كتبه فضيلة الشيخ أمير تقدمي في كتابه القيّم «نور الأمير في تثبيت خطبة الغدير» .
(١٦٧) تاريخ الإسلام (المغازي): ٧٠١.
(١٦٨) كتاب الثقات ٢ :١٢٤، ونحوه الطبقات لابن سعد ٢ :١٧٢، نهاية الأرب للنويرى ١٧ :٣٧١.
(١٦٩) سفر السعادة: ٧٠.
(١٧٠) السيرة الحلبية ٣ :٣٠٨، ونحوه اتحاف الورى لابن فهد المكي ١ :٥٦٨.
(١٧١) المائدة: ٦٧.
(١٧٢) المائدة: ٣.
(١٧٣) البداية والنهاية ٥ :٢٢٨.
(١٧٤) تاريخ دمشق لابن عساكر ٤٢ :٢١٧ ح٨٧٠٧، تاريخ الإسلام للذهبي (عهد الخلفاء): ٦٣٢، وقال: وله طرق أُخرى ساقها الحافظ ابن عساكر في ترجمة عليّ يصدّق بعضها بعضاً.
(١٧٥) المعجم الكبير للطبراني ٥ :١٩٤ ح٥٠٦٦.
(١٧٦) كنز العمال للمتقي الهندي ١٣ :٦٤١ ح٣٧٦٢١، مشكاة المصابيح ٣ :١٧٣٢ ح٦١٣١.
(١٧٧) كنز العمال للمتقي ١ :١٨٨ ح٩٥٨، جواهر العقدين للسمهودي، القسم الثاني ٧٨، المعجم الكبير للطبراني ٣ :١٨٠ ح٣٠٥٣.
(١٧٨) وسيلة المآل: ١١١، استجلاب ارتقاء الغرف، الورقة ٢٠ .



(١٧٩) أنساب الأشراف للبلاذري: ٢٢ ح٤٥ (ترجمة الإمام علي عليه السلام).

(١٨٠) المعجم الكبير للطبراني ٥ :١٩٢ ح٥٠٥٩.

(١٨١) السنة لابن أبي عاصم: ٥٥١ ح١١٨٩.

(١٨٢) وسيلة المآل: ١١٢.

(١٨٣) أسد الغابة ١ :٥٧٢ رقم٨١٢.

(١٨٤) السيرة الحلبية ٣ :٣٠٨.

(١٨٥) أسنى المطالب: ٤٨.

(١٨٦) تاريخ اليعقوبي ٢ :١١٢.

(١٨٧) معجم البلدان ٢ :٤٤٥.

(١٨٨) جمهرة اللغة ١ :١٠٨.

(١٨٩) ربيع الأبرار ١ :٨٤.

(١٩٠) ثمار القلوب ٦٣٦ رقم ١٠٨٦ .

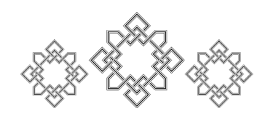
(١٩١) تحفة المحبين ١٦٣ـ١٦٤ (مخطوط) .

(١٩٢) المعجم الكبير للطبراني ٥ :٢١٢ ح٦١٢٨، مجمع الزوائد للهيثمي ٩ :١٠٥ وقال: فيه حبيب بن خلاّد ولم أعرفه، بقية رجاله ثقات، ورواه البزار وفيه ميمون أبو عبد الله البصيري وثّقه ابن حبان وضعّفه جماعة.

(١٩٣) المائدة: ٣.

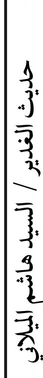
(١٩٤) المائدة: ٦٧.

(١٩٥) «اليقين باختصاص مولانا علي عليه السلام بإمرة المؤمنين » ٣٤٣ـ٣٤٦ الباب ١٢٧، وقال في صدره: فيما نذكره عن هذا أحمد بن محمّد الطبري المعروف بالخليلي من روايته للكتاب الذي أشرنا إليه في حديث يوم الغدير وتسمية مولانا علي عليه السلام فيه مراراً بلفظ «أمير المؤمنين » نرويه برجالهم الذين ينقلون لهم ما ينقلونه من حرامهم وحلالهم، والدرك فيما نذكره عليهم، وفيه ذكر المهدي عليه السلام وتعظيم دولته ؛ «الاحتجاج » ١ / ١٣٣ ـ ١٣٨ ح٣٢ ؛ «روضة الواعظين » ٨٩ـ٩٠.











السلفية

م ح(*)

(١)
السلفية بالمعنى العقائدي والفقهي
أو فكريا وثقافياً

في المقال الأول كان بودنا أن نتناول مسألة السلفية بمنظور قطاعي، أو في حيز جغرافي معين ولتكن الجزائر، وحاولنا أن نتقمص روح الموضوعية والعقلانية والحياد أو اتخاذ مسافة واحدة من المنظومات العقائدية والفقهية، وآلينا على أنفسنا أن تتسم مقاربتنا، بشيءٍ من التميز والتجديد وأن تبتعد قدر الإمكان عن الأساليب المعهودة، والمفاهيم والمصطلحات الدارجة، أو المكررة على نحو ممل، حتى لاننزلق أو نكبكب الى الغرق في سجال لا ينصر قضية، ولا يهزم خصم، ونفقد القدرة على التشريح والمراجعة، والنقد، أو نفسر الماء بالماء.

أ ـ السلفية بمعاني ودلالات عصرنا:

وهل تعني السلفية شيئاً آخر، غير حصر معاني النصوص ودلالاتها، التي تتخذها مرجعاً وسنداً، وتركيزها، وتكثيفها، وتضخيمها وتعظيمها، إلى الحد الذي

(*) باحث إسلامي من الجزائر.

يخرجها من أصالتها، ويفقدها هويتها التي لا تتم وتكتمل، أو لا يحتمل أن تتجلى وتظهر، بالقدر الذي ييسر لها التنزيل على الواقع، من دون بروز مضعفات، أو حصول رجات وفجوات، ما لم ينتبه الى مكانة هذه النصوص، وموقعها، وعلاقاتها، وارتباطاتها، بمجمل النصوص، قرآنية وحديثية، واستؤنس بفهوم العلماء والمراجع لها عبر الحقب والعصور، وفي مختلف الظروف، على تعاكسها وتجددها، وما يمكن أن تحمل من صدمات ومفاجآت، عفواً على السهو والنسيان مرة، وعلى التعسف والمكابرة مرة اخرى، وعلى الحيلة والمراوغة مرة ثالثة، وعلى مابالنفس من بقايا الجاهلية أحياناً، ومن الجاهلية في حالتها البكر، أو بتمام هويتها، وكامل ذاتيتها، أحياناً اخرى، فكراً ووجداناً وسلوكاً، إن هذه الصيغة، أو المنظومة، تعبر عن عناصر مختلف العلوم الإسلامية في اتساقها، وروحها، وصدق تمثيلها للإسلام الحق أو (الإسلام الأصيل) والنموذج الإدراكي الذي تحمله، أو تسكبه في عقول معتنقيها، أو تلهمهم إياه، فيغدو قناعة راسخة، أو بعداً تكوينياً يطفو على الجسد، وتصرخ به ملامح الوجه، فضلاً عن القوة الإدراكية، وحينئذ لا تسأل عن السلوك كيف يكون؟!، ولا كيف تكون مخرجاته ؟!

لم تنبثق هذه الصيغة، وهذه المنظومة بغتة، ومن دون سابق إنذار وتنفجر وتتشظى في زمننا هذا، وفي عصرنا الحالي، فتثير الاستغراب والاندهاش، وتغشانا بهيجان أمواجها المخيفة، أو بغضب رياحها العاصفة التي تنسف الاستقرار، وتقتلع الثبات وتبعد النشاط الذي تكون به حماية البيضة، والدفاع عنها، والذي يكون به بعث العمران والدفع به الى النمو والازدهار، أو الى التجاوز والرقي، عمل واحد يتقنه هؤلاء، ويفنون في الإخلاص له، هو تبديد الإمكانيات، واستهلاك التاريخ على نحو صبياني، أو بعبث طفولي، وما يؤسي، ويثير الحفيظة، ويحدث خللاً في العقل، واختلالاً في الشريعة، شكل تعاطيهم، مع النصوص تدبرا وتصريفاً لها، على غير هدى، أو بهوى جامح، ما أفضع العشوائية والتخبط، وما أفضح التساهل

والارتجالية ؟؟!!

لهؤلاء سلف في التاريخ، ولهذا النبات شتلة في الماضي، لم تخل منه أي من التاريخ فترة من فتراته الحاسمة، ولا محطة من محطاته المفصلية، برزوا في حياة النبي الأكرم ﷺ ولكن بروزهم كان بشكل ضيق جدا وبخجل وعلى استحياء، إلا أن هناك ملامح لم تتبين بوضوح، والقبض عليها أو الإمساك بها، بنحو التمكن والحيازة، يحتاج الى ورشة عمل، تتنطح لقراءة النصوص بما فيها نص التاريخ على مهل وبتأنٍ شديد، أن قدراً من الفهم والتعقل مشتركاً، بينهم وبين جسم المنافقين، وهو كبير ومعرفته بديهية، تواطأت عليه جميع فرق المسلمين، أو أنهم والمنافقين، يتواجدون في موقع واحد، أو في مواقع متقاربة ومتجاورة، أما في عهد الإمام علي (عليه أفضل الصلاة والسلام)، فقد خرجوا الى العلن، وبرزوا للعداوة، وانتصبوا للاستئصال، وجفوا المودة، فاض كيدهم، وانهمر غضبهم وسخطهم، على موضع كانوا قد غادروه من قبل، موضع أو موقع الالتزام الشديد الملتبس بالمن والخيرة كاقتدار وانتزاع، لا كتوفيق إلهي وتأسٍ رسولي، أو كرحمة غامرة شملتهم واستغرقتهم، فأخرجتهم من ذواتهم، أو أنقذتهم من تملك غرائزهم وشهواتهم، ومن تحكم عصبياتهم، أو تفاقم أنانيتهم، كانوا الشوكة التي أصابت مسألة الحكم في الإسلام في خاصرته الضعيفة، ولم نبعد كثيرا اذا قلنا عكروا صفو الأجواء، وخلطوا الأمور أو دفعوا الفتنة الى أقصاها، فإذا أضفنا اليهم الذين كانوا في العتمة، حتى في حياة الرسول ﷺ، وكانوا على أحر من الجمر في انتظار هذه الفرصة، حتى يهجموا وقد خلا لهم الجو وواتتهم الظروف، فإذا رفعنا رأسنا ومدينا ببصرنا الى قطاع آخر مهم وحساس من المجتمع في تلك الفترة يسمى (الطلقاء)، وهم الذين كانوا يسعون الى الالتفاف على الحقائق والمبادئ مذ دخلوا الى الإسلام واندمجوا في الكيان الوليد على مضض بتبييت نياتي، والحال أن هؤلاء رأس الأمر كله، أي (الطلقاء)، ولا تسأل عن براعتهم، أو حرفيتهم في الإصطياد في الماء

العكر ؟!، والحال هذه، أو بالإحالة الى هذه الحيثيات، وقد اكتملت نموا ونضوجاً، وتمت ارادة وقدرة على مباشرة الفعل، ومسك الواقع من خلال تناقضاته، والهيمنة عليه وإخضاعه وشده الى المصلحة الخاصة، من خلال تصدعاته وشقوقه، وكان ذلك ممكنا أو لينا وطيعا وتحت اليد تحكما وتصريفا، أو تلاعبا وتزييفا، أو قلبا ومسخا، بعد العصر النبوي، وفترة من بعده، ليست بالطويلة ولا القصيرة، - وإن ساورها قلق وتوتر، أو هزها تطلع واستشراف للسلطة ـ لم تزايلها القداسة، وان خفت وبدت قابلة للاختراق، ولم يفارقها المعنى، بكل جماله وجلاله، وبكل قوته وعنفوانه، حيث سور المجتمع الوليد في عصر النبوة، وصار له أرضا وسقفاً، وغدا ضبطا دقيقا، وقانونا مرعيا، على جميع المستويات، وفي معظم المراتب والدرجات، بحيث تم الاستغناء عن حق استعمال العنف، المادي خاصة، في أغلب الأحوال، وفي مختلف الوضعيات، والظروف، ولكنه فيما بعد أي: في عصر الصحابة، فترت حدته، وخبا توهجه، أو مال الى ذلك وبدا يسري فيه الوهن، في هذا الحين أو في هذه الأجواء التي بدأت تنزاح عن السوية، أو تغشاها حالة غير اعتيادية، إذ أخذ شيء من الشذوذ الفكري والسلوكي والعلائقي، يطفو على السطح، فور مغادرة الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله الحياة والتحاقه بالرفيق الأعلى، عفوا بل في اللحظات الأخيرة من لمعة الحياة المقدسة وهي تودع، وبقية النفس الشريف، وقد أخذته الرحمة والشفقة والرأفة بما قد ينشأ مما قد لا تحمد عقباه من وقائع تؤزم حياتهم، وتؤشكل الفهم والوعي الذي استودعه إياهم، وتحدث خللا في النفوس وفي الروابط، أو تميل بهم الى مزاج يستمرئ الخوض في الظنون والشكوك، ويستلذ الرحيل أو السفر في مطاوي الأوهام، ومراكب أضغاث الأحلام، وركوب أجنحة الأخيلة، ظنا به عليهم من هذا كله صلى الله عليه وآله، طلب منهم الوسائل أو الأدوات ليكتب لهم وصية، تحملهم على الجادة، وتلزمهم التمهل والتوءدة، أو الرزانة والاعتدال، وتعصمهم من الاختلاف المضر، والتلاحي والشقاق المشين، والمؤذي، وحفظ نصاب السلطة من التلاعب، أو



المزايدات، أو وضع النقاط على الحروف في مسألة الشرعية والمشروعية، لكن القوم خرجوا عن طورهم، وتعدوا حدودهم، وأدلوا بدلوهم فيما هم غير مؤهلين له، ولا هو من اختصاصهم، ولم يراعوا المقام، ولا خصوصية اللحظة الفارقة، ارتفع اللغط وسادت موجة من الضجيج، فكبر على النبي الأكرم ﷺ، أن يحصل هذا في حضرته، فطلب منهم الانصراف وقال: «لا ينبغي الخصام عندي».

قال تبارك وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللَّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾(١).

وقال أيضاً: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُواْ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُواْ إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُواْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلاَلاً بَعِيدًا﴾ (٢).

وقال سبحانه: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾(٣).

وقال أيضاً: ﴿فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾ (٤).

وقال أيضاً: ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُواْ أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُواْ مِن دِيَارِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلاَّ قَلِيلٌ مِّنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا﴾(٥).

عن أنس بن ماك، عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحبَّ إليه من ولده ووالده والناس أجمعين».

وفي رواية لمسلم: «حتى أكون أحبَّ إليه من أهله وماله والناس أجمعين»، وبنحوه ورد عند البخاري من حديث أبي هريرة (٦).

إن المرء ليتساءل ويتساءل بجد، أو بشكل ملحاح، لأن الحيرة تأخذ بخناقه، فلا تدعه يستقر على حال، ولاتسمح له بالركون الى وجه من الأوجه المتعددة، التي

تتنازع الحقيقة، إن التردد والمراوحة، في المكان لها نتائجها الوخيمة، ودلالاتها غير المريحة، على مستوى التصرف والتدبير، وعلى مستوى بناء السلوك الفردي، وعمارة المجتمع كمجتمع مترابط متسق، في كل ما يأتيه ويدعه، متناغم مع ما يعتقده، ويدين به، أو يتمتع باستقرار معرفي (*إبستيمولوجي*) على مستوى قناعته، ومن ثمّ لايصدر في تعقله وتفكيره، إلا عن حيثية هذه القناعة، ولايمشي إلا بهدى هذه البوصلة، أما وقد حدث تزحزح أو إنزياح، عن المفعول العقائدي، والأرضية المعرفية، وإن بمنسوب متواضع أو شحيح في أول أمره، وفي إبان حصوله، فهو خرق أو تضعضع نشأ في الوقت المحرج والمحرج جداً، ولم يتداع إليه لتلافيه أو محاصرته، ريثما يتم إصلاحه أو ترميمه.

وإذا وضعنا في الحسبان أن مرحلة هؤلاء الخلفاء التي اكتنفها بعض الستر، وخمرها بعض الاستقرار، كانت في عمر الزهور وما أن شارفت على النهاية، واستعدت للانقضاء، حتى حصل المحذور، وانتصب المتربص والموتور، وخرجت الفتنة العمياء من جحورها، وألقت بظلها البارد على أرض الإسلام، وكما نعرف ويعرف غيرنا أن الفتنة ككرة الثلج كلما دحرجتها، كبرت وتضخمت.

قال الإمام علي عليه السلام: «إِنَّمَا بَدْءُ وُقُوعِ الْفِتَنِ أَهْوَاءٌ تُتَّبَعُ وَأَحْكَامٌ تُبْتَدَعُ يُخَالَفُ فِيهَا كِتَابُ الله وَيَتَوَلَّى عَلَيْهَا رِجَالٌ رِجَالًا عَلَى غَيْرِ دِينِ الله فَلَوْ أَنَّ الْبَاطِلَ خَلَصَ مِنْ مِزَاجِ الْحَقِّ لَمْ يَخْفَ عَلَى الْمُرْتَادِينَ وَلَوْ أَنَّ الْحَقَّ خَلَصَ مِنْ لَبْسِ الْبَاطِلِ انْقَطَعَتْ عَنْهُ أَلْسُنُ الْمُعَانِدِينَ وَلَكِنْ يُؤْخَذُ مِنْ هَذَا ضِغْثٌ وَمِنْ هَذَا ضِغْثٌ فَيُمْزَجَانِ فَهُنَالِكَ يَسْتَوْلِي الشَّيْطَانُ عَلَى أَوْلِيَائِهِ وَيَنْجُو الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَ الله الْحُسْنَى»(٧).

وقال عليه السلام: «كُنْ فِي الْفِتْنَةِ كَابْنِ اللَّبُونِ لَا ظَهْرٌ فَيُرْكَبَ وَلَا ضَرْعٌ فَيُحْلَبَ»(٨).

وعن أبي هُرَيْرَةَ، عنه عَنْ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله قَالَ: (يُقْبَضُ الْعِلْمُ، وَيَظْهَرُ الْجَهْلُ،



وَالْفِتَنُ، وَيَكْثُرُ الْهَرْجُ) قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّه، وَمَا الْهَرْجُ؟ فَقَالَ: (هَكَذَا بِيَدِهِ) فَحَرّفَهَا، كَأَنَّه يُرِيدُ: الْقَتْلَ (٩).

وقال الله تبارك وتعالى: «وَاتَّقُواْ فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ»(١٠).

وقال سبحانه: ﴿**لَوْ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلاَّ خَبَالاً ولأَوْضَعُواْ خِلالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ * لَقَدِ ابْتَغَوُاْ الْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُواْ لَكَ الأُمُورَ حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ * وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ائْذَن لِّي وَلاَ تَفْتِنِّي أَلاَ فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُواْ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ**﴾(١١).

وعليه فما ألم بمرحلة الصحبة حسب قولهم من هنات وعثرات وفلتات ناهيك عن رؤاهم السديمية أو الضبابية وعطل استيعابهم لمقومات الإسلام، وعمد الإيمان وأساسياته، فضلاً عن قراره ونضجه، وحينئذ فمن خطل الرأي أن ننتظر ظهور مقتضياتهما وانبساطها، وفيضان عطاءاتها، فضلاً عن الشريحة العريضة من الصحابة التي انسحبت من الساحة، أو سحبت، وقضت ما تبقي لها من العمر في العتمة، حتى كتب التاريخ والسير قفزت عليها، واستغفلتها أو تناستها، وقطاعات اخرى من المسلمين كالأنصار مثلاً، وهذه وإن نالت شيئاً من الذكر، وتمتعت بإشارات الى مشاركتها وأهميتها، إلا أن التقدير لها لم يكن وازنا، المهم أن عرى الحكم في الإسلام تضعضعت، وخربت، ثم سقطت سقوطاً مريعاً، وتولى الدفة الطلقاء، في واقع غاية في التركيب والتعقيد، وسارت الأمور في طريق كثير التعاريج والمنعطفات، أو دفعت في الجهة المقابلة والمعاكسة، لمقتضيات الإسلام ومطالبه، ومن طبيعة الأشياء التي لاتنفك عنها، أن يكون لكل سلطة قوة اجتماعية، أو قواعد شعبية، تسند سلطتها وحكمها، أو تحوطها كالسياج، فما كان منهم (أي: من الطلقاء) إلى أن وضعوا أيديهم على القوة التي كانوا يدخرونها، وخليطاً من المتعصبين الموتورين والغاضبين الذين ديدنهم العنف، والإرهاب، ووضيفتهم أن

يحشروا الناس في الأماكن الضيقة، أو يسوقوهم في الدروب المسدودة، ولا نعدم أن نجد لهم اشارات وتنبيهات في السنة النبوية المطهرة، وفي القرآن الكريم، وليس هذا بمستغرب، أو مما يُتعجب منه، أو يصدم العقل ويحيره فهو معروف، ودارج الحصول، في كل المجتمعات البشرية، إنْ على مستوى الأديان أو مستوى المذاهب، أو مستوى الإديولوجيات، أو مستوى القوميات، وفي الفلسفة والأدب والفن، وإنما المستغرب، والمتحير منه على الحقيقة أن يحتل هذا الفريق العنفي والمتطرف، مركز الساحة، ووسط الجماعات والجماهير، أو أن يكتسب مبررات وجوده، ومسوغات خطابه، وشرعية رؤيته، بمعنى أن يقبل ويتبنى، وهذه هي الداهية العظمى، أو الخروج الصراح على العقل والنص والعرف، وخيانة الذات، ومناكفة السوية، أو هو النذر بالإنسلاخ من الأمانة، والشهادة، قال الله تبارك وتعالى: ﴿**وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ**﴾[١٢].

في هذا الزمان وفي هذا المكان وفي هذا الجو، جو اختلاط الحابل بالنابل، أو فضاء الفوضى ومنهج ذر الرماد في العيون، تخلقت نطفة السلفية المشؤومة، أو منطق السلب الذي ينفي كل شيئ إلا ذاته وأفكاره، وهذا قبل التدوين، تدوين العقيدة، والفقه، والأخلاق، والتاريخ، والسير، والذي سيجد له مستقبلا مكاناً في المدونة الكبرى للعلوم الإسلامية، ومن ثمّ زخاً للإديولوجيا السلطوية، في عقول الناس ووجدانهم، متواتراً ومستمراً، وعليه فالمعارف تكون أقل وأضعف معرفية، مما نتوقع، والحقائق نسخاً باهتة للحقائق، لكن لحسن الحظ ورعاية القدر، أن الهاشميين، والأطهار منهم على الخصوص، *لم يتركوا الأمر على عواهنه*، غائماً ضبابياً بغير حد ولاقيد يعرف به، انكبوا على العلم يتدارسونه، ويدرسونه، وينشرونه، يكشفون حقائق الدين، ويبرزون معالمه، وتعهدوا الدعوة إليه، على ما يجب أن تكون عليه، جهداً وعنايةً وتتبعاً، وخدمة المؤمنين والنصح لهم، سروا في العروق وهرعوا الى المفاصل، سكناً وإقامة، توهجت معانيهم ولمعت رموزهم، أو تألقت

واشتدّ ألقها ما كان مدعاة لزهد الناس في هيل وهيلمان السلطة، وامتعاظهم من المعارف التي تنتج في حجرها، معارف غسل الأدمغة، وتدجين الأجساد .

ب ـ سلفية المركز وسلفية الأطراف:

كيف نقتنص هذا المركز ونقبض عليه بوصفه أداة للفهم والتفسير أو للتفكيك والتشريح، أو مفهوماً يرسم لنا الخريطة، ويعطينا مفاتيح قراءتها، قد يكون هذا الأصل نصّاً، وقد يكون شخصية كارزماتية، وقد يكون منطقة جغرافية، وقد يكون ايديولوجيا، قوى اجتماعية معينة، وقد يكون مزاجاً وذاكرة ومخيلة، لم تغادر ما انطوت عليه من قبل، ولامعهودها، أي إنّها أرادت أن تدخل الدين الجديد في جحرها، ولم تشأ أن تخرج من جحرها الى فضاء الدين وحقول معارفه، وتقبل مايفرضه عليها الدين، ومعارفه، من تكيف وتكييف، أو بمعنى نافذ تأهيل ورسكلة.

ومن تحصيل الحاصل، أن الانعطافة الى التراث الفكري والثقافي وخاصة الجانب السياسي منه، الذي انحدر إلينا من تلك الفترة المأزومة، أو اللحظة الحرجة والقلقة، حين ضربت الفتنة أوتادها، ونصبت خيامها، لا يشير ولايدل على معاني القرآن، ولا تمثل النبي الأعظم ﷺ لها، ليس بمعنى التطابق، وهو مستحيل في حق القطاع الكبير من المسلمين، ولكن بالمعنى الراجح والظن القوي، الذي يلامس اليقين، بقدر مايشير ويدل على أن هذا الإرث الفكري والثقافي، هو نتيجة أو محصلة التكيف مع السلطة القاهرة، أو الغاشمة، أو الوقوع في استقطابها، وليس هو السيلان السلس، والإنصباب السهل والعفوي، للمعاني الثرة، المنبجسة، من قلب القرآن، ومن عقول الأفذاذ، ومن قمم العصمة، على بسيطة الإسلام، وصفحة سلطته، ما جعل المركز مركزا خطأ، وزحزح نقاط نفوذه، ومحتوى فعاليته، الى الأطراف والهوامش، أو الى الاستعدادات والقابليات، حيث المعطى البكر، والعقل المتوثب، أو حيث الاستضعاف، والقهر المادي والمعنوي، وغياب الفكر،

والجوع الثقافي، في هذا المحيط، وفي هذا الجو، وفي هذه المناسبات والموافقات، التي التقت على نحو ما، برزت الرموز، وانتهضت ونشطت وتحركت وأعطت، فنشأت المعرفة ونمت وربت، فاستمالت قلوب الناس، فحصل وعي وفهم وتمييز، فنتأ صعيد الهدى وتجلى، كأفضل ما يكون التجلي، واستبان وهد الضلال، أو غسق الظلام، أو الانحراف والنكوث، فلم يعد خافياً، أو مشتبهاً وملتبساً، هنا في هذا المكان، مهبط نزول الوحي، وتهيئ جميع الإمكانيات، وتوفر جميع العناصر والعوامل، لتلقي الرسالة، على النحو الذي يجب أن تكون عليه، فهما وهضما وتمثلا، وعكساً لحقائقها، على الأرض توازناً بين المادة والروح، وتوازناً بين العقل والغرائز، وتسليطا للروح، وللإلهام، على التسخير المادي، أو المنجز الحضاري، أس الحضارة والمدنية، ونسغ ازدهارها، وانتاجها، واثمارها، حتى وان ضلت تلك السلطة، أو ذلك الملك، واستطاع أن يبقى قائماً يتمتع بالتحكم والضبط، والهيل والهيلمان، فإنه لم يستطع ولم يتمكن من أن يوقف أو يحد من موجات العلم والمعرفة والهدى التي كانت تغشى المجتمع وتخترق المناطق العصية فيه، فتمده بماء الحياة والحيوية، وبمصل الجد والاجتهاد، وباللحمة والتماسك، وبالأمل والطموح، ولم يشأ أن يقلب الأمر رأساً على عقب، ويدفع الى التغيير، بصورة الإكراه والعنت، أو بالشكل الذي لايراعي التدرج وتهيأ الأرض للقبول، فيوقع في الفتنة، أو الحيص بيص، بحيث يقابل بنقيض المقصود، ما نريد أن نقوله ونؤكد عليه بإلحاح، وإصرار، أن الحلول الجذرية، أو مسألة الخروج من المخانق، وإنهاء المآزق، وتجاوز الإشكاليات التي انغلقت على نفسها، وتأبت على التجاوز (في إطار السلطة السياسية والثقافية، أو المعنوية)، و طبعاً في الجهة الأخرى، وما نسميها في لغة عصرنا المعارضة، هذه الحلول المقترحة، طاوعت بسلاسة في الحيز الطرفي أين كانت تطبخ ثقافة جديدة، وكان العقل ينفتح ويرتقي وينضج ويراكم المكتسبات والإنجازات، أو التجارب والخبرات، في جو من الطهر والحرية، والإنضباط والإلتزام، وكانت الروح تتعملق وتتألق، لأنها اتصلت من جديد بالمنبع والمورد،



وكانت القيادات تتكشف شيئاً فشيئاً للناس، وتتوضح ملامحها ومميزاتها، وطفق التطلع إليها والاِشْرِئْباب نحوها بالأعناق، وحينئذ لم يفتأ الناس يطلبونها ولو على جهة الأمل والطموح، ما جعل (السلفية) وهو اسم إشهاري ودعائي، أكثر منه إسم يتطابق مع المسمى، أو يحتوي حقائقه ويجليها، لأن سلطة تلك الأزمنة، كانت تدعم شرعيتها ومشروعيتها لهذا الإشهار، وأدرك الناس إدراكاً لاتشوبه شائبة الريب، خواء السلطة المخيف من كل معنى يحيل الى الإيمان، أو الإسلام، وحل خريف رموزها فتساقطت كتساقط أوراق أشجاره، وأصاب العطب شرعيتها ومشروعيتها، فتضعضع كيانها المادي، واهترأت أركانه، وبطلت فاعلية أدواتها التي استعملتها أول مرة للصعود، وهي كثيرة العصبية عمود خيمتها ..

ج ـ السلفية كلغة لقراءة الأصل:

إنّ السلفية بوصفها نشأة مستأنفة، أو صناعة لشيء يراد، أو لغرض استراتيجي، زرعت في أرضنا أو في أرض الإسلام، واختير لها المكان، واختير لها الجو الثقافي، واستجلبت لها سلطة، ودعمت لتتحالف معها، وترعاها وتحميها، واختيرت لها لغة، ومنهج، ومفاهيم، ومصطلحات، بعناية كبيرة، وكأنها نتاج مراكز الأبحاث، ودوائر التخطيط، وإن كانت لغتها في بساطتها وابتذاليتها تجاري لغة الكوبوي، أو لغة الهنبورغر، ليضمن لها الانتشار، بين غمار الناس ورعائهم، إن حرصهم وتشديدهم على الأصل، أو السلف الصالح، كما يقولون، يوحي للقارئ النبيه، وللمتأمل الذكي، بأنهم أولى بالمسلمين من الأصل، وبأنهم أولى بالمسلمين من أنفسهم، وإن استبدالهم الفقه، بالأحاديث والسنن، يوهم المسلمين بأنهم يتماهون مع الأصل، أو يتطابقون معه، فضلاً عن أنّهم يرمون الثروة الفقهية، في ساحة المهمل المهجور، وينبذون المعرفي أو (الإبستيمولوجي) كما يقال في عصرنا، أو البحث والاستقصاء والتنقيب، والمراجعة والنقد، وهي ميزات تحمد في عالم علمنا ومعرفتنا، وهي إن دلت على شيء تدلّ على عبقريات ومواهب وملكات، إن انطلق

منها وبني عليها، في ميادين علمية اخرى فإنها تثمر ولاشك، وقراءتهم المذكورة سلفاً، تقتل إمكانيات الذكاء والتأمل، واستعمال العقل، وتقليب النظر، وهو عين تهافتها، وسر عقدتها، واذا حاكمناها بالأصل الذي تريد أن تركبه وتستوي عليه، أو تحوله الى عملة، وتنفقه وتصرفه، أو الى عصا تسوق بها الناس، الى الجنة، أو الى النار، أو الى ترياق يشفي المسلمين، من أن أمراض الزندقة، والهرطقة، والشرك، والنفاق، لم ينطلِ على ذوي الألباب، ولن يمر على أصحاب الحجى، لأنهم وهو يقرؤونهم ويتعاطون مع مقارباتهم، يطرحون على أنفسهم، سؤالا مهما ينشأ بأدنى التفات، وينتأ عفواً ومن دون تأمل عقل، وتدقيق نظر، أين مؤلفاتهم التي تضاهي مؤلفات الأقدمين، وأين طروحاتهم التي لا نقول تبز بل تقترب منها في العمق والإحاطة والاستدلال، وحسن التناول، ما يمكن أن نجزم به ونعده من إنجازاتهم (الفذة)، هو أنهم دفعونا للانكشاف، وسهلوا استباحتنا من ارتهان شخصيتنا الى سرقة مقدراتنا ..

د ـ السلفية والانتقاء في التعامل مع النصوص:

وتندرج قراءتها للأصل واستعادتها له في فوضاها في التعامل مع النصوص وحرف معانيها، وليّ أعناقها لتتلاءم مع خلفياتها ومسبقاتها، ولتدعم منطق هيمنتها، على فهوم ومدارس ومذاهب، وقضايا اعتقادية، وتيارات كلامية وفلسفية، أو لتمحوها وتلغيها من ساحة المسلمين، الدينية والمذهبية والثقافية، النص الأول الذي نال حيفهم، أو بعدهم وجفاءهم، هو النص القرآني، وهو على فرض كثرة تلاوتهم له، وإظهار الاحتفاء به، وامتداح من يدمن على تلاوته وتكراره، فهو لايحضر في جميع المواضيع، التي يطرقها، وفي جميع القضايا، التي يتناولها، في المعارف التي ينتجونها، وفي المسائل التي يجتهدون فيها، أو على الأقل يبدون رأياً فيها، يحضر فقط ويستدعى فحسب، في مواضيع محددة، ومسائل وقضايا منتقاة، أو تلجئ إليها الحاجة الإيديولوجية، والهواء السلطوي، والتقوي

الشوفوني بالدين، بوصفه رأس مالٍ رمزيٍّ يسلم له المسلمون طراً، وينصرفون غير عابئين بشيء عن معظم المواضيع والقضايا والمسائل في حياتنا، تطلب القرآن أو تجد بغيتها في الذكر الحكيم، وهم في المواضيع التي يستدعون فيها القرآن، كالعقيدة، والتربية، فلا يستنكفون أن يأتوا بالعجب العجاب، أو بما يصدم عقول اليقظة، وبراهين الشرع الساطعة، ويخالف أعراف الصفوة وتقاليدها لعلماء الإسلام كالتجسيد والتجسيم، والتكفير، إذاً القرآن باعتبارات معينة عندهم مهجور، أما السنة القولية والفعلية، فهي لم تنجُ من تلاعبهم وعبثهم، ولم تفلت من نياتهم المبيتة، وأغراضهم المريضة، فأعملوا فيها تخريباً وفتكاً، سواءٌ في تصحيحها وتوثيقها، سنداً ومتناً، أو في تفسيرها وتنزيلها على الوقائع، وهذا من دون مراعاة لاختلاف الشروط والظروف والحيثيات ..

هـ ـ السلفية والتشويش على التاريخ :

إذا كانت عادة الأمم خاصة الحضارية منها، تلجأ الى تاريخ ثقافتها، وتاريخ أفكارها، فتعيد قراءتهم المرة بعد الأخرى، من منطلقات العصر الذي هي فيه، أو من مطالب الواقع وحاجاته، الذي هي منغمسة فيه، وتعانيه، ومن منطق المستضعف الذي يريد أن يتقوى، أو المتخلف الذي يريد أن يتقدم، أو المستعمر بأي صورة من الصور، الذي يريد أن يتحرر ويملك زمام أمره، ويدير حياته، على النحو الذي يحقق مصالحه، ويجعله في منعة من غيره، أو في عصمة من الاختراق، والانتهاك بما يمليه عليه دينه، وتقبله ثقافته، وتحتويه، أو تكيفه، في صيغ مرضية، وفي نماذج محضية، وفي شعارات مسبية، غير إشهارية ولادعائية، الوهابية عكست هذه الصبغة ﴿**صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ**﴾[١٣]، هذه الآية تحيل الى تعريف الثقافة، في مبادئها كافة، وفي أكمل نسيجها، عند علماء الثقافة، وزيادة، ونحن في غنى عن ذكر تعاريفها عند علمائها فهي موجودة في كتابات كثيرة، وفي كتاب المفكر مالك بن نبي[١٤]، وقد قتلها بحثاً، وكسرت هذا

المنطق، وهو منطق واقعي، وليس صورياً، ويمكن نسبته الى العلوم الإجتماعية، وعلى حقل الثقافة بالذات، بوصفه مبدءاً من مبادئها، كالمبدأ الجمالي ....، ولم تعزُ للتحدي بوصفه شيئاً حاضراً وماثلاً وضاغطاً في نفس الوقت شروى نقير من اهتمامها، ومعارفها، وجهدها، فراحت تمنينا بترحيل الماضي إلينا، أو تعدنا بتهجيرنا إليه، حقيقية أي (الوهابية)، إنها تعاني من عي في عقلها، ومن انقطاع عن ماضيها، وانفصام مع حاضرها، من يرغب من المسلمين أن يكون في مثل هذه الوضعية معلقاً، لاماضي ولا حاضر، أما المستقبل فهو من فضول التفكير وفضول القول.

و ـ السلفية تشنج من العصر :

إستنتاجاً مما سبق، وتحشية عليه، نقدر أن نقول تدقيقاً وانطواءاً على يقين أن هذا الجسم، أو هذا الشبح والكابوس، الذي يأتي بما لا تقره العقول ولا تقبله الشرائع، وليس الشرع فقط، ولا ما تواضعت عليه الجماعات والمجتمعات، هذيان حديث، ومجون فعل، قبح سلوك، وشؤم أخلاق، بطلان نجاعة، وشح فاعلية وعطاء، فقر طموح، وارتخاء أمل، أو محدوديته، تكبير الصغائر، وتصغير الكبائر، الانحياز الى الاقتصاد الريعي، وتحقير أو الاستخفاف بالاقتصاد المنتج، تكريس مبدأ تأبيد السلطة وتقويتها، على حساب انحرافها عن الدين الحق، أو عن استغلاله بطرق ملتوية، اعطاء الظهر لمصالح المجتمع والأمة ككل، أو المقامرة بمصيرها وقدرها، يستغرب الإنسان حقاً أو يفقد عقله، ولن تبقى بقية منه فيه، وهو يطوف بهذه الوضعية ويتأمل أصولها وفصولها، أو كليتها ودقائقها، فلا يعثر على عنصر قادر للاستغلال والتوظيف، أو مستحق للتثمين والاحتفاظ، غير تشنجات مزمنة تشير الى مرض عضال، مأتى هذه التشنجات أفكارٌ ميتة ومعاني سحرية مفوتة وردت من ماضٍ سحيق، من بداوة سبقت الإسلام، بكل ملفوفاتها ومخبآتها، واخرى جاءت من أطوار، ومراحل، وحقب، من داخل الحاضرة الإسلامية، وجدت لها محضناً في

شقوق المذاهب، وفي أخاديد الخلافات العقائدية، والكلامية، ومغارات في الآداب السلطانية، وفي بثور السلطة الواقعية وأورامها، وفي الصراع والتصادم، وما يخلفهما من حفائظ وإحن، وتصفية حسابات، وتقطيع أوصال جسم المملكة أو السلطنة، الى إمارات أو ما يشبهها، فلا عجب أن يكون النص فقهياً أو كلامياً أو أدبياً، بهذه الصورة الشوهاء، أو المبتورة والمعيبة، الى حد التقزز والغثيان، لأنه ـ أي النص ـ وليد التكيف مع السلطة، أو نص الأمر الواقع ...

(٢)
السلفية في ميزان العقل والفكر
تقييم نصوصي أو تشريح واقعي

المطلوب هو التعريج على السلفية في بقعة محددة، هي الجزائر، أو في بقعة أوسع، وأرحب، تحكمها تجانسات وتشابهات، من الكثرة بمكان بحيث توحد بين هذه الأقطار، التي تشغل هذه البقعة الواسعة والرحبة، والتي نسميها المغرب العربي، أو المغرب الإسلامي كما يحلو للإعلام أن يسميها، وهي تسمية تأخذ في اعتبارها التيار الإسلامي، أو الحركة الإسلامية، بوصفه عاملاً طفح على السطح، وعنصراً يتحفز لتغيير المنطقة، بأي ثمن، أو اقتلاع أطر الإدراك والدمج، بوصفها مفاهيم ومصطلحات ومؤسسات، ومذاهب، وطرق للتعبد والتقرب الى الله، وأدوات للتجانس الاجتماعي، والاستقرار النفسي، والانتظام السياسي، ومفاهيم ومصطلحات النفاذ الى غور العقيدة الإسلامية، أو الى المنظومة الكلامية، وحامل لقناعات مستقرة، ومعاني حصل حولها إجماع من لدن ذوي الشأن، أو الأئمة الذين نظروا لهذا العلم وعززوه بالأدلة العقلية، والشرعية، وأعطوا مدى لدوره ووظيفته، في تثبيت هذا الدين وترسيخه وتحصين معتنقيه، من كل هوى وزيغ، الذي قد يطرأ في كل لحظة على فضاء المسلمين، نتيجة ظهور تيار فكري، إما نتيجة تغير الأوضاع

بصورة دراماتيكية، أو غزو ثقافي محتمل، أو اختراق عقائد معينة، بشكل مفاجئ، وفي غفلة من المجتمع، وهذا الذي نذكره، ليس تقديرات عقلية، أو إحتمالات فكرية متوقعة، بل هي وقائع حدثت بشكل محسوس، وماتزال تستغل بوصفها بؤراً للتوتر، في منطقة المغرب العربي، تخيف السلطة، وتقلق المجتمع المدني، أو تدفعه للانزواء والانكفاء، لهذه الأسباب، ولغيرها، اجتاحت السلفية الوهابية، هذه البلدان، وهذه الأقطار، لأنها جاءت من باب الإسلام، ومن حيثية الدين، ولأنها وجدت فراغاً رهيباً في إنتاج المعارف الدينية، وتطويرها لتلائم التغيرات المستجدة، والتبدلات المتلاحقة، ووجدت ما هو تقليدي وعتيد، وما هو أساسي وأثيل، قد حد من فاعليته، وقتل أدواته في الحركة والهجوم، طول انشغاله بالدفاع، وتقوقعه في نفس الموقع، وهذا زمن طويل وثقيل جداً، مرحلة الانحطاط، وتلتها مرحلة الاستعمار (الاستدمار)، وعليه فإن السلفية، منذ مرحلة السبعينات، إلى الآن، انتشرت كالنار في الهشيم في بلدنا، ومن نافل القول أن نذكر أنها جاءت في ركاب الحركة الإسلامية، الحركة الإسلامية كما نعرف ويعرف المهتمون، بهذا الشأن هي رد سياسي بالدرجة الأولى، على إخفاق الدولة القطرية، في وعودها: بالتنمية، والعدالة، والحرية، وخلق الفرص المتكافئة للمواطنين على حد سواء، وتحرير فلسطين، والوهابية وإن كانت لوناً وعنصراً في هذا المشهد إلا أنها على الضد من هذا الطرح، وعلى النقيض من هذه المقاربة، غير أنها سطت على هذه الإمكانية، وجيرتها لصالحها، ونظرا لما كانت تتمتع به من دعم مادي، أو ما يسمى بـ(البيترو دولار)، وسند معنوي سلطوي، وثقافة دينية شعبوية، تكاد تكون فلكلورية، وكتابات مبسطة الى حد الابتذال، تركز على التوافه والترهات، تستغل الأمية والجهل، وجوع الناس المؤسي، لتحصيل ثقافة دينية، تحسن مواقعهم، في عالم القرب من الله، غياب المنافس الشريف، الذي يتسلح بمعارف راسخة ورصينة، تسمى علماً بالمعنى الكبير والواسع للكلمة، وهي وإن كانت تحت غطاء اسم تعرف به وتسوق نفسها به، فهي تيارات ومنازع شتى، وتختص كل منها باسم فرعي، وهذا



لاينفي، أن الخطوط العريضة توحدها، وأن عدت سلفيات اخرى، غير السلفية العلمية ..

أ ـ السلفية العلمية، أو المرجئة الحديثة:

ولها تفرعات، واليكم التعريف الذي يعرفون به أنفسهم، (السلفية العلمية أحد فصائل التيار السلفي، وهو فصيل سلمي معتدل، يحمل أطروحة دعوية علمية، وعظية بالأساس، لتعليم الناس، كل أمور الإسلام، أو باختصار هم علماء أوطلبة علم (أهل السنة والجماعة)، ويركز دعاتها جهودهم، على طلب العلم، لتحقيق عقيدة التوحيد، وإنكار الشرك أولا مع اتباع السنة وإنكار البدع، و لمعرفة الأحكام الشرعية (الحلال، الحرام، الواجب، المستحب، المكروه) بتعلم ودراسة كل ما يلزم من تفسير و مصطلح الحديث، و أصول الفقه ...إلخ، وهم في ذلك متقيدون بالقرآن والسنة، بفهم السلف الصالح، أي: بعيداً عن التعصب، وعن التطرف، أو تأويل بفكر منحرف، لتصفية الدين الإسلامي مما دخل فيه، من ضلالات وتطبيقه، وهذا ما كان يطلق عليه الشيخ محمد ناصر الدين الألباني التصفية والتربية، وانتشر هذا الوعي في بلدان كثيرة من الدول العربية كمصر، واليمن، وسوريا، والجزائر، والكويت، وخاصة المملكة العربية السعودية، التي عرفت تجديدا في دعوة التوحيد الوهابية، في السعودية، انتشرت مجددا هذه الصحوة في تسعينات القرن الماضي، واجتهدوا في تبليغ العلم الشرعي، في صفوف الشباب، وازداد انتشاره عن طريق مؤلفات أهل العلم، من كتب، ومجالس العلم، وفي المساجد، أو من أشرطة سمعية، و عبر الفضائيات، وشبكة الانترنت، أما عن موقفهم من السلطة، فإنّ السلفيين العلميين، يحرمون الخروج عن الحاكم ولو كان ظالماً)، وتفرعاتها أو انقساماتها ومدارسها هي:

السلفية الفقهية:

وهي التي عليها المؤسسة الرسمية التقليدية (المفتي وهيئة كبار العلماء

والقضاة) فمنهجها دراسة الفقه على كتب المدرسة الحنبلية، ولكن (من دون تعصب)؟!، واذا اختلف المذهب والدليل الشرعي فإن الدليل هو المقدم ؟!، وهذا المنهج رسخه (محمد بن عبد الوهاب)؟!، في كتاب التوحيد، (باب من أطاع العلماء، والأمراء، في تحليل ما حرم الله أو تحريم ما أحل الله، فقد اتخذهم أربابا من دون الله)، وهذه السلفية هي التي عليها عامة طلبة العلم والعامة وهي الصحيحة إن شاء الله، وأما من تعصب للمذهب، فهذا خرج عن السلفية إلى المذهبية، ولكنه يبقى سلفياً في العقيدة.

السلفية الحديثية:

هذه السلفية تهتم بعلم الحديث، والتصحيح، والتضعيف، (كمنهج الشيخ الألباني، وعبد الله السعد وغيرهم)، وهذا أمر حسن، ولكنهم غير متخصصين في الفقه، وهذا لا يُعاب عليهم، ولكن يعاب على بعضهم إنكاره على التخصص في الفقه، أو إنكاره دراسة كتب المدارس الفقهية.



السلفية المنهجية:

وهؤلاء من يوصفون بالجامية، فهؤلاء سلفيون في العقيدة والفقه، ولكنهم غلوا في مسائل المنهج، والخلاف المنهجي، فكل من اختلف معهم بدّعوة هجروه، ووصل بهم الأمر إلى أن هجر بعضُهم بعضا، وبدّع بعضهم بعضا، وأقرب مثال على هذا النزاع الذي حصل بين ربيع المدخلي، وأبي الحسن، كل طرف منهم، اتهم الآخر بأنه يسب الصحابة، وأقرب مثال أيضا، طلاب الوادعي، فقد تمزقوا، وتفرقوا..

ب ـ سلفية الحركة والتنظيم والمجابهة السياسية:

السلفية الإخوانية:

فهؤلاء قالوا نحن سلفيون في العقيدة، ونسير على خطى جماعة الإخوان

المسلمين، التي أسسها، حسن البنا، لما لها من نشاط فكري وحركي، والمنزع العقدي والهوى الفقهي في أدبيات الإخوان، على اختلاف المواضيع التي تتناولها، ليس سرا ولا متستراً عليه، فهو بارز واضح، ويمجد ويعتز به..

السلفية الجهادية:

وهذه الجماعة موجودة وكانت في أفغانستان، وهذا أمر حسن، ولكن غلا بعضهم، وخرج من الجهاد، إلى تكفير بعض المسلمين، والخروج على ولي الأمر المسلم، وخرج بعضهم إلى مسألة إنكار المنكر باليد وهو غير ذي سلطان، وهي التي خرج من تحت عباءتها العنف والإرهاب والتكفير، وكانت لها صولات وجولات في جميع أنحاء البلاد الإسلامية، ولقد أضاقتنا المر في الجزائر، طيلة عشر سنوات حمراء، وها هي الآن في العراق، وسوريا، ومصر، ولم تنج منها حتى اوربا..

وعليه فإنّ امتداداتها في الجزائر، وجميع بلاد المغرب العربي، كتيارات، بل وحتى مدارس وشيوخ وطلبة، وأتباع، يتكاثر عددهم باستمرار، وأجزم أنهم يسيرون من مكان بعيد، ويشتغلون لحساب أجندات، وهذا المنزع أو الهوى العقدي، لا نعدم أن نجد له وجوداً في مسيرة الإسلام في الجزائر، وافتعال واصطناع الخصومات والنزاعات والصراعات والصدامات، دونها المؤرخ الشيخ المهدي البوعبدلي، وأطلعنا في نفس الوقت على تواجد الشيعة، وحضورها، في مناطق عديدة في الجزائر، في أزمنة متقطعة من مسيرة الإسلام في الجزائر، وكانت تدفع وتحارب، صحيح أن السلفية، في هذه الأزمنة البعيدة، لم تكن بنفس القوام، ولا نفس الهوية، وإن قلنا الجوهر هو هو، ولكنه خضع لفعل الزمن، وفعل الظروف والتغيرات التي أكسبته لوناً آخر، وأعطته فعالية مختلفة...

(٣)

السلفية ومشكلات الثقافة

الاختزال و الاختلال

إذا كان الانطلاق من الصعيد العقائدي، إذا كانت الرؤية لا تحصل أو لاتكون كقضية أنطولوجية، أو وجودية، حتى تحتاج الى تموقع، وإشراف، لتملك الأبعاد الزمنية والمكانية، في طور، وفي طور آخر التموقع في نقطة أبعد من ذلك بكثير، هي السيطرة والهيمنة المتمكنة، على أبعاد ترسمها، استراتيجية الغائب والمطلق، ويدعى العقل بوصفه قوة فارقة أو مرتبة وجودية تتضمن خصائص رفيعة، ومزايا معتبرة، ومؤهلات مركبة تتيح له أن يشتغل على ما فوق الحسي، والاستواء على المادي، والاستحواذ عليه وتدبيره، كما لديه اليد الطولى، على القوة الأخرى التي في الإنسان كالذاكرة والخيال، وغيرهما من القوى واستثمار منتجاتهما، أو تجييرهما لصالحه، واستخدامهما لحاجاته، العقل طبعاً من حركته التي لا ينفك عنها، وهويته اللصيقة به، ذلك أن ينزع نحو العقلانية، أو تكوين نظام، يلم به شعث الواقع وأطرافه، أو مزقه وبقعه وحيزاته المتناثرة، أو المتناقضة، والمتباعدة، فيجلبها الى ساحته، ويضعها تحت رعايته، من خلال نظام يشيع فيها التآلف، والتجانس، يهذب وحشيتها، ويصقل جساوتها، ويلين صلابتها، ويأتي الى كثافة الواقع فيجعله شفافاً، والى تفلته وتملصه فيجعله طيعاً، ليناً، هيناً، بعد العقل، أو عقب معرفته، بالحجم والساحة، المستغرقتين فيه، أو المستهلكتين في طاقته وقدرته، نقاد ونرشد على مهاد هذه المعرفة، أو نحمل على أشعتها، الى كيفية تشكل الثقافة بوصفها أنماطاً للتفكير، وأنماطاً للسلوك، وأنماطاً للتقديس، وأنماطاً للتذوق الجمالي، وهذه ليست ممكنة، ولا هي قيد التحقق، إلا في نطاق علاقات غاية في الدقة، والتركيب، والتعقيد، تأخذ الأفراد كذرات شاردة، فتصنع ترابطهم، وتقيم تعارفهم وتآلفهم، في دوائر صغيرة، في الأسرة والقبيلة والعشيرة، وفي دوائر



أرفع، كاللغة، والمذهب، والدين، أو كالوطن، والأمة، والقومية، أين تتشكل عادات وتقاليد وبروتوكولات، تطاول الزمن وتنافس الجبال في رسوخها، ومن وبهذا يكون جهداً مشتركاً، يتوفر على كل الإمكانيات المودعة في الإنسان، أو المضمرة في قابلياته، من فكرية ونفسية، واجتماعية، أو (علائقية)، وعضلية، أين يصنع أو ينتج الحضارة، ولكن في أطر، وهل هناك أطر غير الأطر التي ذكرناها سلفاً، كالأمة أو القومية، ولكن بضميمة اخرى، أو بعامل طارئ، قد يكون متوقعاً، وقد يكون غير متوقع، كرسالة سماوية، وظهور مفكر خارق استثنائي، أو تيار فكري تنويري، ومنعرج تاريخي، يصير الشأن الثقافي، أو العامل الثقافي، عامل محوري، يخلق حقلا حيوياً، وجواً من الأصوات، والألوان، والروائح، أو مصدراً للمواقف، والأفعال، وردود الأفعال، ولما يقبح، وينفر، فيستنكر، ويدفع، الى الصدود، والإشاحة بالوجه، والى ما يطمئن، ويريح، ويعجب، أو يستحسن فيقبل عليه بلهفة، أو يرغب فيه، فيطلب، أو يكون من الإضافات التي تكون بها الحياة حلوة سعيدة، وللعلم فإن الثقافة، أو شخصيتها، تضع حدوداً دقيقة للمقبول، والمرفوض، أو لما له قيمة، ولما ليس له قيمة، سواء بالنسبة لما يخص التفكير، أو لما يخص الروح، أو لما يخص المشاعر والإحساسات، وحتى تغدو هذه القضايا واضحة جداً، نذكر مثالاً حصل للمفكر مالك بن نبي، يقول: (شاهدت مسرحية عطيل للكاتب الكبير الإنجليزي شكسبير في اوربا فلما وصلت المسرحية الى محل عقدتها حيث قتل عطيل ديدمونة، ويعلق حيث ادخر المؤلف لها كامل عبقريته، يخلع التأثر الشديد على الإنسان الأوربي، ويتصاعد منسوب حزنه وتفيض عيناه بالدموع، لأنه ينظر إليها نظرة جمالية، وشاهدتها في المسارح العربية، فلم يبالِ المشاهد العربي، ولم يرف له جفن، لأن رؤيته لها أخلاقية)، ما الذي يعنيه بالضبط أن نتكلم عن السلفية الوهابية، في إطار الثقافة، ومن خلالها أو بموجهاتها، وإيحاءاتها، بل بمعاييرها وموازينها، إن الثقافة عندما تكون في أفضل حالاتها، وأوج نشاطها، وأشد فاعليتها، أو ثقافة الحضارة، تكون محصنة، ومعتصمة، تلفظ

ما ينبت فيها، أو يمسها من كائنات غريبة، تخربط حركتها، أو تعطل سيرها، أو تخرب اتساقها وتناغمها، وتصد كل ما يأتيها من خارجها، إلا إذا كان قابلاً للتهذيب والتبيئة، وعندما تعجز وتخمل وتنكمش، وتفقد التجديدات المستمرة، والمواكبة المقتدرة، أو تكون ثقافة انحطاط، قد غادرتها المناعة، وارتخى دفاعها حينئذ، وحينئذٍ فقط تستباح بالغزو الخارجي، والفكري والثقافي، وتتسامح مكرهة مضطرة، او تتخلى، لأنها فقدت جميع الخيارات، للتيارات الهامشية، أو تيارات المفازات والأحراش، أو فرق الصعلكة، أن تحتل الساحة الثقافية، وتغرز فيها أوتادها، وتقيم عليها خيامها، وهذا في حال تسرب الاستقالة، لكيانات الأفراد والمجتمعات، أو ما يسميه المفكر الجزائري مالك بن نبي (القابلية للاستعمار)، ويسميه الآخرون (التفاوت التاريخي)، أو (الانحطاط)، إن المأزق أو الإشكالية، بالنسبة لهذا التيار السلفي، الذي طفح على السطح، في عدة محطات من تاريخنا، وأذاق المسلمين وبال شره، وترك ندوب وبثورا في جسم الدين، أو أوهن عقائد الأغرار والضعاف، أو الهمل، حين حال بينهم وبين المذاهب، والمدارس الفقهية، أو أوهن ثقتهم بها، وفرمل أو كبح فواعل الثقافة، وأزال حدودها، فأشعل بهم فوضة وهرجاً ومرجاً، هي في الحقيقة، انتفاشه أو انتفاخه مغتر، أو زبد نهر وبحر، أو تشنجات جسم زايلته السلامة والصحة، وإذا عدنا مرة اخرى الى تعريف الثقافة، وأضفنا إليها ما هو من مكملاتها، أو من أجزائها التي تكون من دونها ناقصة ومبتورة، وهو المتخيل، والرمز، والثقافة الشفهية، وهي ربما في نظرنا الخاصرة الضعيفة للثقافة، أو جوانبها الرخوة والهشة، التي تكون مدعاة للاختراق، أو لتنفس الفوضى، أو ثوران براكين الحمم، بالمعنى الإنساني، والمجتمعي، وغدا هذا ممكنا، أو سهلاً ومتيسراً، لما كفت الثقافة الكتابية، عن التحكم والضبط، أو عن التجديدات، والإبداعات، ودرست أنماط التفكير، وأنماط السلوك، وأنماط التقديس، أو أصبحت أطلالاً، وغابت المؤسسات، بمختلف أصنافها، وغاب التنسيق بينها، حيث أصبحت كل مؤسسة، تدور في فلكها الخاص، أو في خط



مصالحها الضيقة، وانعزلت عن غذاء الدين، ومدد الثقافة، يقع العلاج ويتأكد، فقط بتنشيط فواعل الثقافة ككل، وتجنيد كل مفرداتها، هنا يمكن محاصرة توحشها، وأصواتها النكرة، وفيضان سيلانها المدمر، وحتى ربما خنقها، هذا إذا عززنا كل ذلك بالمقدس ...

(٤)
السلفية والمجتمع
الانفصام والحرث في الماء

طغى كلامنا على الثقافة، وسطعت مهمتنا في المقاربة على إيلاء مكونات تشكيلات الثقافة، وما يمكن أن تنهض به من جهد، وهو على الحقيقة جهدٌ، لا يمكن أن يستعاض عنه، أو نعثر له على بديل، أو نقيم له نائب، وهي أي: الثقافة، تنأى بنفسها عن الاعتباطية والارتجالية، وتحرم أو تمنع بعفوية وتلقائية، التغيرات والسريعة، أو المتلاحقة والمتتالية، التي يلجأ إليها ويتبناها المغامرون، والطائشون، أو المغرورون، والذين يرون في أنفسهم شيئاً، لذا نرى سلوك الثقافة، أو ردودها المفحمة، وإعراضها عن مشاريع، وأفكار، وطروحات، وآراء، ومقترحات تعرض نفسها، نحتار في هذا السلوك، ولا نجد له تفسيراً، ويستشيط غضباً، من تصدوا للإصلاح والترميم، أو للتغيير والتبديل، أو للإنقاذ والانتشال، أو للتنوير والتبشير بالنهضة، أو لمن شمروا وتجمهروا حول هؤلاء، ومحضوهم التأييد المادي، والمعنوي، نقول إن الثقافة، لو تجاوبت مع كل ناعق، وتفاعلت مع كل زعم، لانسحب بساط الاستقرار من أصله، ولانفصمت وانفرطت العلاقات، ما بين مكونات المجتمع، أولاً، وما بين المجتمع والنخبة، ثانياً، وما بينه أيضاً، وبين السلطة، وهي كثيرة في المجتمع، وتفضي بعضها الى بعض، أو تتبادل التأثير والتأثر، أو الدعم والتساند، يتحصل لدينا، أو نورد الفهم القويم، أو المسدد، لو سايرت الثقافة التغير في كل

حين، والاستجابة للآراء والمقترحات، في كل آن، لتزعزعت اسسها، وانخرم نظامها، وتحلل تماسكها، وهذا ضد طبائع الأشياء، إن زمنية الثقافة طويلة، وطويلة جداً، أو تستغرق أحقاباً من الزمن، حتى تكتمل، وتؤتي أكلها، وكذلك بالنسبة لإصلاحها، وإدخال التجديدات، والإبداعات، الى حقلها، فإنها لا تقبلها إلا بتكييفات، وتعديلات، ومواءمات، ومناسبات، وشروط، والحال أن هذا لايتحقق إلا بشق الأنفس، وفي زمن ليس في مكنتنا تقديره، لأن التاريخ، يأتي بأشياء لم تكن بالحسبان، ويصدمنا بمفاجآت لم نكن قد أعددنا لها العدة .

المجتمع في الحقيقة، أو في الجوهر، هو نتاج وانعكاس للثقافة، أو هو الثقافة وقد صارت نظاماً، في تركيب علائقي، وفي توزع نشاطي، أو تقسيم عملي، إن المجتمع بوصفه وحدة متكاملة، اعتبارية، حضر في نقطة معينة من الزمان والمكان، كولادة، أو كاستئناف، ومعاودة لصناعة التاريخ، والمشاركة في الحضارة، أو المسك برسالته، وقد اقدر على ذلك أو ملك مقومات هذه الرسالة، ونفذ الى روحها على نحو التشبع، أو الامتلاء، فكان همه وشغله، وديدنه، الذي يعيش عليه، ويحيا من أجله، ومن خلاله (أي الرسالة)، يعي وجوده، فاندفع كالسهم ينشرها في الآفاق، ولايألو جهداً في التمكين لها، والحال أن اقتران الحضارة بالرسالة أمرٌ بديهي، وكما نعرف من حوادث التاريخ، ومن سنن الاجتماع البشري، ومن إدراك العقل الاعتباري، الذي يجمع بين هذا وذاك، أن هذا الطريق ليس ممهداً، بل فيه كثير من الحواجز، وليس شاغراً، أو خالياً، بل مزدحماً، وليس سهلاً ميسراً، بل صعباً مستصعباً، هنا في هذه النقطة، وهذه المحطة الحساسة، والحساسة جداً، أو بتعبير آخر في هذه الإشكالية المنغلقة، التي لا تقبل الحل، ولا تلين له، إلا أنها تقبل التجاوز، لأنها عبارة عن كم هائل من المشاكل تشدها خيوط، بعضها الى بعض، كل مشكلة في هذا الكم، لا تقبل الحل منفردة، قد يقع في روع من يتتبع كلماتنا المتواضعة هذه، أو يقرأ مقالنا، إنّنا نطوف بالمشكلة، ونلف حولها، من دون أن نذهب إليها رأساً،

وعلى الفور، أو نمد إليها أيدينا، أين هي ؟، وهي في وكرها، وحصنها، من دون مواربة، ولا ذهاب يمنة ويسرة، وصعود وهبوط ــ (المأزق أو الإحراج الوهابي)، وقد بلغ منه السيل الزبى، وطفح الكيل: إطاحة بالمؤسسات السياسية، ومجابهة متعاظمة للمؤسسات العسكرية، وتوهين لدورها، أو تشويش لوظيفتها، وتشويه لسمعتها، وأما ما نالته منها، المؤسسات الدينيةـ ورجال مذاهبها، ورموزها، فقد تجاوز حدود المعقول، وعلى المجتمع، أو المجتمعات العربية والإسلامية، كانت وطأتها أشد، وتأثيرها أفعل، تمزق وتشرذم وعدوات وإحن، ومعاناة ومآسي ــ في الحقيقة أن طبيعة الكتابة، وخصوصية الموضوع، وطريقة التناول لإشكالية بهذا الحجم، وبهذا التركيب والتعقيد، وببعدها التاريخي، وبتشابكاته التي لا حصر لها، كالأصول الاجتماعية لكل فرقة، وما يحمل عليه التنافس، على الرأسمال الرمزي والمعنوي، والذي هو من مكونات كل مجتمع، أو من حاجاته، التي لولاها لما ارتفع من طور أدنى، الى طور أعلى، أو من مستوى، الى مستوى أغنى وأرقى منه، والذي قد ينشب منه صراعٌ، غير ذي وجاهة، أو وجهة، نتيجة خلل ما، لم يتنبه له، أو يكترث به، كالأطر الاجتماعية للمعرفة، التي ينتسب إليها الفرد، أو الفئة، أو الشريحة الاجتماعيتين، ويأخذ منها نصيبه، من المعرفة، وإدراكه العقلي، أو تكوينه وتربيته، في كامل أبعادها النفسية، والروحية، والعقلية، أو يشكل من خلالها شخصيته، كالقدوة، والمذهب الفقهي، والمنهج العقدي، والأدب والفن، أو غذاء الوجدان والمشاعر، قد يتساءل متسائل ؟، ولا غضاضة في تساؤله، ومشاحة في اعتراضه ؟، ولا في تنكره لعدم الفهم، أو عدم اكتماله، أو أنه قضية قلقة لا يحسن السكوت عليها، أو أن الوعي يرفضها بتاتاً، ويرى بديلاً لها، أو ضداً ونقيضاً، هو أن العناصر التي يتكون منها الإطار المعرفي، هي الرسول صلى الله عليه وآله بوصفه قدوة، والقرآن كتاباً، ومدرسة، ومذهباً معاً، وهو ما تدعيه السلفية، أو السلفية الوهابية، وتنام عليه، أو تزعم امتلاكه بمفردها، ولا يشاركها فيه أحد، على وجه الجزم

والقطع، محل (الدوغمائية)، أو اليقين العاري من لوازم العقل والشرع، أو العنف النكد، الذي اضطر المجتمع الى الانفراط، كانفراط السبحة، وقد تقطع سلكها فأصبحت كل حبة في كف لاقط، لا ؟، هذا تفكيرٌ موهوم، أو تصورٌ مكلوم، وإدراكٌ مخروم!! الاختلاف ينشأ أو يبرز وينتأ، وإن كانت المنطلقات واحدة، والمؤثر من قبل واحد، والمعطيات والمباني التي وضعت تحت اليد، أو في متناول العقل والفكر، تكاد تكون في أكثر الأحيان، وعند غالب الفئات، متجانسة، يكون الاختلاف ولابد، إلا أنه يجب أن يكون موضوعياً، تمليه اختلاف الموضوعات، والميادين، المشتغل عليها، ويمليه أيضاً، تفسير اللغة وتأويلها، واللغة كما هو معلوم (بؤرة للدلالات)، وتمليه أيضاً الأدوات المشتغل بها، كقواعد الاجتهاد، ومجسات النظر، وتجدد الأقضية والحاجات، أو النوازل والحوادث، وطرائق قراءة الأحاديث والسنن، والموازين التي توضع لصحتها، أو قبولها، أو استحسانها، وكيفية استثمارها، وعليه فإننا بصدد تسليط الرؤية، على قضية القضايا، في عصرنا وفي واقعنا، نلجأ الى قطاع من الواقع، أو الى حقل من حقوله، بوصفه رائزاً وبقعة إمكان واختبار، لأننا من صلبه ومن فضائه، ومن مفرداته وجزئياته، أو من كائناته وشخوصه، التي عركته وعركها، أو عالجته فتمنع، أو محصته فتدلع، أو ساومته فترفع، أو أرادت أن تشرحه وتفككه، فارتطمت به فطحنها وسحقها، هو الواقع الجزائري، لم يكن كما هو الآن، أو كان بالضد وعلى العكس من وجه هذا الواقع الجديد، وقد غزي واستبيح، أو اخترق وانتهك، على بكرة أبيه، كان الواقع الجزائري أيام الاستعمار (الاستدمار)، وفي سنوات الاستقلال الأولى، تلبسه الوحدة، ويسري فيه التناسق والتناغم، ويصدر في كل ما يهمه ويريده، أو في كل ما يحز به، ويؤلمه، عن عقل واحد، ورأي واحد، ومشاعر واحدة، لأن المرجعية واحدة، وكان المجتمع الجزائري، وربما هذه القضية لستم أنتم إخواننا المشرقيين، على إطلاع عليها، أو إطلاع ليس بالكفاية اللازمة، لتمكين الرؤية من الإدراك، أنه رغم مذهبه المالكي السني،

والأشعري العقدي، كان يفنى في حب آل البيت عليهم السلام، أو يستغرقه ويغمره حبهم، وكان من جهة الوجدان والمشاعر يعدّهم المراجع الحقيقيين، ولهذا قصص، وأمثالٌ، وشعرٌ باللهجات الجزائرية، وكاتب هذا المقال عاش هذه الفترة، يشهد أن الأسماء الأكثر ذكراً، ودوراناً على الألسنة، وإشادة وتمجيداً، هم أهل الكساء، وحتى الأكثر تسمية لأولادهم، وحتى معظم علماء المالكية كانوا يرون بل يقتنعون بأن التشيع مذهب من المذاهب الإسلامية، وحتى لا يقع التباس، نذكر بأن بعض فقهاء وعلماء المالكية، غير ذلك تماماً، كابن العربي الإشبيلي (الفقيه المالكي)، وحتى ابن حزم الظاهري، وابن خلدون المالكي، وحديثاً البشير الإبراهيمي نائب رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، ولم ينتج من ذلك أخلافهم وأتباعهم ....

(٥)

السلفية وعقدة التاريخ
صناعة العدو، والانتقام منه

١) منظور التاريخ :

من تحصيل الحاصل الى أن ننبه إلى أن سحب بساط التاريخية، من تحت الأشياء، سواء كانت هذه الأشياء مدنية، أو حضارة، أو ثقافة، أو علوم، كيفما كانت هذه العلوم، علوم اجتماعية إنسانية، أو علوم صحيحة، متعلقة بالمادة الصلبة، أو بالأحياء، هذا إن لم نقل أن الكون علويه وسفليه، له تاريخ، وفي رواق التاريخ وتحت ردائه، أو في جوفه وكفية اشتغاله، أو بين يديه، وفي حالة تصرفه وتدبيره، أو صناعته لأشياء، ودَعَّهُ لأخرى، إما لأن قابليتها غير متوفرة، أو لأنها تأخرت عن اليوم الموعود، أو لأنها حادت عن الفرصة التي وفرها لها، أو لم تواتِها الظروف والحيثيات، طبعاً نحن نتكلم في إطار الخلق المباشر لله، وفي نطاق العناية والرعاية، الإلهيتين..

٢) أفكار وحركات تنزلق على سطح التاريخ:

السلفية الوهابية، بوصفها فكرة، وحركة، أو إمكاناً يريد أن يخرج من القوة الى الفعل، أو ينبثق وينفتح على الفعل والعطاء، أو على التداول والأخذ والرد، ومن ثمّ التمدد والانسياح، أو التمكن والاستقواء، لم يشأ أن ينصت الى التاريخ، ويتلقى دروسه وعبره، فضلاً عن أن يؤمن بأن للتاريخ منطقاً، وسنناً، لا تحابي أحداً، من خرج عليها أو لم يحترمها، رماها على ضفافه، وهوامشه، أو نفضها من على ظهره، أو من على سطح ظهره، كما ينفض الزبد وخشاش الأرض، من على سطح النهر أو البحر، ويرمى في الضفاف والهوامش، وهؤلاء رفضوا منطقه ومعقوليته، ولم يروا له تأثيراً بتاتاً، وأصروا على أن الزمنية، هي هي، وعلى أن الظروف، باقية على حالها، أو لم تحل ولم تزل، وبقيت كما كانت منذ آماد، وفاتهم أو خانتهم قناعاتهم، وعاداتهم في التفكير.

إنّ أنماط التفكير، وقوالبه، وأنماط السلوك، وبرتكولاته، تخضع للتغيير، وتنصاع للتعديل، إنْ قليلاً أو كثيراً، مع مرور الزمن، وتواتر الإنجاز، وتضخم التراكم، صعدوا إلينا من القدامة، أو من بداوتها بجميع ملابساتها، أو بنفسها ومزاجها، وحتى بسقط متاعها، وحتى أنها وهي تقدم بكل إرادتها، وبمنتهى قدرتها وإصرارها، على التحويل التاريخي، أو رغم أنف التاريخ، لحياتنا، ولمعايشنا، وحتى لمصادر تفكيرنا وثقافتنا، أو لأسس الفهم والوعي، ولمتطلبات الذائقة الجمالية والفنية، تستنجد باللغة الشفاهية، أو الطبيعية، التي لم ترتفع الى التجريد، ولم تطلها يد الصنعة، أو لم تخضع بما فيه كفاية، للتهذيب والصقل، لتقدر على حمل معاني العقل الرفيعة، أو لتتشكل في تشكيلات متنوعة ، من مادة المفاهيم والمصطلحات، والمفردات الخاصة، لتلائم كل علم على حدة، ولتنقل بكل أمانة، أو بكل دقة، معاني العلوم على كثرتها وتباينها، أو على تمفصلها وتفرعها.

٣) الوهابية تقف في العراء وتطارد الشاردة:

أمّا وقد ودعت كل ما يمت للعقل وعلومه بصلة، توديعا غير مأسوف عليه، وانصرفت متعجلة أو مسرعة، عن كثير من معاني الروح، وعن زبدة معاني الرسالة والكتاب، وحسبتها فضلة، أو على الأقل نافلة، فما لها وللغة المخصوصة، أو اللغة باعتبار الأوصاف التي جهدنا في اقتناصها، وتعملنا، بما يتسع له تفكيرنا في أن تكون دالة أحيانا، وإجرائية أحياناً اخرى، ولأنها لا تقوى على حمل تراث، بمثل هذه القامة، وبمثل هذا الزخم، وهذا الاتساع، وهذا الغنى، ولايمكن أن يتسع له صدرها أو يصافيه قلبها، وهو على هذا التجهم، وهذا الاكفهرار، والشؤم، من كرم هذا التراث، الذي يقبل المخالف، كما يقبل الصنو والشبيه، ولا يتبرم بتعدد الألوان، والأحجام، وفي الوقت نفسه انبرت للعصر وقضاياه، أو للحداثة والتقنية، أو لما يمكن أن يعكساه من فكر وثقافة، وفي إرادتها ونيتها أن تدجنه، وإلا تنهره وتصده، ولا ترضى إلا بتواريه واختفائه، أو بتلاشيه واضمحلاله، وهذا حتى يخلو المكان، ويستقيل الواقع، ويفقد كل مقاومة، ويخفق في الدفع عنه، يمكن في هذه الحالة، أو هذه الوضعية، أن نمثل بهذا المثال العربي ونحن مرتاحون (حديث خرافة يا أم عمر)، وفعلا تخيلت أو توهمت من خلال العالم الأسطوري، الذي اسطنعته، أو بالمثيولوجيات، التي اصطحبتها معها، منذ البدء، أو من محطة الإقلاع، أن الواقع تحت معالجتها، أو طيع في يديها، وهي على وشك أن تسويه، أو تجعله محلاً للرغبة والطلب، أو للتوق والهفو، والواقع يسايرها، ويمشي في ركابها، ويستقيم بمعاييرها، لأنها جاءته بلغة الأم، أو اللغة الشفاهية.

٤) الوهابية لدد الخصومة وإرادة الانتقام:

حملها حقدها المتعاظم، على التاريخ ومكره، وعلى الماضي وكدماته، وعلى عامة الناس، وقد أوجسوا منها خيفة، وعلى النخب، أو (مجاميع العلماء)، وقد استخفوا بها، وسخروا من جهلها، أو من بضاعتها المعرفية، المتواضعة جداً، أو من وهن

أدلتها، وهشاشة طرحها، وجرح انتسابها، وعور ولائها، أو مرضه المزمن، الذي لم تصل به، لا واجب المحبة، ولا ما أمر الله به أن يوصل، على جهة الاعتقاد الديني، ولا على جهة الإتباع الشرعي، وكان الأحرى بهذا أن يتسبب في مراجعتها لإرثها، ونقدها له، وإعطاء لنفسها مهلة، تقف فيها وقفة تأمل، ولم لا ؟، قراءة لتراثات الفرق الأخرى، من دون خلفيات ولا مسبقات، وبهدي العقل المستقل الذي يقف في نقطة تبعد بمسافة واحدة، من جميع الفرق، بل من جميع الأديان والإديولوجيات والثقافات، ألم يحتف القرآن، أيما احتفاء، بالعقل، وبالتفكير، ويدعو الى تسليط العقل وفتح دينامية تفكيره، على كل شيء، من أبسط شيء، الى أكبره وأضخمه، ألم يؤلف أديب وكاتب عربي حديث (محمود عباس العقاد)، كتاباً سماه: (التفكير فريضة إسلامية)، ألم يقل المفكر العربي الحديث، من أصل مغربي، (محمد عابد الجابري)، وهو يتأمل فشل المدرسة الإصلاحية، وهي تطلب النهضة، وفشل القومية، وهي تطلب التنمية، والعدالة، والمساواة، وتكافؤ الفرص، وتحرير فلسطين، وأخيراً فشل الدولة القُطرية المطبق، بأن قبل هذا كان الأفضل أن يبدأ بنقد العقل العربي، ولكنها أي السلفية الوهابية، لم تستشر العقل، ولم تعرج على المقارنة، ولم تستجب لنداء الضمير، ضمير الشرع، قبل ضمير الشخص، أو الكائن، فتملكها الغضب، وأخذ بعنقها العناد، فازدادت بعداً وملاحاة، ولم تبالِ بأن هذا قد يوردها موارد الهلاك، كالكيد للمسلمين، والتربص بهم، قصد الإيقاع بهم، ومد اليد الى العدو للاستعانة به، ولربما وقعوا في النصب، وهو الداهية العظمى.

كل هذه الاعتبارات والحيثيات، جرتهم الى قابلية الاستخدام والتوظيف، إن على المستوى الداخلي، وقد تم هذا مرات عدّة في التاريخ، من طرف السلطة، أو من طرف الموالين لها، أو القوة المناوئة، التي تريد أن تنقض على السلطة أو تحوزها، ويكون هذا دائماً، على حساب شرعية المشروع، أو على حساب سوية الأفكار، ومدى ارتباطها بالرسالة، واتّصالها بروحها، وصدقية تمثيليتها لمقتضياتها، وإن على

المستوى الخارجي، أو القوة الخارجية، المناوئة والمتربصة بعالمنا الإسلامي، أو كفكرة، وثقافة، ورسالة مقدسة، يقبع في ذاكرتها، ويسكن مخيلتها، منذ الحروب الصليبية، وبالرغم مما لمسته منه، أو نالها من الاحتكاك به، وحتى الصدام، من تسامح وأريحية ونصفة، رغم الشنآن، ومدنية زاهرة، تجد فيها الإنسانية نفسها، وتساعدها على التخلص من وحشيتها، أو مما يسبب الأتعاب لها ولغيرها، تصلح لأن تؤخذ وتستوعب، أو على الأقل يقتبس منها، أكيد أن القوى الأوروبية، لاحظت هذا وتفقدته، وأخذت منه أو اقتبست ما يجاري هواها، ويناسب مصالحها، ولكنها لم تشأ، أو حتى تبرمت، بروح هذه المدنية، وخلاصتها، أو النتائج التي تفضي إليها، والجنى الذي تقود إليه، وتعمدت إخفاؤه، أو تشويهه، وبقيت على مرضها، أو انطوت على حسد، تعاظم وتفاقم، وعاودت الكرة مرة اخرى ـ بعد الكابوس العثماني وما خلفه وتركه، من انهيارات وتحلل ـ أيام استعمارها أو احتلالها، للأوطان العربية والإسلامية، عنوة وبحد السلاح، واستعملت كل الوسائل، ووظفت كل الأدوات، لمسخ هذه الشخصية، أو تعديلها، في أثناء تواجده في العالم الإسلامي، فلم يحالفه النجاح، للوصول الى هذه النواة الصلبة، في كينونة هذا العالم، فدبر أمره بليل، واستنجد بخبرة التاريخ، وأنشأ لذلك علوماً، ومراكز بحث، كالاستشراق، والأنثروبولوجيا، وعلم الاجتماع، وعلم النفس التاريخي، وغيرها من العلوم، وجاء الى الاستعمار الجديد، والهيمنة الاقتصادية، والإعلامية، ونمط الاستهلاك، بعد استقلال بلدان العالم الإسلامي، ما مكنه على وضع يده على بؤر التوتر، وعلى جروح التاريخ، وعلى خطوط الهشاشة، أو الخواصر الرخوة، التي ظل يشكو منها العالم الإسلامي، لأزمان طويلة، ولم يتوقف عن رفع عقيرته، بشدة ألمها وتباريحه، فذهب مباشرة، أو انحط من علٍ على السلفية الوهابية، وهيأ لها أوطاناً وممالك، وسخر لها ما سخر من إمكانيات مهولة، إن لم تكن من صنائعه، وما نعاينه ونشاهده الآن، يشهد على ذلك ...

* هوامش البحث *

(١) - الآية ٥٩ من سورة النساء.

(٢) الآية ٥٦ من سورة النساء.

(٣) الآية ١٢٨ من سورة التوبة.

(٤) الآية ٦٥ من سورة النساء.

(٥) الآية ٦٦ من سورة النساء.

(٦) الحديث أخرجه مسلم، حديث (٤٤)، وأخرجه البخاري في كتاب الإيمان باب حب الرسول صلى الله عليه [وآله] وسلم من الإيمان حديث (١٥)، وأخرجه النسائي في كتاب الإيمان باب علامة الإيمان حديث (٥٠٢٩)، وأخرجه ابن ماجه في المقدمة باب في الإيمان حديث (٦٧).

(٧) نهج البلاغة – الخطبة ٥٠.

(٨) نهج البلاغة – الحكمة ١.

(٩) رواه البخاري (٨٥) - واللفظ له - ومسلم بمعناه (١٥٧).

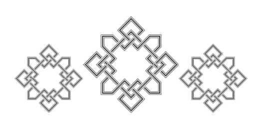
(١٠) الآية ٢٥ من سورة الأنفال.

(١١) الآيات ٤٧ – ٤٨ – ٤٩ من سورة التوبة.

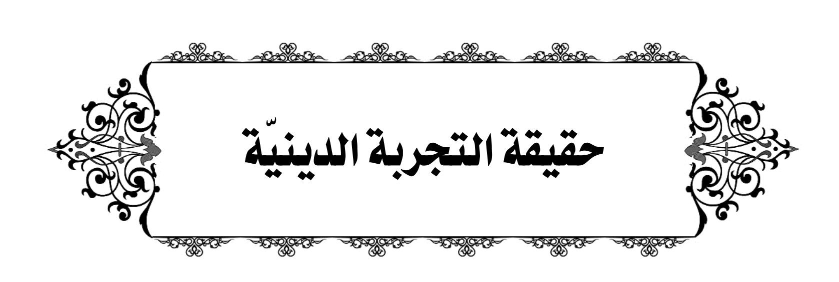
(١٢) الآية ٣٨ من سورة محمد.

(١٣) الآية ١٣٨ من سورة البقرة.

(١٤) مشكلة الثقافة.







حقيقة التجربة الدينيّة

الدكتور الشيخ عبد الحسين خسروبناه

ترجمة: محمد حسين الواسطي

تمهيد:

لمّا كانت حقيقة الدين هي تلك الحقيقة المبيِّنة للمآل الأخروي والملكوتي لعقيدة الإنسان وأفعاله الدنيوية، وطالما أنّ إثبات هذا يحصل في الأعمّ الأغلب من خلال النصوص الدينيّة، وما دام الوحي الإلهي هو أهم تلك النصوص، فإنّ السؤال عن العلاقة بين الدين والتجربة الدينيّة إنما هو سؤال يعود إلى الصلة بين الوحي والتجربة الدينيّة.

ومن أهمّ المسائل المطروحة في موضوع التجربة الدينيّة البحث عن واقع الصلة بينها وبين الدين؛ فهل حقيقة الدين هي ما يُسمّى بالتجربة الدينيّة؟ وهل الوحي الإلهي تجربة دينيّة؟ وهل التجربة العرفانية هي تجربة دينيّة أيضاً؟

تتطلّب منّا الإجابة على هذه التساؤلات فتح ملفّ يدرس كلّاً من «التجربة الدينيّة»، و«التجربة العرفانية»، و«الوحي».

أمّا الوحي فتُعرف ماهيّته وحقيقته من الكتاب والسنّة، وأمّا التجربة العرفانية فالطريق إليها يمرّ عبر العرفاء وأهل الشهود، وأمّا التجربة الدينيّة فنقف على تفاصيلها حسب ما أفاده المفكّرون والمنظّرون.

وسوف نسعى في هذه البحوث إلى إثبات التغاير بين حقيقة الدين والتجربة الدينيّة. أما التغاير بين الوحي والتجربة الدينيّة فأمره موكول إلى بحوث باب النبوّة.

ماهية التجربة الدينيّة وأنواعها:

المنهج المتّبع في مسألة تطابق الدين أو عدم تطابقه مع التجربة الدينيّة هو منهج ظاهراتيّ؛ بمعنى أنّنا سوف ندرس - بادئ ذي بدء - الظواهر المنتمية لكلّ من الدين والتجربة الدينيّة؛ لنتعرّف عى معانيها، ثمّ نقف من خلال ذلك على تغايرها أو اتحادها.

وسوف تنتهي هذه الدراسة - من خلال مطالعتها لظواهر التجربة الدينيّة كما صوّرها شلايرماخر، وألستون، وبراودفوت، والأنواع التي فصّلها سوينبرن، ومن خلال معطيات البحث عن حقيقة الدين - إلى الحكم بتغاير الدين والتجربة الدينيّة.

ماهية التجربة الدينيّة:

تقدّم أنّ الوقوف على معنى التجربة الدينيّة يتأتّى من خلال استعراض رؤى المفكّرين والمنظّرين في هذا الصدد؛ إذ سننتهي من ذلك إلى تعريف دقيق عن هذه الظاهرة، ممّا يسمح لنا بعدئذٍ بعقد مقارنة بينها وبين الوحي.

التجربة الدينيّة عند شلايرماخر:

يُعدّ شلايرماخر أوّل من تناول مصطلح «الشعور الدينيّ»، ثمّ كتب بعده وليام جيمس (١٩١٠م) كتاباً عنوانه «تنوع التجارب الدينيّة». وقد ذكر شلايرماخر السبب الذي دعاه إلى خوض غمار هذا البحث في ضمن مقدّمة كتابه المسمّى بـ«حول الدين»[1]؛ حيث قال إنّ بعض أصدقائه الذين حضروا حفل عيد ميلاده ذات يوم عاتبوه بالقول: إنّ الإلحاد واللادينيّة قد بلغا حدّ الذروة في القرن التاسع

العشر، وقد تمايل أغلب الناس والعلماء نحو النزعة الإلحادية؛ فلِمَ لا تحرّك ساكناً وأنت متكلّم لاهوتيّ لتذبّ عن حياض الدين؟ لم لا تعلن أنّ من حقّ الدين أن يبقى حيّاً؟ لماذا لا تُبيّن دوره وفاعليّته؟ وهذا هو دفع بلاشيرماخر ليكتب كتاباً موجزاً خصّصه للحديث عن الدين، فأوضح فيه ما يجب معرفته من معنى الدين.

وقد تطرّق شلايرماخر في هذا الكتاب إلى مجموعة من الفرضيّات، وناقشها، ليخلص في النهاية إلى رؤيته في هذا المقام. وقد بدأ في استعراض برهانه من خلال الفرضيّات الآتية:

١. هل الدين هو الميتافيزيقا [٢]؟ الجواب: الدين مختلف عن الميتافيزيقا.

٢. هل الدين هو الأخلاق؟ يقول: هاتان حقيقتان منفصلتان؛ خلافاً لما يزعمه باركلي؛ حيث اصطنع تلفيقة معيّنة جمع فيها الأخلاق والدين.

٣. هل الدين هو العرفان أو التصوّف؟ يرفض شلايرماخر هذا الفرض أيضاً.

ويخلص شلايرماخر في نهاية المطاف إلى أنّ الدينَ تجربةٌ دينيّة، ويُعرّف التجربة الدينيّة بأنها الشعور بالاعتماد على موجود مطلق، وحقيقة مطلقة[٣]. ويرى أنّ هذا الشعور بالاعتماد على الموجود المطلق هو شعور بالاعتماد الكامل الشامل على جهة أو قوّة تمتاز عن العالم.

وعلى هذا الأساس، يرى أن التجربة الدينيّة هي من جنس الإحساس والشعور؛ لا من سنخ العلم أو المعرفة. ويضيف إلى ما تقدّم: وفقاً لهذا التعريف، ليس الدين من جنس العلم، وهو لا ينتمي إلى الأمور المعرفية. ومن ثمّ: فإنّ لغة الدين ليست لغةً معرفيّةً، والدين لا يتّصف بأيّ صبغة علمية أو معرفية، بل إنه يمنحنا شعوراً روحانياً عبّر عنه بعض علماء النفس بأنه شعور يُخرج المرء من وحدته، ويرمي به في أحضان أجواء روحانية معيّنة.

وقد وافق رودولف أوتو على تعريف شلايرماخر بحذافيره، ساعياً إلى إسقاط تفاصيله على الأديان السماوية والإبراهيمية.

لقد ذهب شلايرماخر في نظريّته التي تزعم الانسجام والتناغم بين الدين والتجربة الدينيّة إلى أنّ كلّ إنسان متديّن؛ حتّى إنسان القرن التاسع عشر، وأنهم جميعاً يمتلكون تلك التجربة الدينيّة، وليس هناك من البشر من لا يشعر في قرارة نفسه بالاعتماد على الموجود المطلق الذي وصفه بأنه ما وراء هذا العالم. ولم يستثنِ شلايرماخر الفنّانين الذين اشتهروا في ذلك العصر بأنهم أكثر الناس بُعداً عن الدين؛ حيث عدّهم من أشدّ الناس تديّناً؛ لأنهم حسب وصفه يمتلكون هذا الشعور بالاعتماد على الموجود المطلق أكثر من غيرهم. وكما يعبّر ستيس في كتابه «التصوف والفلسفة» فإنّ هذه الحالة مشهودة حتّى عند المدمنين على المخدِّرات.

وفي الختام، ردّ شلايرماخر على أصدقائه بألّا يتحسّروا على الدين، أو يهابوا لادينيّة القرن التاسع عشر(٤).

وبناءً على ما تقدّم، فإنّ التجربة الدينيّة تنتمي إلى أحاسيس الإنسان ومشاعره، ولا يخفى أنّ الشعور ينطوي على مراتب ودرجات، فلا يبعد أن يُدّعى القائلون بالتجربة الدينيّة أنّ المرتبة العليا من هذا الشعور هي المرتبة المسمّاة بـ «الوحي»، وهو ما أرسله الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وتقّاه الإنسان منه.

التجربة الدينيّة عند ألستون:

يرى ألستون أنّ التجربة الدينيّة أمر علميّ؛ وليس من سنخ الشعور والأحاسيس. وإذا انتهينا إلى أنّ التجربة الدينيّة تنتمي إلى جنس الأحاسيس فمن اللازم عندئذٍ أن يكون الشخص صاحب الإحساس موجوداً. أمّا متعلق هذا الشعور فلن يكون أمراً وارداً في البحث؛ لفرط غموضه، فالفرد المدمن على المخدّرات مثلاً لديه شعور وإحساس معين، لكنّ متعلّق هذا الإحساس أمر

مجهول، فلعلّه يحسّ بالوحدة، وبحاجته إلى من يمدّ يد العون له، لكن من هو هذا الشخص المعين الذي يحتاجه؟ وما هي صفاته؟ ذلك أمر غير معلوم، وليست الصورة واضحة حياله، ولهذا لا يدخل متعلق الإحساس في خضمّ البحث. وعليه، فإنّ الشعور يتكوّن من ثلاثة عناصر؛ هي: الشعور، وصاحبه، ومتعلق هذا الشعور. ولا يجري الحديث عن متعلق الشعور لشدّة غموضه.

أمّا لو كانت التجربة الدينيّة من جنس العلم والإدراك (وهي العلاقة بين المدرِك والمدرَك)، فلا محيص إذن من وجود مدرِك ومدرَك (متعلّق الإدراك)، ولا مفرّ أيضاً من وجود مدرَكين: مدرَكاً أو معلوماً بالذات (الصورة الذهنية)، ومدرَكاً أو معلوماً بالعَرَض (الخارج)؛ فإذا كان المدرَك بالذات متطابقاً مع المدرَك بالعَرَض فالإدراك حينئذٍ صادق، وإلا فهو كاذب.

التجربة الدينيّة عند براودفوت:

يرى براودفوت أنّ التجربة الدينيّة - سواء كانت من جنس الإحساس أو الإدراك – حقيقة قابلة للبيان والتفسير. ومن ثمّ هو لا يفصل بين التجربة الدينيّة وتفسيرها[٥]. ويذهب أيضاً إلى أنّ الإدراك أو الشعور الروحيّ وكذا إدراك الموجود السامي أو الشعور بالاعتماد على المبدأ أو الحقيقة الممتازة عن الكون لا يمكن له أن يتحقق من دون تفسير صاحب التجربة نفسه.

وفي واقع الأمر، فإنّ التجربة الدينيّة عنده مركّب يجمع بين إدراك صاحب التجربة أو شعوره زائداً تفسيره لذلك.

ولا يخفى على المتتبع تأثّر أبحاث براودفوت هنا عما يدور في أروقة الهرمنيوطيقيا الفلسفية؛ فوفقاً لبعض الأصول الموضوعة المفترضة مسبقاً تتبلور التجربة لصاحبها جرّاء مجموعة من العلل والعوامل، ثمّ يقوم الفرد على ضوء تلك المفترضات بتفسير شعوره أو إدراكه. وتركيب هاتين الخطوتين هو ما يعبّر عنه

بالتجربة الدينيّة. ولهذا، ليس هنالك تجربة دينيّة عارية عن التفسير.

ولعلّ هذا القول مشابه لما ردّده كانط (١٨٠٤م) حين ذهب إلى امتلاك الإنسان لقوى ثلاثة؛ هي: الحساسة، والواهمة، والفاهمة. وأنّ هناك وقائع موجودة خارج الذهن تترك آثارها علينا؛ فالإنسان يدرك بعض الأمور عن طريق حواسه، لكنه يجهل ماهية ما يدركه في الواقع؛ فالمواد المدرَكة تلك تمتزج بفضل قواه الواهمة والفاهمة مع عنصري الزمان والمكان، أو قل: تمرّ هذه المواد من خلال معبر يكوّنه الزمان والمكان. ثمّ يتحدّث عن المقولات الاثني عشر، وما تصنعه القوّة الفاهمة أو العاقلة؛ أي: مرور تلك المواد من ذلك المعبر، واستقرارها في إحدى المقولات المشار ليها. ثمّ يستصدر من هذه المقولات أحكاماً اثني عشر. والأحكام الكلية والجزئية أو الشخصية إنما تصدر من هذه المقولات الاثني عشر.

ويرتكز ما ذهب إليه كانط (١٨٠٤م) إلى نقطتين: أوّلاً: أنّ هنالك وقائع موجودة في الخارج (الأنطولوجيا عنده)، وثانياً: أنّ هنالك أحكاماً أيضاً (الإبستمولوجيا عنده)، ثمّ يفتح باباً يخص العلاقة بين بحوث معرفة الوجود (الأنطولوجيا)، ونظريّة المعرفة (الإبستمولوجيا) يسمّيها ببحوث معرفة الذهن.

ولا يخفى أنه لم يُشر في نسخته الأولى من كتاب «نقد العقل المحض» إلى موضوع «معرفة الذهن»، بل اكتفى هناك بالإشارة إلى القوة الحساسة والفاهمة. وفي معرض الر على مناقشة مفادها السؤال عن كيفية الولوج في بحث المقولات فجأةً، يقول: يرتبط عنصرا الزمان والمكان بالقوى الواهمة، ومن خلال ذلك تتبلور حقيقة مّا لتلك المواد والمقولات، تُطلق عليها اسم «الأحكام».

وكما أسلفنا فيما مضى، فقد ذهب شلايرماخر إلى أنّ عنصري الزمان والمكان وكذلك المقولات أمور ذهنية، وأنّ المواد تأتينا من الخارج. ومن هنا، فإن المركب الناتج عن هذه العناصر الثلاثة (الزمان والمكان + المقولات + المواد) هو ما نطلق عليه اسم المعرفة. وبعبارة أخرى: المعرفة مركب ناتج عن مواد متخذة من

الخارج، وتاثيرات تركتها قوى الذهن الفعالة على هذه المواد.

ويرى براودفوت أنّنا كما لا نملك مواداً محضةً، فإننا لا نملك أيضاً تجربة دينيّة صرفة خالصة. وإذا جاز لنا أنطولوجياً أن نذعن بوجودها، فإننا عاجزون عن بيانها أو الإفصاح عنها. ومن ثمّ: إذا نجحت عمليّة التبيين في التجربة الدينيّة، فتغيرت حالات الشخص، وبدأ يذرف الدموع، أو يسرد الأبيات الشعرية، فإنّ هذا مركب نتج عن شعور هذا الشخص أو إدراكه ممتزجاً بتفسيره لذلك؛ وليس مجرّد الشعور أو الإدراك المحض؛ لأنّ الشعور والإدراك لا ينفكان عن التفسير[٦].

وبناء على ذلك، فإنّ التجربة مقرونة بالتفسير على الدوام، سواء كانت من جنس الأحاسيس، أو انتمت إلى فئة الإدراكات. كما أنّ التفسير الذي تجري عملياته بفعل من صاحب التجربة نفسها هو الآخر لا ينفصل عن الشعور أو الإدراك.

أنواع التجربة الدينيّة:

التجربة مشترك لفظي يدل على التجربة الحسية، والتجربة العُرفية، والإدراك الحسي، والتجربة الأخلاقية، والتجربة العرفانية، والتجربة الدينيّة.

والمراد بالتجربة الدينيّة الشعور أو الإدراك الذي ينتاب الإنسان إزاء أمر معنوي أو روحي وحقيقة غائيّة.

ويرى سوينبرن أنّ للتجربة الدينيّة - أو تجربة الله حسب تعبيره - خمسة مراتب؛ هي:

١. تجربة الحقيقة الغائية بواسطة شيء محسوس: وهي أمر متاح لكل شخص، ويقع في نطاق التجربة العامة، ومثالها: تجربة الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أو الحقيقة الغائية برؤية صورة لشخص مقدّس مثلاً؛ كما لو تداعى ذلك لمن شاهد صورة السيّد المسيح عليه السلام وهو يرزح تحت التعذيب ضمن أحداث عرض سينمائيّ، أو من خلال

مشهد حيّ لغروب الشمس مثلاً، وفي هذين المثالين تحصل للإنسان حالة روحانية ناتجة من التجربة المحسوسة العامة.

٢. تجربة الحقيقة الغائية بواسطة شيء محسوس غير مألوف لكنّه عامّ: كما في مشاهدة نبتة تلتهمها النيران، لكنّها لا تحترق، أو كواقعة إلقاء إبراهيم عليه السلام وسط الحريق دون أن يمسّه سوء؛ فهاتان تجربتان بصريّتان (محسوستان عامّتان)، لكنّهما غير مألوفتين.

٣. تجربة الحقيقة الغائية بواسطة ظاهرة شخصية قابلة للوصف باللغة الحسية المألوفة: والمقصود بها هنا تلك التجربة المنطلقة من الظواهر الشخصية؛ لا العامة، كما هو الحال في مثل الأحلام والمكاشفات.

٤. تجربة الحقيقة الغائيّة بواسطة ظاهرة شخصية لا تقبل الوصف باللّغة الحسّيّة المألوفة في الغالب: كما هو الحال في الكشف والشهود العصيّ على البيان.

٥. تجربة الحقيقة الغائيّة من دون توسيط أمر حسّيّ (ظاهريّ أو باطنيّ): ومثاله: الإنسان الذي يرتبط بالله عَزَّ وَجَلَّ ، وهذا يعني: انعدام أيّ أمر محسوس في البين رغم وجود التجربة الدينيّة(٧).

لقد استعرض سوينبرن هذه المراتب المختلفة للتجربة الدينيّة ليؤكّد على أنّ التجربة الدينيّة - سواء كانت من جنس الإدراك أو الشعور، أو كانت قابلة للتفسير أو عصيّة عليه - مظلّة كبرى تشمل أدنى المراتب؛ وهي ما قد يحدث لأيّ شخص، وصولاً إلى أسماها مقاماً؛ مثل ما كان يحدث للسيد المسيح عليه السلام، أو للرسول الأعظم صلى الله عليه وآله؛ وهو المسمّى بالتجربة الوحيانية.

وبناءً على ذلك فالتجربة الدينيّة التي تناولها سوينبرن تشتمل على التجربة الروحانية والعرفانية - بما يعمّ القابلة للوصف والعصيّة عليه - وكذلك التجربة الوحيانية التي نجدها عند الأنبياء.

ماهية التجربة العرفانية وأنواعها:

التجربة العرفانية هي كشف أو شهود قلبي يحصل عليه العارف نتيجةً لتزكية النفس وترويضها عملياً. وفي معرض دراستنا لهذه الظاهرة وفقاً للمنهج الظاهراتيّ فإننا لا نسعى هنا إلى ممارسة أيّ برهنة عقلية أو أي إثبات عرفاني على وجود هذه الظاهرة، بل يجب أن يكون أحدنا ذلك العارف الذي يمرّ بتجربة تلك الظاهرة، أو أن نطرق باب العرفاء مستفسرين منهم عن حقيقتها، أو مراجعين لمصنفات عرفانية مثل: «منازل السائرين»، و«التمهيدات»، و«الفتوحات»، و«الأربعون مجلساً» لعلاء الدين الكرماني، وغيرها.

وقد عبّر العرفاء عن المعرفة العرفانية بمفردات مثل: «الكشف» و«المكاشفة»، و«الشهود»، و«المشاهدة»، و«المعرفة القلبية»، وما سوى ذلك. وقسّموها إلى أقسام. يقول الكاشاني: «الشهود رؤية الحق بالحق» [٨]. وهذا يعني أن الإنسان إذا أدرك الحقيقة التي مفادها أنّ العالم بأسره ما هو إلا مظهر وتجلّ من مظاهر الحقّ وتجلّياته، حصل له شهود الحق بهذه المظاهر والتجليات، فقد بلغ حقيقة الشهود وجوهره. وقد قسّم الكاشاني بعد ذلك الشهود إلى مجمل في مفصّل، ومفصّل في مجمل. وأشار إلى أنّ الشهود المجمل في المفصّل يتلخّص في رؤية الأحدية في الكثرة؛ أي أنّنا إذا استطعنا أن نرى أحديّة الله تَبَارَكَ وَتَعَالى في كثرة العالم، فقد بلغنا شهود المجمل (الأحدية) في المفصّل (الكثرة).

أمّا شهود المفصل في المجمل فيتلخّص في رؤية الكثرة في الذات الأحديّة؛ وهو يعني السير من الحقّ إلى الحقّ في مسلك مسير الصعود للوصول إلى الذات الأحديّة (مقام الأحديّة)، ورؤية الكثرة في هذا المقام، ذلك لأنّ الكثرة الموجودة في الأعيان الخارجيّة لها وجودها في الأعيان الثابتة، وفي علم الله جَلَّ وَعَلا.

وعليه، فإنّ مقام شهود العلم الإلهيّ ينطوي على شهود المعلومات الإلهيّة أيضاً؛ لا أنّ الأعيان الخارجيّة موجودة هناك بماهيّاتها، بل هي حاضرة جميعاً

بكمالاتها، والعلم بها في أعيان الحقّ سُبحَانَهُ وَتَعَالَى.

يقول القيصريّ (٧٥١هـ): «الكشف لغةً رفع الحجاب، يُقال: كشفت المرأة وجهها؛ أي: رفعت نقابها. واصطلاحاً هو الاطّلاع على ما وراء الحجاب من المعاني[٩] الغيبية، والأمور الحقيقية[١٠] وجوداً أو شهوداً»[١١].

وبعبارة أخرى: إذا بلغ الإنسان مقام عين اليقين، وشاهد الحقائق الغيبية فقد حصل على مرتبة الكشف، وإذا بلغ مقام حق اليقين فإنّ وجوده في واقع الأمر قد اتحد بوجود سائر الموجودات بنحو ما، وعندئذٍ فالمقام ليس مقام الشهود، بل مقام الوجود؛ وهو ما عبّر عنه العرفاء بوحدة الوجود التي هي مرتبة تلي مقام وحدة الشهود. وبعد ذلك، يقسّم القيصري الكشف قائلاً:

«وهو معنويّ[١٢] وصوريّ، وأعني بالصوريّ: ما يحصل في عالم المثال من طريق الحواسّ الخمس[١٣]. وذلك إما أن يكون على طريق المشاهدة[١٤]؛ كرؤية المكاشف صور الأرواح[١٥] المتجسّدة، والأنوار الروحانية[١٦]. وإمّا أن يكون عن طريق السماع؛ كسماع النبيّ ﷺ الوحي النازل عليه»[١٧].

وهذا يعني أنّ الإنسان عندما يرتبط بعالم المثال المنفصل والبرزخ يحصل على مشاهدات مشابهة لما هو في الخيال المتصل، فيمكن للإنسان أن يشاهد صوراً لا يراها الآخرون، ولهذا يمكن للعارف أن يرتبط بالخيال المنفصل، وهو مرتبة من مراتب العالم المجرّد (التجرّد غير التامّ)، وأن يرى أو يسمع أموراً؛ كما نجد في قول الرسول الأعظم ﷺ لأمير المؤمنين عليه السلام: «إنّك تسمع ما أسمع، وترى ما أرى»[١٨]، وهذا هو الكشف الصوريّ. ويمكن هذا عن طريق الذوق؛ كما في السالك الذي يحصل له شهود بطعام يتناوله، فيطّلع به على معان غيبية، وفي بعض الأحيان قد يأكل الإنسان طعاماً في الخيال المنفصل، ويمكن أيضاً أن يكون هذا الكشف من خلال سائر الحواس الأخرى.

وحسب ما ذهب إليه العرفاء فإنّ الحواس الخمس موجودة في باطن النفس،

باعتبار وجودها البرزخي والمثالي، وإنّ حواسنا المادية تستفيد من النوافذ المفتوحة لها من الحواس الموجودة في الخيال.

والقسم الآخر الذي استعرضه القيصري هو الكشف المعنوي (في قبال الصوري)، مثاله: أن يطّلع الإنسان على مقام الأحدية الإلهيّة، أو ظهور الوحدة في الكثرة[١٩]. وقد قسّم العرفاء أيضاً التجلي إلى نوعين: ثبوتيّ، وإثباتيّ.

أمّا التجلي الثبوتي فهو وجودي أنطولوجي، ومعناه ن يُعرف الحق عَزَّ وَجَلَّ بصفته هوية غيبية غير متعينة. والهوية الغيبية له تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ تظهر في قوس النزول على هيئة التعيّن الأول بدايةً (الحضرة الأحدية)، ثمّ التعين الثاني (الحضرة الواحدية)، ثم التعينات الخلقية (عوالم العقل، والمثال، والمادة).

وأما التجلي الإثباتي فهو الشهود أو الكشف العرفاني.

والعارف في عرفانه العملي يمضي في سيره وسلوكه ليتجاوز منازل عدّة في قوس الصعود، فيرتقي من اليقظة، ليبلغ مقام الفناء. وآخر مراحل السلوك الوحدة في الشهود؛ بمعنى أن يجد الله جَلَّ وَعَلا في كلّ شيء، أو الوحدة في الوجود؛ أي: إنّ الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَىٰ هو الوجود الأوحد.

لقد خلص العرفاء قبل ابن عربي إلى أنّ أقصى مراتب الكمال هي مرتبة الوحدة الشهودية، لكنّ ابن عربي ذهب إلى وحدة الوجود. فكلّ ما سوى الله متحقق في وحدة الشهود، لكنّ العارف لا يتلفت إليه، بل يرتكز شهوده على الوحدة، ففي وحدة الوجود لا وجود لأي شيء غير الحقّ عَزَّ وَجَلَّ، وغيره ما هي إلا تجليات له. وقد استطاع ابن عربي بنظريته هذه في وحدة الوجود أن يبني رؤيته في العرفان النظري، وأن يبيّن العرفان العملي الذي يُعدّ طريقة الوصول إلى الكمال والوحدة بشكل ممنهج، وتمكّن بعده صدر الدين الشيرازيّ (..) أن يكمل ما بدأه ابن عربي (..)، وأن يبرهن على مجموعة مدعياته العرفانية.

هذا، ولا يختلف العرفاء جميعاً في أنّ الشهود هو منطلق العرفان. وهو

ينتمي إلى العلم الحضوريّ، ويُعدّ مرتبةً من مراتبه إلى جانب المراتب الأخرى؛ مثل: الشعور بالألم، أو العطش، وما شاكل ذلك. ويصرّح العرفاء أنفسهم بأنّ منطلق الشهود وأصله قد يكون إلهياً تارةً، وشيطانياً تارة أخرى. وفي واقع الأمر، فإنّ الشهود الشيطاني ليس بشهود أصلاً، بل هو ارتباط مع الخيال المتصل والذهن البشريّ؛ إذ يمكن للفرد أن ينغمس في خياله لأسباب نفسانية أو شيطانية، فيخال له أن صوره الذهنية شهود عرفاني، أو خيال منفصل، فيختلط عليه الأمر.

وللوصول إلى الشهود المنفصل أي إلى الواقع الخارجي والملكوتي للعالم، وتمييز الشهود الإلهيّة عن النفساني أو الشيطاني اقترح أهل العرفان طرائق متعددة؛ منها: موازين العقل، والسؤال من العارف الواصل، وكذلك عرضها على الكتاب والسنة.

وهنا ننوّه بأنّ العرفاء المتشرّعين ليس أنهم يؤمنون بأنّ القرآن الكريم هو الأصل والمنطلق الوحيد لاكتشاف صدق الشهود أو كذبه وحسب، بل إنهم يرون فيه المصدر الأنطولوجي للعرفان أيضاً. وبتعبير آخر: يرى العرفاء أن جميع مراحل العرفان موجودة في الكتاب والسنة. ومن ثمّ، فإنّ آيات القرآن الكريم والأحاديث الشريفة لم تبالغ فقط في بيان أحكام الشريعة، بل أوغلت أيضاً في تناول المقامات العرفانية، وطرق الوصول إليها. ومن هنا، فقد رفضوا ألوان الرياضة الصوفية، وجعلوها خارج دائرة الكتاب والسنة، وعدّوها في واقع الأمر بوصفها حلقة من خلقات الإلقاءات الشيطانية.

هذا، ويدّعي العرفاء في معرض بيانهم لشهودهم أنّ بياناتهم وإفصاحهم عمّا رأوه لا يعدو كونه أمراً شخصياً، وليس له منطلق إلهي. وعليه، طرحوا قضية ضيق الخناق في التعابر اللغوية، ووجدوا أنفسهم عاجزين في الإعراب عن مشاهداتهم. وقد عزوا هذا العجز إلى ضعف القدرة على البيان عند العارف، وانخفاض مستوى قدرة الفهم عند المخاطب، وإشكالية المعاني عندما يروم العارف إلى بيان المعارف

العرفانية السامية، وهذا هو الذي أدّى إلى ظهور توجّهات معيّنة عند بعض العرفاء، انتهت بهم إلى إبراز ما وُصف بالشطحيّات(٢٠).

وفي المحصلة نقول: اتّضح من وقوفنا على التجارب العرفانية وما تبين لنا بشأن التجربة الدينيّة وأقسامها - لا سيّما التجربة الدينيّة في نظريّة سويبرن - أنّ الشهود العرفاني لون من ألوان التجربة الدينيّة. ومع اتضاح حقيقة الدين التي ذكرنا أنها تلك الحقائق المبيِّنة للمآل الملكوتي الذي ستؤول إليه الرؤى والمناهج والسلوكيات الدنيوية، واتضاح معنى التجربة الدينيّة التي هي شعور أو إدراك روحيّ وقدسيّ، ينقشع الضباب عن إجابة السؤال المثار آنفاً؛ ألا وهو: هل يمكن القول بأنّ التجربة الدينيّة هي حقيقة الدين؟ فالإجابة هي بالنفي طبعاً؛ لأنّ التجربة الدينيّة وليدة للعوامل الداخلية والخارجية، وهي تتأثر بالمتغيرات التي تحيط بحالات صاحب التجربة وشؤونه الاجتماعيّة؛ فكيف يمكن لأمر مثل هذا أن يتّحد مع حقيقة الدين التي لا منشأ لها إلا الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى؟! نعم؛ يمكن عدّ التجارب العرفانيّة لوناً من ألوان التجربة الدينيّة، لكنّ حقيقة الدين تتفاوت مع التجربة الدينيّة تفاوتاً ماهويّاً وحقيقيّاً.

* هوامش البحث *

(١) On Religion. [م]

(٢) المراد بها هنا الإلهيات بالمعنى الأخص، وهي الأبحاث المرتبطة بمعرفة الله، ومعرفة الدين، وفلسفته.

(٣) الإطلاق هنا بمعنى الكمال والشموليّة، والشعور المشار إليه في التعريف هو شعور ينطوي على ضرب من ضروب الوحدة، وهو شعور ينتاب كل كيان الإنسان، وهو إحساس يتعلّق بقوّة تفوق هذا العالم، ولا يتطرّق إلى أنها الله .

(٤) وبعبارة أخرى: إنه أفاد هنا من مجاز السكاكي حينما تصرّف في معنى الدين، ليصبح الجميع متديّناً؛ كما صنع السكاكي في مجازه فتصرّف في معنى الأسد ليشمل كل إنسان شجاع أيضاً.

(٥) التفسير هنا هو الانطباع الشخصي لصاحب التجربة الدينيّة عما جرّبه، سواء ظهرت هذه



التجربة في هيئة ألفاظ، أم لم تتحمّلها قوالب اللغة لضعف الأخيرة، أو لأنّ قابلية المتلقّي لشرحها غير محرَزة. وبشكل عام فإنّ صاحب التجربة له معرفة بتجربته؛ وهذا هو تفسيرها.

(٦) تأثّر براودفوت بإلقاءات كانط في التمييز بين ما أسماه بالشيء بذاته أو النومين Noumen من جهة، والظاهرة Phenomenon من جهة أخرى، وكذا تأثر بآراء هايدغر وغادامر الهرمنوطيقيّة الفلسفية، ناهيك عما لاحه من تأثيرات البراغماتيكية (المذهب النفعيّ).

(٧) العقل والإيمان الدينيّ، مصدر سابق، فصل التجربة الدينيّة.

(٨) اصطلاحات الصوفية، عبدالرزاق الكاشانيّ (القاساني)، ج٢، ص ١٥٢، مصطلح شهود.

(٩) يقول العلامة حسن زاده الآملي في تعليقته: أي من الأسماء والصفات. راجع التعليقة على شرح فصوص الحكم للقيصري، ج١، ص ١٢٧. [م]

(١٠) أي: الموجودة خارجاً؛ أي: صيرورة المكاشف متصفاً بحقيقة المكشوف. لاحظ: المصدر السابق. [م]

(١١) وجوداً أي: وجداناً لها بحيث لا يصير المكاشف متحقّقاً بحقيقة المكشوف، وهذا مقام حق اليقين. ووجداناً أي: ورؤيةً، وهذا مقام عين اليقين. شرح فصوص الحكم للقيصري، ج١، ص ١٢٧. [م]

(١٢) أي: عقليّ. لاحظ: المصدر السابق. [م]

(١٣) الحواسّ الخمس الباطنة. م.س. [م]

(١٤) وهو الاطلاع الشهوديّ. م.س. [م]

(١٥) أي: أرواح الأناسيّ. م.س. [م]

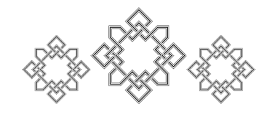
(١٦) أي: العقول. م.س. [م]

(١٧) المصدر السابق، ص ١٢٧-١٢٨. [م]

(١٨) نهج البلاغة ص ٤١٧، ط شرح محمّد عبده. [م]

(١٩) راجع: شرح فصوص الحكم، القيصري، الفصل الرابع في مراتب الكشف وأنواعها إجمالاً، وراجع كذلك شرح مقدّمة القيصري، ص ٥٣٦.

(٢٠) نُقل عن البسطاميّ أنه قال: «لا إله إلا أنا فاعبدني»، ومنها أيضاً مقولة الحلّاج الشهيرة: «أنا الحق».







أرجوزة في نظم الباب الحادي عشر

نظم: العلامة الشهيد الشيخ المولى علي الزنجاني (ت ١١٣٦هـ)

تحقيق: محمد حسين الواعظ النجفي

خلَّف العلامة الحلي قدس سره تراثاً علمياً ضخماً، خاصة في مجال العقيدة والكلام، وإنَّ من جملة آثاره الكلامية الرسالة الشهيرة بـ: الباب الحادي عشر، ذلك أنَّ العلامة لمَّا اختصر مصباح المتهجد لشيخ الطائفة الطوسي (ت ٤٦٠ هـ) رحمه الله، وسمَّاه: منهاج الصلاح، في عشرة أبواب، ارتأى أن يضيف إليه باباً آخر يورد فيه ما يجب على المكلفين الاعتقاد به، فصار الباب الحادي عشر.

ولما كان هذا الباب الأخير اشتمل على كل ما يجب الاعتقاد به، موجزاً كافياً، واضحاً شافياً، جامعاً وافياً، انبرى العلماء إلى شرحه، وأصبح من أهمِّ المتون الكلامية، كما كانت ولاتزال من المتون الدراسية في الحوزات الدينية والمعاهد العلمية.

ومن أهم شروح الباب الحادي عشر، شرحان هما:

النافع يوم الحشر، للمقداد السيوري الحلي (ت هـ)، ومفتاح الباب لابن مخدوم الحسيني (من أعلام القرن الحادي عشر).

ولسنا الآن بصدد الخوض في ما يتعلق بالباب الحادي عشر، وخصائصه وشروحه وترجماته إلى سائر اللغات، وغير ذلك.

لكن من جملة الجهود المشكورة حول الباب الحادي عشر أنَّ من العلماء من تصدَّى لنظمه، وإخراجه على سياق الأرجوزة، هي هذه الرسالة التي نقدِّمها بين يدي القارئ الكريم، وإليك الكلام عن المؤلف وأرجوزته.

ترجمة المؤلِّف:

هو الشيخ المولى علي بن العلامة الشيخ محمد حسين الزنجاني.

ولد أعلى الله مقامه في بلدة زنجان، من أسرة علميَّة معروفة، فكان والده الملا محمد حسين الزنجاني من أعلام بلدته، وفيها أخذ المترجم أوليات العلوم، ولا يبعد أن تكون دراسته الأولى على يد والده، لكن قد حالفه الحظّ حيث أدرك العالم المحدِّث المتكلِّم، المولى خليل بن الغازي القزويني (ت ١٠٨٩هـ)(١).

ثمَّ هاجر إلى إصفهان، وأكمل مشواره العلمي في إصفهان، التي كانت تعدُّ من الحواضر العلمية، في العهد الصفوي، فتلمذ على كبار علمائها، ولازم فيها السيد محمد مهدي الحسيني السيفي القزويني (ت ١١٥٠ هـ)(٢).

ولمَّا بلغ المترجم مرتبة سامية من الفضل والعلم، رجع إلى بلدته بزنجان، واشتغل فيها بترويج الدين الحنيف، وبث الشرع الشريف، حتى وقعت هائلة غائلة هجوم العثمانيين على إيران، فاستشهد رحمه الله تعالى.

الثناء عليه:

مع شحة المصادر التي ترجمت للناظم الشهيد، إلا أنَّ كلَّ من ترجمه أشاد بذكره، وأثنى عليه، فممَّن أشاد به العلامة الرجالي الشيخ موسى الزنجاني: «من أجلاء حملة العلم والفضيلة، له خبرة بالكلام والحديث والفقه والرجال، تخرَّج على السيد قوام الدين القزويني الحسيني، وعلى العلامة الأكبر المولى خليل بن غازي [القزويني] قدس سرهما.

فآب إلى زنجان مروِّجاً وناشراً للأحكام، مبرزاً بإعلاء كلمة الحق، سالكاً نهج الهداية والإرشاد والتهذيب، حتى استشهد رحمه الله سنة ١١٣٦هـ»[٣].

مؤلفاته:

لم تسعفنا مصادر ترجمته عن كثير من أحواله، فغاب عنا كثير من سيرته وترجمته؛ إلا أنَّ ما نطلع عليه من تراثه أنه قد خلَّف أرجوزتين، هما:

١. أرجوزة في الكلام، نظم فيها الباب الحادي عشر، وسوف يأتي الكلام عنها.

٢. أرجوزة في المنطق، نظم فيها كتاب التهذيب في المنطق.

وقد ذكر الشيخ آقا بزرك أنَّه توجد منهما نسخة عند أحفاده في مكتبة آل شيخ الإسلام بزنجان[٤].

استشهاده:

إنَّ ممَّا أنعم الله تعالى على المترجم أن ختمه حياته بخير، حيث نال الشهادة في فتنة العثمانيين بقرب زنجان، فجمع بين فضل العلم وفضيلة الشهادة، حشره الله مع محمَّدٍ وآله الطيِّبين الأطهار.

وإليك تفصيل حادثة شهادته، كما ينقلها العلامة الشيخ موسى الزنجاني، وهو خير من ترجم الناظم، قال رحمه الله تعالى: «استشهد رحمه الله تعالى [في] سنة ١١٣٦، وذلك عند تهاجم العثمانيين على إيران، وتواطئهم مع الروس على تقسيم بلادها، وحكم علماء القسطنطينية بكفر الشيعة!!، وأنَّ بلادهم بلاد حرب ووجوب قتل رجالهم وسبي نسائهم وذراريهم، على التفصيل المذكور في [كتاب] المنتظم الناصري (ج ٢، الصحيفة ٢٢٩).

ولمَّا اتصلت صولاتهم بنواحي زنجان، خرج المترجم مع زرافات من الأهلين للدفاع، فالتقت الفئتان في قرية قمچقاي من قرى إيجرود، من مضافات البلد بمقربة من خوئين، على ثمان فراسخ من البلد في طرف الجنوبي الغربي، واحتدم

القتال، وانجلت الغبرة عن هذا القائد الكريم صريعاً، شهيد حمية على الدين، شهيد غيرة على المسلمين، شهيد وطنية وشهامة، شهيد نبل وزعامة، ولمَّا انتهى نبأ قتله إلى أستاده العلامة السيد قوام الدين [السيفي القزويني] أنشأ في تأريخه:

مولــوي مــلا علي مــبرز كــه بــود	در طريــق معرفــت صــاحب رشــاد
علم را چون بــا عمــل مقــرون نمــود	كـــرد در راه خـــدا عـــزم جهـــاد
بــود در جنــگ عــدو ثابــت قــدم	تــا بــه راه حــق روان بــا صــدق وداد
خامــه وانشــا بــه تــاريخش نوشــت:	«بــا شــهيد كــربلا محشــور بــاد»[٥]

وقد خلف المترجم نجله العلامة الشيخ الميرزا محمد الزنجاني، وهو جدّ أسرة آل شيخ الإسلام بزنجان، وفي عقبه الكثير من علماء الدين وأعلام المذهب.

هذه الرسالة:

تعدُّ هذه الرسالة من جملة الجهود العلمية التي دارت حول رسالة الباب الحادي عشر، فليست هي الوحيدة في بابها في نظم هذه التحفة الكلامية؛ فقد ذكر العلامة الكبير الشيخ آقا بزرك الطهراني في ذريعته الخالدة، أرجوزتين في نظم هذه الرسالة الشريفة:

الأولى: رسالتنا هذه، وقال رحمه الله: « نظم الباب الحادي عشر، والناظم الملا علي بن محمد حسين الزنجاني، المولود سنة ١٠٦٢، الشهيد بيد جيش الخليفة العثماني عند هجومهم الوحشي على زنجان في ١١٣٦... موجود عند أحفاده المعروفين بشيخ الاسلامي بزنجان».

الثانية: نظم الباب الحادي عشر، نظمه سليمان بن عبد الله الماحوزي، صاحب البلغة والمعراج، المتوفى سنة ١١٢١، ذكره في إجازته لمحمد رفيع البيرمي [٦].

إلا أنَّ ممَّا يؤسف له أنَّ الرسالة الثانية مفقودة، ولعلنا نعثر عليها في قادم

من الأيام في خبايا مكتباتنا التي تنتظر من يفهرس مخطوطاتها، ويعرف بكنوز تراثنا العريق، وثمرات علمائنا الأعلام العلمية، وليس ذلك على الله بعزيز.

فعلى ذلك: تبقى هذه الرسالة فريدة في بابها، حتى نعثر على اختها، أو غيرهما، وقد ذكرها العلامة الكبير الشيخ آقا بزرك في الذريعة عدَّة مرَّات[٧]، كما ذكرها العلامة الفقيد السيد عبد العزيز الطباطبائي في كتابه الثمين: مكتبة العلامة الحلي[٨].

لقد اعتمدنا في تحقيق هذه الأرجوزة على النسخة اليتيمة التي تحتفظ بها مكتبة آية الله السيد المرعشي النجفي قدس سره بقم المقدسة، لم يذكر كاتبها، وإن احتمل كونها بخط المؤلف، وعلى النسخة جملة من الفوائد والأشعار المتفرقة، إلا أنَّها لا تخلو من العجمة وانكسار الوزن[٩].

لقد اتبعنا في تحقيق الأرجوزة الخطوات الآتية:

١. ترقيم الأبيات، وضبطها بالحركات.

٢. وضع العناوين بين معقوفين لتسهيل القراءة والبحث.

٣. تخريج ما استلزم تخريجه من الآيات والأحاديث.

٤. مطابقة الأرجوزة مع متن رسالة الباب الحادي عشر.

٥. تصحيح ما استطعنا عليه من العجمة والأخطاء في متن الأرجوزة.

ولا يفوتني أن أشكر فضيلة الشيخ مسلم الرضائي؛ لمقابلته معي هذه الأرجوزة، وملاحظاته النافعة.

حرِّر في ليلة المولد النبوي والصادقي الشريف، بجوار الحرم الفاطمي الشريف، والحمد لله أولاً وآخراً.

محمد الحسين

أحسن الله تعالى إليه

أرجوزة في نظم الباب الحادي عشر

نظم: العلامة الشهيد الشيخ المولى علي الزنجاني (ت ١١٣٦هـ)

بسم الله الرحمن الرحيم

١. الحَمْـــدُ للهِ العَـــلِيِّ العَـــالِيْ — الوَاجِـبِ الوُجُـوْدِ ذِيْ النَّـوَالِ(١٠)

٢. صَـــلاتُنَا عَلى النَّـــبِيِّ الخَـــاتِمِ — مُحَمَّــدٍ أفْضَـــلِ أهْــلِ العَــالَمِ

٣. وَآلِهِ الأمْجَـــادِ وَالأطْهَـــارِ — النُّجَبَـــاءِ السَّـــادَةِ الأبْـــرَار

٤. لاسِيَّمَا مَنْ نَصُّـه بِـ: ﴿إنَّمَا﴾(١١) — هُـــوَ الـــوَلِيُّ بَعْـــدَهُ مُسَـــلَّمَا

٥. قَـــالَ عَلِيٌّ ابْـــنُ ذِي البَـــلاءِ — سَـــمِيُّ مَقْتُـــوْلٍ بِكَـــرْبَلاءِ

٦. أسْـــعَدَهُ الخَـــالِقُ فِيْ المَـــآبِ — أدْخِـــلَ جَنَّـــةً بِـــلا حِسَـــابِ:

وبعد، فالمنظومة فِيْ [الـ]ـباب [الـ]ـحادي عشر، فيما يجبُ على عامَّة المكلَّفين من معرفة أصول الدين:

٧. مَبْحُوثُنَـــا عَـنْ بَـابِ حَـــادِيْ — فِي وَاجِـــبٍ عَلى العِبَـــادِ اشْـــتُهِرَا

٨. بنَـــاؤُهُ عَلَى أصُـــوْلُ الدِّيْـــنِ — هِدَايَـــةً لِطَالِـــبِ اليَقِـــيْنِ

٩. مَعْرِفَـــةُ الوَاجِـبِ عِنْـدَ العُلمَـــا — جَمِــيْعِهِمْ وُجُوْبُهَـــا قَـــدْ أعْلِمَـــا

١٠. وَهَكَـــذَا صِـــفَاتُهُ العَيْنِيَّـــةْ — وَمِثْلهَـــا مَعْرِفَـــةُ السَّـــلبِيَّةْ

١١. وَمَـــا عَلى اللهِ تَعَـــالى صَـــحَّ أوْ — مُمْتَنِـعٌ(١٢) يَكُـوْنُ، فَـارْعِ مَـا رَعَـوْا

١٢. نُبُـــوَّةٌ إمَامَـــةٌ مَعَـــادُ — عِرْفَـــانُ كُلِّ ذَاكَ مُسْـــتَفَادُ

١٣. وَبِالدَّلِيْـــلِ لا بِتَقْلِيْـــدٍ عُـــرِفْ ... جَمِيْعُهَـا بِـدُوْنِ الانْكَـارِ اعْـتُرِفْ

١٤. لابُـدَّ أَنْ نَـذْكُرَ مَـا لا يُمْكِـنُ ... جَهْـلُ بِـهِ قَطعَـاً عَلى مَـنْ يُـؤْمِنُ

١٥. جَاهِـلُ شَيْءٍ مِنْـهُ قَـدْ أَهِيْنَـا ... خَـارِجٌ عَـنْ رِبْقَـةِ مُؤْمِنِيْنَـا

١٦. وَمُسْـتَحِقٌّ للعِقَـابِ الدَّائِـمِ ... يُحْـرَقُ فِيْ حَـرِّ العَـذَابِ الدَّائِـمِ

١٧. عَلى فُصُـوْلٍ أَصْـلِ ذَا المَعْهُـوْدِ ... أَوَّلهَـا فِيْ وَاجِـبِ الوُجُـوْدِ

الفصل الأول
في إثبات واجب الوجود

١٨. مَعْقُـوْلُ إِمَّـا وَاجِـبُ الوُجُـوْدِ ... لِذَاتِـهِ فِيْ خَـارِجِ المَشْـهُوْدِ

١٩. أَوْ مُمْكِـنٌ فِيْـهِ كَـذَا أَوْ مُمْتَنِعْ ... ثُبُـوْتُ مَوْجُـوْدٍ هُنَـا لا يَمْتَنِـعْ

٢٠. إِنْ كَانَ وَاجِبَـاً هُـوَ المَطلُـوْبُ ... أَوْ مُمْكِنَـاً بِمُوْجِـدٍ مَصْـحُوْبُ

٢١. مُوْجِـدُهُ إِنْ كَانَ وَاجِبَـاً فَهُـوْ ... مَطْلوْبُنَـا أَيْضَـاً وَلا يُشْـتَبَهُ

٢٢. إِنْ أَمْكَـنَ المُوْجِـدُ يَحْتَـاجُ إِلى ... آخَـرَ دَارَ أَنْ يُعَـدْ لا وَلا

٢٣. إِنْ كَانَ غَـيْرَهُ فَقَـدْ تَسَلسَـلا ... بَدِيْهَـةً كِلاهُمَـا قَـدْ بَطَـلا

٢٤. لأَنْ يَكُـوْنَ هَـذِهِ الآحَـادُ ... سِلسِـلةُ إِمْكَانُهَـا يُفَـادُ

٢٥. فَإِنَّهَـا شَرِيْكَـة مِمَّـا امْتَنَـعْ ... وُجُوْدُهَـا بِـالذَّاتِ حَيْثُمَـا تَقَـعْ

٢٦. فَمُوْجِـدٌ حِيْنَئِـذٍ لهَـا يَجِـبْ ... خَـارِجُ عَنْهَـا بِالبَدِيْهَـةِ انْتُخِـبْ

٢٧. فَهْـوَ يَكُـوْنُ وَاجِبَـاً تَقَـدُّمَا ... مَطلوْبُنَـا مُحَقَّـقٌ مُقَـدَّمَا

الفصل الثاني
في صفاته الثبوتيّة

وهي ثمان:

٢٨. البَحْــثُ فِيْ صِــفَاتِهِ العَيْنِيَّــةْ وَهْيَ ثَمَــانٍ كَانَــتِ المَرْوِيَّــة

الأولى:

٢٩. وَهْــوَ تَعَــالى قَــادِرٌ مُخْتَــارُ لِسَــبْقِ عِلمِــهِ بِمَــا يَخْتَــارُ

٣٠. دَلِيْــلُ مَقْصُــوْدٍ حُــدُوْثُ عَالَــمْ لأَنَّ فِيْ الجِسْــمِ الحَــوَادِث أَعْلَــمْ

٣١. أَعْــنِي: سُــكُوْنَاً مَــعَ ضِــدِّهِ هُمَــا الحَــادِثانِ بِالضَّرُوْرَةِ انْتَمَى (انْـتَهَى؟)

٣٢. يَسْــتَدْعِيَانِ سَــبْقَ غَــيْرٍ بِهِمَــا حُــدُوْثُ مَــا فِيْــهِ الحَــوَادِث أَفْهِمَــا

٣٣. فَــإِنَّ مَــنْ أَثَّــرَ فِيْــهِ قَــادِرُ مُخْتَــارُ المَخْلــوْقِ عَنْــهُ صَــادِرُ

٣٤. فَإِنَّــهُ إِنْ كانَ مُوْجَبَــاً فَــلا يُخَــالف عَنْــهُ فِعْلُــهُ، فَلــيُعْقَلا

٣٥. لازِمٌ إِمَّــا قِــدَمُ العَــالِمِ أَوْ حُــدُوْثُ خَــالِقٍ وَبُطْــلانِ رَوَوْا

٣٦. تَعَلُّــقُ القُــدْرَةِ بِالمَقْــدُوْرِ للسَّــبَبِ الإِمْــكَانِ بِالمَشْــهُوْرِ

٣٧. تَسَــاوِيَتْ نِسْــبَةُ ذَاتِــهِ إِلى جَمِيْعِــهِ، فَلِلتَحــرّرِ انْجَــلى

الثانية:

٣٨. اللهُ، وَهْــوَ عَالِــمٌ تَعَــالى لأَنَّــهُ قَــدْ فَعَــلَ الأَفْعَــالا

٣٩. مُحْكَمَــةً مُتْقَنَــةً وَكُلُّ مَــنْ كَانَ كَــذَا فَعَــالِمٌ، بَــل ذُو المِــنَنْ

٤٠. لِعِلمِــهِ تَعَلُّــقٌ بِمَــا عَلِــمْ تَسَــاوَيَا نِسْــبَةُ كُلِّــهِ حُــتِمْ

٤١. وَأَنَّــهُ حَيٌّ يَصِــحُّ إِنْ عَلِــمْ بِكُــلِّ مَعْلــوْمٍ وُجُوْبُــهُ الــتُزِمْ

٤٢. فَمُسْــتَحِيْلٌ افْتِقَــارُهُ إِلى غَــيْرٍ، وَالافْتِقَــارُ جَزْمَــاً بَطُــلا

الثالثة:

٤٣. مِـنَ الصِّـفَاتِ أنَّـهُ حَيٌّ لأنْ ... يَكُـوْنُ قَـادِراً أوْ عَالِمـاً حَسَـنْ

الرابعة:

٤٤. وَهْـوَ تَعَـالى أنَّـهُ مُرِيْـدُ ... كَـذَاكَ أيْضـاً كَارِهٌ شَـدِيْدُ

٤٥. فَخَصِّصِ الأفْعَالَ فِيْ الإيْجَادِ فِيْ ... وَقْـتٍ سِـوَى خُرُوْجِهَـا قَـدِ اقتُـفِ

٤٦. لابُـدَّ مِـنْ مُخَصِّـصٍ يُفِيْـدُ ... أنْـتَ إرَادَةً لهُ تُرِيْـدُ

٤٧. وَأنَّـهُ نَـاهٍ وَآمِـرٍ هُمَـا ... إرَادَةٌ وَمَـا سِـوَاهُ اسْـتُلزِمَا

الخامسة:

٤٨. وَمُـدْرِكٌ؛ لأنَّـهُ حَيٌّ فَهُـوْ ... لِكَوْنِـهِ فِيْ مُصْـحَفٍ مُوَجَّـهُ[13]

السادسة:

٤٩. وَهْـوَ قَـدِيْمٌ أزَلِيٌّ بَـاقِيْ ... وَالأبَـدِي أسْـمع مَـعَ اشْـتِيَاقِ

٥٠. فَـإنَّ هَـذَا وَاجِـبُ الوُجُـوْدِ ... كَمَا مَضَـى اذْكُـرَنَّ لِلمَعْـهُـوْدِ

٥١. فَهْـوَ تَعَـالَى مُسْـتَحِيْلُ العَـدَمِ ... مِـنْ لاحِـقٍ عَلَيْـهِ أوْ مُقَـدَّمِ

السابعة:

٥٢. وَهْـوَ تَعَـالى مُـتَكَلِّمٌ وَرَدْ ... ثُبُوْتُـهُ لهُ بِالاجْمَـاعِ اطَّـرَدْ

٥٣. مُرَادُنَـا بِـهِ حُـرُوْفٌ تُسْـمَعُ ... مَوْصُـوْفَةٌ بِالانْتِظَـامِ، فَاسْـمَعُوْا

٥٤. مَعْنَـاهُ أنَّـهُ هُـوَ المُوْجِـدُ فِيْ ... جِسْـمٍ مِـنَ الأجْسَـامِ، ذَلِـكَ اقْـتُفِيْ

٥٥. وَاسْتُقْبِحَنْ مَا فَسَّرَ الأشَاعِرَةْ[14] ... خُـذْ مَـا ذَهَبْنَـا مِلـةً مُنَـوَّرَةْ

الثامنة:

٥٦. وَصَادِقٌ؛ لأنَّ كِذْباً قُبِّحَا بَدِيْهَةً، وَعَنْهُ نَقْضَاً أطْرِحَا

الفصل الثالث
في صفاته السلبية

وهي سبع:

٥٧. البَحْثُ فِيْ صِفَاتِهِ السَّلبِيَّة سَبْعٌ وَذِيْ تُخَالِفُ العَيْنِيَّةْ

الأولى:

٥٨. وَأنَّهُ لَيْسَ مُرَكَّبَاً وَإنْ كَانَ كَذَاكَ فَافتِقَارُهُ قَمِن (١٥)

٥٩. وَكُلُّ شَيْءٍ افْتِقَارُهُ إلَى أجْزَائِهِ فَمُمْكِنٌ، لا تَغْفُلا

الثانية:

٦٠. وَأنَّهُ لَيْسَ بِجِسْمٍ وَعَرَضْ إنْ كَانَ ذَا مُفتَقِرٌ بِلا غَرَضْ

٦١. وَامْتَنَعَ الخَلق مِنَ الحَوَادِثِ مُحَالهُ نَاشٍ لأجْلِ حَادِثِ

٦٢. وَلا يَجُوْزُ أنْ يَكوْنَ فِيْ المَحَلْ إنْ حَلَّ فَاحْتِيَاجُهُ بِلا خَلَلْ

٦٣. وَكَوْنُهُ فِيْ جِهَةٍ لا تُجِزْ إنْ كان ذَلِكَ افْتِقَاراً أجِزْ

٦٤. وَلا يَصِحُّ لَذَّةٌ أوْ ألَمْ عَلى الذِيْ وُجُوْدُهُ قَدِ انْحَتَمْ

٦٥. لِكَوْنِهِ مُمْتَنِعُ المزَاجِ ذَا عَرَضٍ جَلَّ بِالاحْتِيَاجِ

٦٦. وَلا يَجُوْزُ الاتِّحَادُ مُطْلقَا مَعْ غَيْرِهِ لِمَنْعِهِ مُحَقَّقَا

الثالثة:

٦٧. لَـيْسَ مَحَـلاً لِلحَـوَادِثِ؛ لأنْ	يَمْتَنِـعُ انْفِعَـالهُ عَمَّـا اقـتَرَنْ
٦٨. وَلامْتِنَـاعِ النِّسْـبَةِ النَّقِـيْضِ إلى	مَـنْ وَاجِـبٌ وُجُـوْدُهُ مُكمَّـلا

الرابعة:

٦٩. وَرُؤيَـةٌ بِالبَـصَـرِ المُـوَاجِـهِ	مُحَالَـةٌ عَليْـهِ لا تُشَـابِهِ
٧٠. فَـإنَّ كُلَّ مَـا يُـرَى جِسْـمٌ فَهُـوْ	ذُوْ جِهَـةٍ، وَأنْـتَ لا تَشْـتَبِهُ
٧١. لِكَوْنِـهِ إمَّـا هُـوَ المُقَابِـلُ	أوِ الذِيْ فِيْ حُكْـمِ مَـا يُقَابِـلُ
٧٢. دَلِيْلهُ السَّمْعِيُّ: ﴿لنْ تَرَانِيْ﴾[١٦]	وَالنَّـفْيُ للتَّأبِيْـدِ ذوْ بَيَـانِ[١٧]

الخامسة:

٧٣. نَفْـيُ الشَّرِيْكِ عَنْـهُ مَبْنِيٌّ عَلى	دَلِيْـلِ سَـمْعٍ، وَتَمَـانعٍ جَـلى
٧٤. فَيَفْسـدُ انْتِظَـامُ عَالَـمٍ، فَـذَا	لِلمُتَكلِمِـيْنَ، فَـادْرِ المَأخَـذَا
٧٥. يَسْتَلزِمُ الشَّرِيْكُ تَرْكِيْـبَاً؛ لأنْ	يَشْـتَرِكَا فِيْ وَصْـفِ وَاجِـبٍ حَسَـنْ
٧٦.حِيْنَئِـذٍ لابُـدَّ مِـنْ مُمَـيِّزْ	بِـذَاكَ قَـوْلُ الحُكَمَـا مَـيز

السادسة:

٧٧. قَـدِ انْـتَفَى الأحْـوَالُ فِيْ المَعَـانِيْ	عَـنْ وَاجِـبِ الوُجُـوْدِ ذَي امْتِنَـانِ[١٨]
٧٨. لَـوْ كَانَ بِالقُـدْرَةِ ذَا اقْتِـدَارِ	أوْ غَيْرِهَـا مَـا صَـحَّ لافْتِقَـارِ
٧٩. مَـنْ ثَبُـتَ احْتِيَاجُـهُ المُؤْتَلِـفُ	يَكُـوْنُ مُمْكِنَـاً، فَهَـذَا خُلـفُ

السابعة:

٨٠. وَهْـوَ غَـنِيٌّ لَـيْسَ بِالمُحْتَـاجِ   وُجُوْبُـهُ مَـانِعُ الاحْتِيَـاجِ

٨١. وَغَـيْرُهُ مُقتَـضِيُ الفَـنَـاءِ   لأجْـلِ الإمْـكانِ لا الاسْـتِغْنَاءِ

الفصل الرابع
فِيْ العدل

٨٢. وَمِـنْ صِـفَاتِ الذَّاتِ لمَّـا بَـاحَثُوا   قَـدْ شَرَعُـوْا فِيْ عَـدِلِهِ المَبَاحِـثُ(١٩)

الأَوَّل:

٨٣. عَقْـلٌ قَـضَى بِـأنَّ مِـنْ أفْعَـالِ   مَـا حَسَـنٌ وَنَـافِعٌ لِلحَـالِ

٨٤. كَمِثْـلِ إحْسَـانٍ وَصِـدْقِ نَـافِعِ   رَدِّ أمَانَـةٍ مِـنَ المَنَـافِعِ

٨٥. وَبَعْضُهَا القَبِيْحُ كالكِـذْبِ المُضِرْ   وَالظلـمُ أوْ غَيْرُهُمَـا لا يَنْحَـصِرْ

٨٦. مِنْ ثَـمَّ نَـافَى شَرَفَـاً مِـنْ جَاحِـدِ   يَقْضِـيْ بِـهِ كالهِنْـدِ وَالملاحِـدِ

٨٧. لَـوْ حَكَـمَ العَقْـلُ بِالانْتِفَـاءِ   لانْتَفَيَـا سَـمْعَاً بِـلا خَفَـاءِ

الثاني:

٨٨. بَدِيْهَـةٌ قَاضِـيَةٌ بِأنَّـا   الفَـاعِلوْنَ الفِعْـلَ؛ حَيْـثُ عَنَّـا

٨٩. الفَـرْقُ بَـيْنَ السَّـاقِطِ الذِيْ غَفَـلْ   وَبَيْنَـهُ عَلى مَـدَارِجٍ نَـزَلْ

٩٠. لَـوْ لَـمْ يَكُـنْ نُوْجِـدُ فِعْـلاً كانَـا   تَكلِيْفُنَـا مَنْعَـاً فَـلا عِصْـيَانَا

٩١. يَقْـبَحُ أنْ يَخْلُـقَ فِعْـلاً فِيْنَـا   ثُـمَّ عَذَابُـهُ بِـهِ يَفِيْنَـا

٩٢. وَمَـا يَعِـنْ يُسْـمَعُ أيْضَـاً فَحَسَـنْ كَقَوْلِهِ: ﴿خَيْرَاً يَرَهْ﴾ عَقِيْبَ ﴿مَنْ﴾[٢٠]

الثالث:

٩٣. عَلَيْـهِ يَسْـتَحِيْلُ فِعْـلُ قَبُحَـا لِصَـارِفٍ، أي: عِلمُـهُ، مُسَـبّحَا

٩٤. وَلَـيْسَ لِلوَاجِـبِ بَاعِـثٌ إلى قَبِـيْحٍ، امْتِنَاعُـهُ قَـدْ عَقَـلا

٩٥. فَـالدَّاعِي إمَّـا حَاجَـةٌ مُمْتَنِعَـةْ أوْ حِكمَـةٌ، وَالنَّـفْيُ فِيْهِمَـا سِـعَة

٩٦. لَـوْ صَـدَرَ القَبِـيْحُ مِنْـهُ لَـمْ يَقَـعْ ثُبُـوْتُ كُلِّ الأنْبِيَـا، أوِ امْتَنَـعْ

٩٧. إرَادَةٌ قَبِيْحَـةٌ لِقُبْحِهَـا عَلَيْـهِ مُسْـتَحِيْلَةٌ، فَانْتَبِهَـا

الرابع:

٩٨. لِلغَـرَضِ انْـ ـيزْ ؟؟ إلى الإلهِ فِعْـلاً، كَمَـا دَلَّ كلامُ اللهِ[٢١]

٩٩. وَنَفْيُـهُ مُسْـتَلزِمٌ أنْ يَفْعَـلا العَبَـثَ القَبِـيْحَ، وَهْـوَ قَـدْ عَـلا

١٠٠. وَلا يَكُـوْنُ الغَـرَضُ الإضْرَارَا لِلقُـبْحِ، فَـاعْلمْ نَفْيَـهُ اسْـتِمْرَارَا

١٠١. فَاللازِمُ التَّكلِيْفُ، وَهْوَ حَمْلُ مَـنْ طَاعَتُـهُ وَاجِبَـةٌ لَمَّـا اقْـتَرَنْ

١٠٢. عَلى الذِيْ شَـقَّ لِلاهْتِمَـامِ عَلى طَرِيْـقِ البِـدْءِ بِـالإعْلامِ

١٠٣. لَوْ لَـمْ يَكُـنْ كَـذَا لَـكَانَ مُغْرِيَـا بِالشَّـيْءِ مِـنْ قَبَـائِحٍ، فأجْرِيَـا

١٠٤. لِخَلقِـهِ الشَّـهَوَاتِ وَالمَيْـلَ إلى ذِيْ القُـبْحِ وَالنُّفُـوْرُ عَمَّـا قَـابَلا

١٠٥. فَـلا غِـنَى عَـنْ زَاجِـرٍ وَفَـاهِ وَذَاكَ تَكلِيْـفُ بِـلا اشْـتِبَاهِ

١٠٦. وَالعِلـمُ غَـيْرُ كَافٍ عَنْـهُ زَاجِـرَا لِكَـوْنِ الاسْتِسْـهَالِ ذَمَّـاً ظَـاهِرَا

١٠٧. حُصُـوْلُ هَـذَا مَـعْ قَضَـاءِ الـوَطَرِ عَـنِ القَبِـيْحِ فِعْلُـهُ لا تُجْهَـرِ

١٠٨. لهُ طَرِيْـقُ الحُسْـنِ تَعْـرِيْضٌ إلى ثَـوَابٍ، أيْ نَفْـعٍ يَكُـوْنُ أوَّلا؟

١٠٩. مُقَـــارِنُ التَّعْظِـيْمِ وَالإجْـلالِ لـــنْ يَبْتَـــدِ بِـــهِ بِـــلا مَقَـــالِ

الخامس:

١١٠. اللطْفُ وَاجِـبٌ عَلَيْـهِ، وَهْـوَ مَـا مُقَـــرِّبٌ، أوْ مُبْعِـــدٌ فَليُفْهَمَـــا

١١١. وَليْسَ فِيْ تَمْكِيْنِ الخَـطِّ[٢٢] وَلا يَبْلُــغِ الإضْرَارَ، أيْضَـــاً اعْقِـــلا

١١٢. فَــإنَّ مَـــا أرَادَ مِـــنْ مُكَلَّـــفِ عَليْـــهِ مَوْقُـــوْفٌ بِـــلا تَكَلُّـــفِ

١١٣. فَمَـــنْ أرَادَ فِعْـــلَ غَـــيْرِهِ إذَا تَحَقَّـــقَ العِلـــمُ لهُ مُنَفِّـــذَا

١١٤. أيْ: عِلمُـــهُ بِأنَّـــهُ لا يَفْعَـــلُ إلا بِفِعْلِـــهِ عَليْـــهِ يَسْـــهلُ

١١٥. فَـذَلِكَ المُرِيْـدُ لـوْ لـمْ يَفْعَـلِ لَــكَانَ نَـــاقِضَ المُـــرَادِ، فَاقْبَـــلِ

١١٦. وَقُبْحُـهُ ظَـاهِرٌ عِنْـدَ العُقَـلا لا تَنْسِـــبَنَّهُ إلى الذِيْ عَـــلا

السادس:

١١٧. تَعْرِيْضُـنَا بِـالألمِ الصَّـادِرِ عَـنْ إلَهِ عَالَمِـــيْنِ وَاجِـــبٌ حَسَـــنْ

١١٨. وَعَـرَضٌ مَعْنَـاهُ نَفْـعٌ مُسْـتَحِقْ خَـالٍ مِـنَ التَّعْظِـيْمِ لِـلذِيْ أحَـقْ

١١٩. إنْ لمْ يُعَـوِّضْ فَهُـوَ كانَ الظَّالِمَـا سُـــبْحَانَ رَبِّيَ العَظِـــيْمِ عَالِمَـــا

١٢٠. وَكَوْنُـــهُ زِيَـــادَةٌ عَلى الألَـــمْ حَـــتْمٌ، وَإلا عَبَـــثٌ بِـــلا كَـــرَمْ

الفصل الخامس
فِيْ النبوَّة

١٢١. نَـبِيٌّ: الإنْسَـانُ صَـاحِبُ الخَـبَرْ عَـنْ خَـالِقٍ بِـلا تَوَسُّـطِ البَشَـرْ

١٢٢. هُنَـــا مَبَاحِـــثٌ وَذَاتِ قُـــوَّةْ أوَّلَهَـــا: فِيْ مَبْحَـــثِ النُّبُـــوَّةْ

الأوَّل:

١٢٣. قَـــدِ ادَّعَى مِـــنْ جَانِـــبِ الإلهِ	نُبُـــــوَّةً صَـــــالِحٌ عَبْـــــدِ اللهِ
١٢٤. مُحَمَّـــــدٌ رَسُـــوْلهُ ذُوْ الجَـــاهِ	ذُوْ مُعْجِـــــزٍ، نَحْـــوَ: كلامِ اللهِ
١٢٥. عَلى يَدِ العَليِّ انْشِـقَاقُ القَمَـرِ[٢٣]	كَذَاكَ تسبيـــــح حصـــى مُسَـخّر
١٢٦. يَنْبُـــوْعُ مَـــاءٍ وَسَـــطَ الأصَـابِعِ	وَالخَـــبَرُ الغَيْـــبِيُّ فِيْ المَوَاقِـــعِ
١٢٧. وَمُشْـــبِعُ الكَثِـيْرَ ذُو الإنْعَـــامِ	مِـــنَ الذِيْ قَـــلَّ مِـــنَ الطَّعَـــامِ
١٢٨. إعْجَـازُهُ أكْـثَرُ مِـــنْ إحْصَـاءِ	يَكُـــــوْنُ صَـــــادِقاً فِيْ الادِّعَاءِ
١٢٩. إغْرَاؤُنَـــا عَلى قَبِـــيْحٍ لزِمَـــا	إنْ يَـــكُ كَاذِبَـــاً مُحَـــالٌ حَتْمَـــا

الثاني:

١٣٠. قَـــدْ وَجَـــبَ العِصْـمَةُ فِيْ النَّـــبِيِّ	تَعْرِيْفُهَـــــا بِلفْظِـــــهِ الخَـــــفِيِّ
١٣١. يَفْعَلـــهُ الوَاجِـــبُ بِـــالمُكلفْ	بِحَيْـــثُ لا يَكُـــوْنُ دَاعٍ مُؤْلِـــفْ
١٣٢. لِـــتَرْكِ طَاعَـــةٍ وَفِعْـــلِ مَعْصِـــيَةْ	مَـــعْ قُـــدْرَةٍ عَليْـــهِ، يَـــا ذَا التَّحْلِيَـــةْ
١٣٣. فَإنَّـــهُ لَـــوْ لَـــمْ يَكُـــنْ مَعْصُـــوْمَا	لَـــمْ تَعْتَمِـــدْ بِقَـــوْلِهِ مَفْهُوْمَـــا
١٣٤. فَتَنْـــــتَفِيْ فَائِـــــدَةُ الإرْسَـــــالِ	مُحَـــالٌ هَـــذَا، خُـــذْ بِـــلا إشْـــكَالِ

الثالث:

١٣٥. وَفِي [الـ]ــنَبِيِّ وَجَبَـــتْ لِلغَايَـــة	مِـــنْ أوَّلِ العُمْـــرِ إلى النِّهَايَـــة
١٣٦. لِعَـــدَمِ انْقِيَـــادِ قَلبِنَـــا إلى	طَاعَـــةِ مَـــنْ يَعْصِـــيْ بِعِصْـيَانٍ جَـلى
١٣٧. وُقُوْعُـــهُ فِيْ سَـــالِفِ الأزْمَـــانِ	إليْـــهِ مَيْـــلُ النَّفْـــسِ مِـــنْ كفْـــرَانِ

الرابع:

١٣٨. وَكَوْنُهُ أَفْضَـلُ عَصْرِهِ يَجِـبْ | تَقَـدُّمَ المَفْضُـوْلِ[٢٤] قَوْمَـهُ اجْتَنِـبْ
١٣٩. عَقْلاً وَسَمْعَاً مَا تقُوْلُ المُسْتَحقْ | كَقَوْلِهِ: ﴿يَهْدِيْ إلى الحَقِّ أَحَقْ﴾[٢٥]

الخامس:

١٤٠. تَنْزِيْـهُ عَـنْ دَنَـاءَةِ الآبَـاءِ | وَعَهْـرِ أُمِّهِـمْ لِلأَنْبِيَـاءِ
١٤١. كَـذَاكَ عَـنْ رَذَائِـلِ الخُلقِيَّـةْ | أَيْضَـاً، وَعَـنْ عُيُـوْبِهِمْ خَلقِيَّـةْ
١٤٢. وَالنَّقْـصُ فِيْ كُلٍّ بِـلا التِبَـاسِ | فَيَسْـقُطُوْنَ عَـنْ قُلـوْبِ النَّـاسِ

الفصل السادس
فِيْ الإمامة

وفيه مباحث:

الأوَّل:

١٤٣. إمَامَـةٌ: رِئَاسَـةٌ تَعُـمُّ فِيْ | أُمُـوْرِ شَـيْئَيْنِ لِشَـخْصٍ اقْتُضِـيْ
١٤٤. وَاجِبَـةٌ عَقْـلاً مِـنَ الإلهِ | إمَامَـةٌ تَكُـوْنُ لطـفَ اللهِ
١٤٥. نَعْلَـمُ أَنَّهُـمْ إذَا تَحَقَّقَـا | لهُـمْ رَئِـيْسٌ مُرْشِـدٌ مُحَقَّقَـا
١٤٦. مُنتصِفٌ مِنْ ظَالِمٍ لِمَنْ ظَلمْ | بِـرَدِّهِ كانَ الصَّـلاحُ قَـدْ عُلِـمْ
١٤٧. قَـدْ مَـرَّ أَنَّ اللطْـفَ وَاجِـبٌ عَلى | مُفِـيْضِ إحْسَـانٍ وَخَـيْرِ انْجَـلى

الثاني:

١٤٨. قَـدْ وَجَـبَ العِصْـمَةُ فِيْ الإِمَـامِ　مِثْـلَ النَّـبِيِّ صَـاحِبِ المَقَـامِ
١٤٩. إنْ لـمْ تَجِـبْ فَـاللازِمُ التَّسَلسـلْ　لِحَاجَـةٍ، كَمَـا مَضَـتْ، لا تَغْفَـلْ
١٥٠. وَلوْ عَصَى لكَـانَ إنْ كانَ يَجِبْ　فَسَـاقِطٌ عَـنِ القُلـوْبِ مَـا نُصِـبْ
١٥١. إنْ لـمْ يَجِـبْ فَـالأمْرُ بِالإحْسَـانِ　وَنَـهْيِ مَـا يُنْكَـرُ يَسْـقُطَانِ
١٥٢. وَحَافِـظٌ لِلشَّـرْعِ فَهْيَ وَاجِبَـةْ　لِلأَمْـنِ مُغَـيِّرٌ بِـلا شَـبَهْ؟
١٥٣. ثُبُوْتُهَـا سَـمْعَاً، كقَـوْلِهِ عَـلا:　﴿يَنَالُ عَهْدِيْ الظَّالِمِيْنَ﴾ بَعْدَ ﴿لا﴾[٢٦]

الثالث:

١٥٤. وَاجِـبٌ أنْ يَكُـوْنَ مِـنْ إلهِ　وَمِـنْ رَسُـوْلِهِ بِـلا اشْـتِبَاهِ
١٥٥. فَإنَّهَـا مَخْفِيَّـةٌ لا يَعْلَـمُ　إلا الإلهِ بِالصَّـوَابِ أعْلَـمُ
١٥٦. إظهَـارُ مَـا أعْجَـزَ فِيْـهِ دلّا　عَلى وُجُـوْدِ الصِّـدْقِ لـيْسَ إلا

الرابع:

١٥٧. خُذْ بِالوُجُوْبِ كَوْنَـهُ أفْضَلَ مِـنْ　رَعِيَّةٍ، كَمَـا مَضَـى مِمَّـنْ أمِـنْ[٢٧]

الخامس:

١٥٨. بَعْـدَ الرَّسُـوْلِ صَـاحِبِ المَقَـامِ　عَلِيِّ بْـنِ أبِيْ طَالِـبْ إمَـامِيْ
١٥٩. بِـالنَّصِّ مِـنْ نَبِيِّنَـا تَظَـاهَرَا　كَالقَـوْلِ فِيْ مَنْزِلَـةٍ تَـوَاتَرَا
١٦٠. فَإنَّـهُ بَعْـدَ الرَّسُـوْلِ أفْضَـلُ　كَقَوْلِنَـا: ﴿أنْفُسَـنَا﴾[٢٨] يُفَضَّـلُ

١٦١. إليْـهِ الاحْتِيَـاجُ فِيْ المُبَاهَلـةْ | لا أحَـدٌ مِـنْهُمْ بِـلا مُسَـاءَلةْ
١٦٢. فَإنَّـهُ المَعْصُـوْمُ بِـالوُجُوْبِ | لا غَـيْرَ بِالإجْمَـاعِ لِلعُيُـوْبِ
١٦٣. وَإنَّـهُ أعْلَـمُ لِلرُّجُـوْعِ فِيْ | وَقـائِعٍ إليْـهِ عَكْـس يَـفِيْ
١٦٤. وَقَـوْلهُ: «أقْضَـاكُمُ عَلِيٌّ» | وَكَوْنُـهُ أزْهَـدَهُمْ جَـلِيٌّ
١٦٥. قَـدْ طَلـقَ الدُّنْيَـا ثَلاثـاً أعْرَضَـا | عَـنْ كُلِّ مُسْـتَلذِّهَا تَعَرَّضَـا
١٦٦. أدِلَّـةٌ إحْصَـاؤُهَا لا يُمْكِـنُ | وَ﴿إنَّمَـا وَلِيُّكُـمْ﴾[٢٩] مُبَـيِّنُ
١٦٧. وَالحَسَـنُ ابْنُـهُ بِـلا انْفِصَـالِ | وَبَعْـدَهُ الحُسَـيْنِ اتِّصَـالِ
١٦٨. ثُـمَّ عَلِيٌّ ابْنُـهُ إمَـامِيْ | وَبَعْـدَهُ البَـاقِرُ ذُوْ الـكَلامِ
١٦٩. جَعْفَـرٌ الصَّـادِقُ بَعْـدَهُ بِـلا | فَصْـلٍ فَمُـوْسَى الكَاظِـمِ اقْبِـلْ اقْـبِلا
١٧٠. ثُـمَّ عَلِيٌّ الرِّضَـا إمَـامُ | ثُـمَّ الجَـوَادُ هَكَـذَا الهُمَـامُ
١٧١. وَبَعْـدَهُ الهَـادِيْ إمَـامُ النَّـاسِ | فَالحَسَـنُ ابْنُـهُ بِـلا التِبَـاسِ
١٧٢. وَبَعْدَهُ اعْـرِفْ صَـاحِبَ الزَّمَـانِ | فَـإنَّهُمْ خَلِيْفَـةُ الـرَّحْمَنِ[٣٠]
١٧٣. بِـنَصِّ كُلِّ سَـابِقٍ مِـنْهُمْ عَلى | لاحِقِـهِ وَبِالسَّـوَابِقِ اعْقَـلا

الفصل السابع
في المعاد

١٧٤. عَـمَّ اتِّفَـاقُ المُسْـلِمِيْنَ صِـدْقَا | عَلَى المَعَـادِ البَـدَنِيِّ حَقَّـا
١٧٥. فَإنَّـه لـوْلا مَعَـادٍ قَبُحَـا | تَكلِيْفُـهُ فَمُمْكِـنٌ مُتَّضِـحَا
١٧٦. وَصَـادِقٌ أخْـبَرَ بِـالثُّبُوْتِ | فَكَوْنُـهُ حَقَّـاً مِـنَ اللاهُـوْتِ

١٧٧. آيَاتُــــهُ دَلـــتْ عَلى المَعَـــادِ جَاحِــــدُهُ المَــــذْمُوْمُ بِازْدِيَــــادِ

١٧٨.وَ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهِ﴾[٣١] أَوَّلَهُ عِوَضْ فَبَعْثُـــهُ عَقْـــلاً وَسَـــمْعَاً مُفْـــتَرَضْ

١٧٩. وَغَــــيْرُهُ العَائِـــدُ بِـــالوُجُوْبِ سَـــمْعَا فَقَـــطْ تَـــدَارك الذُّنُـــوْبِ

١٨٠. قَـــدْ وَجَـــبَ الإِقْـــرَارُ وَالقَبُـــوْلُ بِكُـــلِّ مَـــا جَـــاءَ بِـــهِ الرَّسُـــوْلُ

١٨١. وَمِنْـــهُ مِـــيْزَانُ صِرَاطٍ وَجَـــبْ؟ إِنْطَـــاقُ أعْضَـــاءٍ، تَطَـــائرُ الكُتُـــبْ

١٨٢. فَإِنَّهَـــا مُمْكِنَـــةٌ، وَصَـــادِقٌ إِخْبَـــــارُهُ فِيْ كُلِّ الموافِـــــق؟؟

١٨٣. وَبَعْـضَ مَـا جَـاءَ بِـهِ الثَّـوَابُ وَمِنْـــهُ مَـــا يُقَابِـــلُ العِقَـــابُ

١٨٤. تَفْصِيْلُ هَـذَيْنِ مِـنَ الشَّرْعِ عَلى عَـنْ صَـادِقٍ بِـهِ صَـلاةُ ذِيْ العُـلا

١٨٥. وَمِنْـــهُ تَوْبَـــةٌ نَصُـــوْحٌ تَجِـــبُ بِـــدُوْنِهَا الغُفْـــرَانُ لا نَسْـــتَوْجِبُ

١٨٦. وَالأَمْرُ بِالمَعْرُوْفِ وَاجِبٌ كَـذَا نَـهْيٌ عَـنِ المُنْكَـرِ أَيْضَـاً، فَخُـذَا

١٨٧. بِشَـــرْطِ عِلْـــمِ آمِـــرٍ وَنَـــاهٍ كُنْهَهُمَـــا حَقَّـــاً بِـــلا اشْـــتِبَاهٍ

١٨٨. إِنْ يَتَوَقَّعَـــا؛ فَـــإِنَّ المَـــاضِيْ قَـــدْ عَبَثَـــا فِيْـــهِ مَـــعَ ارْتِيَـــاضِ

١٨٩. تَجْـوِيْزُ تَـأْثِيْرٍ وَأَمْـنٌ مِـنْ ضَرَرْ بِـــدُوْنِهَا سُـــقُوْطُ كُلٍّ قَـــدْ ظَهَـــرْ

[الخاتمة:]

١٩٠. تَـــمَّ مُرَادُنَـــا بِعَـــوْنِ اللهِ نَحْمَـــدُهُ حَمْـــدَاً بِـــلا تَنَـــاهٍ

١٩١. وَإِنَّ مَـــا نَظَمْتُـــهُ مُنْبِئَـــةْ لَـــفِيْ ثَلاثِـــيْن وَأَلْـــفٍ وَمِئَـــةْ

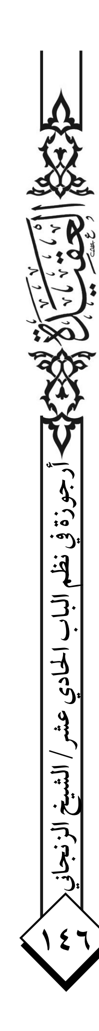
١٩٢. قَـاصِرَةً جَـاءَتْ لِعَبْـدٍ جَـانِيْ تَسْـــوِيْد هَـــذَا كَانَ بِالزَّمَـــانِ

وقد فرغت عن تسويد هذا الكتاب بعون الملك الوهاب، فِيْ يوم أخذني خمسين ألف سنة [كذا].

وقد شرعت فيه فيه[٣٢] وهو يوم الثلاثاء من شهر جمادى الأولى سنة ١٢٤٦ هجريـ[ـة].

وكل غلط يرى فيه من نسخة الصاحب لا من سهو الكاتب.

* هوامش البحث *



١. هو المولى خليل بن الغازي القزويني (١٠٠١-١٠٨٩ هـ)، أحد مشاهير علماء الإمامية، ولد بقزوين في شهر رمضان سنة إحدى وألف، وقرأ على جماعة من العلماء، منهم: بهاء الدين محمد بن الحسين بن عبد الصمد العاملي، والسيد محمد باقر بن محمد الحسيني الإسترابادي الإصفهاني المعروف بالداماد، ومحمود الرناني، و المولى حسين اليزدي، وأبو الحسن القايني المشهدي.

وظهر تفوّقه في وقت مبكّر، وصار وهو في أوائل الثلاثين من عمره متولّياً لمشهد السيد عبد العظيم الحسني ببلدة الري، ومدرساً به في عهد الوزير السيد الحسين بن رفيع الدين محمد المعروف بسلطان العلماء، وكان الوزير المذكور شريكاً للمترجم في الأخذ عن المولى حسين اليزدي بمشهد الرضا عليه السَّلام ثم عُزل، فتوجَّه إلى مكة المكرّمة، وجاور بها برهة من الزمان مقبلًا على الجمع والتصنيف، ثم عاد إلى بلدته قزوين، فسكنها وشرع في التصنيف والتأليف ونشر العلوم.

وكان فقيهاً، أُصولياً، محدثاً، متكلماً، دقيق النظر، غزير العلم، مبجّلًا عند سلاطين الصفوية والوزراء والناس عُدّ من علماء الاخبارية، لكن اهتمامه بالأصول والفلسفة أثار الشكوك في كونه منهم هذا.

وقد أخذ عن المترجم طائفة من العلماء، منهم: أولاده : أحمد وأبو ذر وماتا في حياته، وسلمان، وأخوه محمد باقر بن الغازي، وبابا بن محمد صالح القزويني، ورضي الدين محمد بن

الحسن القزويني، ومحمد التبريزي المعروف بالمجذوب، ومحمد كاظم الطالقاني، ومحمد يوسف بن بهلوان صفر القزويني، ومحمد صالح القزويني المعروف بالروغني، وعلي أصغر بن محمد يوسف القزويني، ومعصوم القزويني، والسيد محمد مؤمن بن محمد زمان الطالقاني القزويني، ومحمد تقي الدهخوارقاني ثم القزويني، ورفيع الدين محمد بن فتح اللَّه القزويني.

وصنّف ثلاث رسائل في الجمعة وله أيضاً : الصافي في شرح الكافي للكليني ألّفه بالفارسية في مدة عشرين سنة، الشافي في شرح الكافي لم يتم، شرح عدة الأُصول في أصول الفقه للطوسي، حاشية على مجمع البيان في تفسير القرآن للطبرسي، الرسالة النجفية في مسائل الحكمة، الرسالة القمّية في مسائل الحكمة، تعليقات على توحيد الصدوق، والمجمل في النحو، وغير ذلك توفّي بقزوين-سنة تسع وثمانين وألف. (جامع الرواة ١-٢٩٨، أمل الآمل ٢-١١٢ برقم ٣١٤، روضات الجنات ٣-٢٦٩ برقم ٢٨٧، رياض العلماء ٢-٢٦١، هدية العارفين ١-٣٥٤، تنقيح المقال ١-٤٠٣ برقم ٣٧٧٢، الفوائد الرضوية ١٧٢، هدية الأحباب ١٧٦، أعيان الشيعة ٦-٣٥٥، ريحانة الأدب ٤-٤٥٠، طبقات أعلام الشيعة ٥-٢٠٣، الذريعة ١٥-٤ برقم ١٧ و، الاعلام ٢-٣٦٨، معجم رجال الحديث ٧-٧٤ برقم ٤٣٣٣، معجم المؤلفين ٤-١٢٥، معجم المفسرين ١-١٧٥).

٢. هو السيد قوام الدين محمد بن محمد مهدي الحسيني السيفي، الفقيه الإمامي، الأديب، صاحب الأراجيز الكثيرة . أقام في أصفهان مدة . وتتلمذ على القاضي جعفر بن عبد اللَّه الكمرئي الأصفهاني، واختصّ به.

وأخذ شطراً من العلوم والمعارف الدينية عن المحدث الكبير الشيخ محمد باقر بن محمد تقي المجلسي، وحصل منه على إجازة تاريخها سنة (١١٠٧ هـ). وأجاز له السيد علي خان بن نظام الدين أحمد المدني بأصفهان، وأثنى عليه كثيراً، ثمّ ذكره في كتابه سلافة العصر. ومهر في علوم العربية وغيرها، ونظم في شتى الفنون كثيراً من المتون.

تتلمذ عليه: محسن بن محمد طاهر النحوي القزويني، وعبد النبي بن محمد تقي القزويني . وصحبه محمد علي بن أبي طالب الحزين برهة في أصفهان ثمّ في قزوين، وقال في حقّه: كان من أفاضل الدهر ونبلاء العصر في علوم العربية والفقه والحديث، جليلاً قدره.

وللمترجم مؤلفات، منها : التحفة القوامية في نظم اللمعة الدمشقية في الفقه للشهيد الأوّل، نظم زبدة الأصول في أصول الفقه للشيخ بهاء الدين محمد بن الحسين العاملي، نظم مختصر الأصول لابن الحاجب، الصافية في نظم الكافية في النحو لابن الحاجب، الوافية في نظم

الشافية في التصريف لابن الحاجب، نظم الشاطبية في القراءات، نظم خلاصة الحساب للشيخ البهائي، حاشية على الشفاء لابن سينا، رسالة في العروض، أرجوزة في الطب، وأرجوزة في الأخلاق، وما سوى ذلك.

وله شعر كثير بالعربية والفارسية والتركية، ومكاتبات ومراسلات مع العلماء والأدباء مثل السيد علي خان المدني، والسيد نصر الله الحائري المدرس، والسيد نور الدين بن نعمة الله الجزائري التستري.

توفّي في نحو سنة خمسين ومائة وألف، وكان السيد عبد الله بن نور الدين الجزائري التستري قد اجتمع به بقزوين في عشر الخمسين بعد المائة والألف، وقال: إنّه راسلني بعد ما فارقته بمنظومة جيدة وأجبته مثلها، وتوفّي بعد ذلك بزمان يسير. (الإجازة الكبيرة للتستري ١٦٥، الفوائد الرضوية ٦٢١، الكنى والألقاب ٩٠/٣، أعيان الشيعة ٤١٢/٩ و ٧٤/١٠، ريحانة الأدب ٤٩٢/٤، الذريعة ٤٦٢/٣، برقم ١٦٨٨ و ٢١٣/٢٤ برقم ١١٠٦ و ٢٣٠ برقم ١١٧٩، طبقات أعلام الشيعة ٦٠٣/٦).

٣. الفهرست لمشاهير وعلماء زنجان، ص٨٨.

٤. لاحظ: الذريعة، ج١، ص٤٩٤، وص ٤٩٩.

٥. الفهرست لمشاهير وعلماء زنجان، ص٨٨ ـ ٨٩.

٦. لاحظ الذريعة، ج٢٤، ١٢٩، بتصرف.

٧. لاحظ: الذريعة، ج١، ص٤٩٤، وج٣، ص٧.

٨. مكتبة العلامة الحلي، ص٦٩.

٩. لاحظ: فهرس مخطوطات مكتبة آية الله المرعشي النجفي، ج٧، ص٣٥٧.

١٠. فيْ الأصل: «ذو النوال»، والصواب ما أثبتناه.

١١. أي قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ (سورة المائدة، الآية ٥٥).

١٢. فيْ الأصل: «ممتنعاً»، والصواب ما أثبتناه.

١٣. ورد ذلك في قوله تعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ (سورة الأنعام، الآية ١٠٣). وقوله تعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ (سورة الإسراء، الآية١). وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (سورة غافر، الآية: ٢٠). وقوله تعالى: ﴿فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (سورة غافر، الآية ٥٦).

وقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (سورة الشورى، الآية ١١).

١٤. لاحظ: المواقف، ج٣، ص٧١٥؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ج٣، ص٢٢٣.

١٥. القمن: الخليق والجدير. (لسان العرب، ج١٣، ص٣٤٧).

١٦. من قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي﴾. (سورة الأعراف، الآية ١٤٣).

١٧. لاحظ: المواقف للإيجي، ج٣، ص٢٠٣؛ النافع يوم الحشر، ٥٦.

١٨. في الأصل: «ذي امتنان»، والصواب ما أثبتناه.

١٩. رفعه للضرورة وحقه النصب.

٢٠. وهو قوله تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾. (سورة الزلزلة، الآية ٧ـ ٨).

٢١. منه قوله تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا﴾. (سورة المؤمنون، الآية ١١٥). وقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ﴾. (سورة ص، الآية٢٧). وقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾. (سورة الذاريات، ٥٦).

٢٢. كذا في الأصل، ولعله: خطأ.

٢٣. كما في قوله تعالى: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ * وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ﴾. (سورة القمر، الآية ١ـ٢).

٢٤. هامش المخطوط : أي على الفاضل.

٢٥. وذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهِدِّي إِلَّا أَنْ يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾. (سورة يونس، الآية ٣٥).

٢٦. وهو قوله تعالى: ﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾. (سورة البقرة، الآية ١٢٤).

٢٧. فيْ هامش المخطوط:أي كما تقدم فيْ النهي.

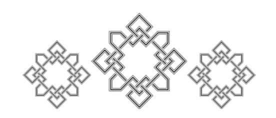
٢٨. إشارة إلى قوله تعالى: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾. (سورة ال عمران، الآية ٦١).

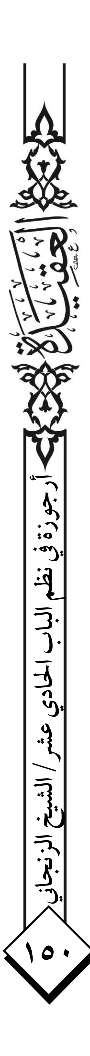
٢٩. يعني قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾. (سورة المائدة، الآية، ٥٥).

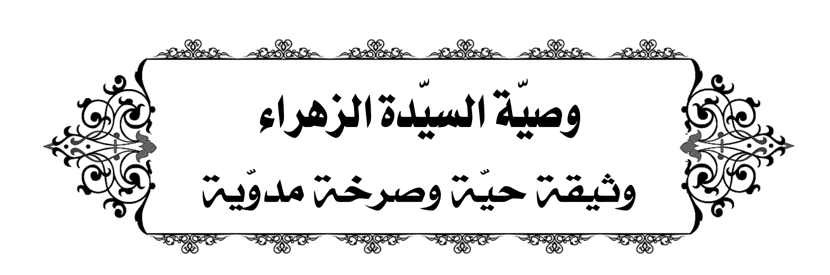
٣٠. كذا، والوجه: خلفاء الرحمن، إلا أنه لا يتم معه الوزن.

٣١. إشارة إلى قوله تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾. (سورة الرحمن، الآية ٢٦).

٣٢. كذا ورد بتكرار :(فيه)، والمقصود: في النظم في ذلك اليوم.







وصيّة السيّدة الزهراء
وثيقة حيّة وصرخة مدوّية

السيد محمود المقدس الغريفي

تُعد خُطبَتَي الزَّهراءِ عليها السلام بما تحملانه من عُمق فكري وعقائدي، وبُعد تأريخي، وسجل وثائقي، خيرُ شاهد على ما حدث بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله ، وما جرى من الحزب القرشي بالانقلاب على خطّ الرسالة، واغتصاب الخلافة الكبرى، والتمسك بزمام الحكم بكل صورة، وتحت أي ذريعة وغطاء، وتشبثهم حتى بالهواء والماء، ومحاولة إقصاء كل من يحاول إيقافهم عن مسارهم وهدفهم المنشود، وبالخصوص أهل الحقّ الشرعي وأصحاب النص الإلهي، بني هاشم رهط الرسول صلى الله عليه وآله وعشيرته، وبالأخص سيّدهم وعمدتهم صاحب الحقّ المنصوص عليه من السماء عليّ أمير المؤمنين عليه السلام .

هذا، ولم يقفوا في ذلك إلى حدٍّ معين، بل وصل بهم الأمر إلى القتل كما جرى على الصحابي الجليل مالك بن نويرة التميمي اليربوعي رضي الله عنه وعلى قومه، وما حاكوه من دسائس لاغتيال أمير المؤمنين عليّ عليه السلام قبل ذلك، وما جرَّ بعدها من ظلم للزهراء فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله، وغصب حقّها وإرثها، وما سجله التأريخ من مآسي فضيعة على باب دارها عليها السلام والاعتداء عليها، وما لحقّها من خروج الزهراء عليها السلام إلى مسجد أبيها صلى الله عليه وآله، وإلقاءها خطّبتها الشهيرة أمام المهاجرين والأنصار، واحتجاجها على الحكومة القرشيّة القبلية القائمة، وإظهار

زيف دعواهم، وإبطال أكاذيبهم وحججهم الفارغة، بالدليل القرآني والحجة الشـرعية والعقلية، وما تبعها من خُطبَتِها الثانية مع نساء المهاجرين والأنصار، عندما عِدنها في مرضها وسألنّها عن حالها فانطلقت في خطّبتها كالبحر الهائج عتاباً لهن وتوبيخاً لرجالهن...

وقد أهتم العلماء والباحثون اهتماماً بالغاً وباستحقاق بهاتين الخطبَتين العظيمتين، وخصوصاً الخطّبة الأولى، إذ شرحت شروحات عديدة، وعُلّقت عليها تعلّيقات جمّة؛ لفهم مغزاها، وكشف مكنونها، وتفسير كلامها، وتوثيق احتجاجها ورفضها، ورسم معالم أهم مرحلة تاريخية بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله، وما جرى على الأمة من أحداث وتقلبات، كان نتيجتها إقصاء أمير المؤمنين الإمام عليّ عليه السلام وعزله عن حقّه الطبيعي ومنصبهِ الإلهي بالخلافة الكبرى وإدارة شؤون الدولة الإسلاميّة.

ولكنها عليها السلام لم تتوان، بل واصلت مسيرتها في رحلة الاِحتِجاج والرفض للانقلابيّين، الغاصبين، الظالمين، إلى حين وفاتها، بل وَثّقَتْ ذلك عند آخر عهدها بالحياة، وفي وصيّتها المباركة، حين أوصت أن لا يحضـر جنازتها أحد من الانقلابيّين، خصوصاً من الذين ظلموها وغصبوا حقّها، وأن تدفن سراً في الليل، حتى لا يقفوا على قبرها، وأن يعفى ثرى قبرها ولا يُعرّف...

فأثارت بذلك الشكوك والتَّساؤلات بين الناس؟!

وأنها لماذا أوصت بذلك بنت رسول الله صلى الله عليه وآله ؟!

وما هو هَدفُها وغايتُها؟

هذا في أهم فقرات وصيّتها المباركة.

كما إنَّ في وصيّتها مضامين عاليةً، ودروساً عظيمة، وأهدافاً سامية، في مجمل فقراتها الأخرى، فضلا عما يستفاد من العِظة والعبرة من بنت الرسالة والنبوة فاطمة الزهراء عليها السلام.

إلا أن التعرض إلى هذه الوصيّة المباركة، بالشـرح والتعليق، والدراسة والتحقّيق؛ لفهم مكنونها وأسرارها، لم يكن بالمستوى المطلوب، بل كان غالباً بصورة عابرة وباقتضابٍ مُخلٍّ، يصل إلى حدّ الإشارة فقط لكثير من فقراتها ونصوصها، وأنه لم يسلط الضوء عليها؛ لمعرفة مغزاها وكنهها، وما يستخرج من منجمها الثرّ بالتحليل والدراسة، كما سلّط الضوء على خُطبَتَيها الشـريفتين عليها السلام، بالشـرح والتحليل والتدقيق والتعليق.

ومن هنا كانت محاولتنا المتواضعة هذه، كنقطة بدء في قراءة وصيّة الزهراء عليها السلام، من بعض ما لملمته من كلمات وصيّتها المتفرقة، وأرجو أنَّ تتبعها خُطواتٌ أخرى من الباحثين والمهتمين بتراث هذه السيّدة العظيمة، الصديّقة المظلومة عليها السلام.

وقد رويت هذه الوصيّة المباركة بروايات مختلفة، وأوقات متفاوتة، ومضامين متنوعة، مع اختلاف ببعض ألفاظها، إلا أن المنبع والقليب واحد، وأنها تحمل فكر الزهراء عليها السلام ورسالة الإسلام، حيث أن الأصل التام ما زال محفوظاً عند أولادها الأطهار عليهم السلام مُودَعاً في مصحفها الشـريف – مصحف فاطمة-كما أشارت لذلك بعض أخبارهم عليهم السلام.

ـ الوصيّةُ المباركةُ بين النصِّ والمضمُون:

الإسلام شريعة الله عز وجل في الأرض، ومنهجه في بناء الإنسان، وتقويم سلوكه المادي والروحي، في كافة أبعاده وجوانبه.

ثم وضع الأسس المثلى لهذه الشـريعة الغراء في كتابه المنزل القرآن الكريم، وأجراها على لسان خاتم أنبيائه ورسله محمّد صلى الله عليه وآله فيما ورد عنه من الأحكام والسنن، حيث أنه (وَمَا يَنْطِقُ عَنْ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى * عَلَّمَهُ شَدِيدُ

الْقُوَى)[1]، في جميع مفاصل الإنسان الحياتية وتحركاته، وكل حالاته النفسية والروحية وسكناتها، إذ ترى الإسلام قد شرع أحكاماً، وسنناً، وآداباً، وسلوكيات، لمعظم نواحي الحياة.

فعلى سبيل المثال دخل الإسلام إلى مكان التخلي وشرع له أحكاماً وآداباً، وانفتح على مخدع الزوجين وسن له أعمالاً وسنناً شريفة، ورحل مع المسافر في سفره ورسم له آداباً وسلوكيات كريمة، وأعدّ لما قبل الموت وبعده أحكاماً وسنناً وآداباً رشيدة، ونحو ذلك من الأمور.

وما هذا إلا إزالة للعقبات، وتعبيداً للطرق، وتنويراً للدرب، أمام الإنسان، لكي يرتقي بالمسلمين إلى التكامل الروحي المنشود.

وكان من جملة الحقّوق والسنن التي أرشد إليها الإسلام وحث عليها، الوصيّة قبل الوفاة؛ لضمان حقّ الميت وتنجيز رغباته بعد الموت وتفعيلها، في ثلث تركته فقط، ويُحفظ حقّ الورثة في الثلثين.

فمما جاء في القرآن الكريم في أثر الوصيّة قوله تعالى ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوصيّة اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُم**﴾[2].

أما في السنة الشريفة، فهناك جملة من الروايات ترشد وتؤكد استحباب كتابة الوصيّة، منها:

ما ورد عن أبي جعفر الباقر عليه السلام: الوصيّة حقّ، أوصى رسول الله صلى الله عليه وآله فينبغي للمسلم أن يوصي[3].

وعن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: هي حقّ- أي الوصيّة- على كل مسلم[4].

وقال عليه السلام: ما ينبغي لامرِئٍ مُسلمٍ أن يبيت ليلةً إلا ووصيتُهُ تحت رأسه[5].

بل عدّ رسول الله صلى الله عليه وآله من ميتة الجاهلية الموت بلا وصيّة، حيث قال: من مات بغير وصيّة مات ميتة جاهلية [٦].

وقد استفاضت الأحاديث والروايات بل تواترت على أن رسول الله صلى الله عليه وآله قد أوصى قبل وفاته، وكان من أهم فقرات وصيّته شيوعاً وانتشاراً، بين العامة والخاصة، ما رواه أبو سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه قال: إني أوشك أن ادعى فأجيب، وإني تارك فيكم الثقلين، كتاب الله عز وجل، وعترتي، كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، وأنّ اللطيف اخبرني أنّهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما[٧].

وكذلك قد أوصى الأئمّة الاثنا عشـر المعصومون عليهم السلام قبل وفياتِهم، وقد انتثرت جُمَلٌ من وصاياهم في كتب المسلمين العامة، وكان من جملة وصايا الحجج المعصومين الأطهار عليهم السلام، الذين اذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا هي وصيّة سيّدتنا ومولاتنا فاطمة الزهراء عليها السلام، حيث تعدّ وصيّتها درة ناصعة من درر أهل البيت الأطهار عليهم السلام، وكل كلامهم دُرَرٌ، وتناثرت جُمَلٌ كثيرة منها هنا وهناك، وتفرقت بين ثنايا المصادر وطيات السطور، وانتشـرت مقاطع من وصيّتها في كتب التأريخ والسير.

ولكن من خلال لملمة هذه المتفرقات، وجمع المتناثرات، من بين الروايات والأخبار، التي تضمّنت أجزاء من وصيّتها المباركة مع غض الطرف عن المتكرر منها، نصاً أو مضموناً، حيث أنها رويت تارة عن صورة رقعة مكتوبة، وأخرى وردت كلاماً بالمباشرة مع عليّ أمير المؤمنين عليه السلام، وبعضها يروي أجزاء من وصيّتها، كما في بعض الروايات الواردة عن أولادها المعصومين عليهم السلام.

ونحن وإن لم نجر استقراء كلياً لجميع الروايات والأخبار التي نقلت مضامين الوصيّة المباركة، ولكن نرى - لا على سبيل الجزم- أن ما سنذكره يعبر عن

مضمّون وصيّتها المباركة في الجملة، وعرض لأهم فقراتها، على ما اشتهر منها وشاع، حيث إِنَّ في وصيّتها بعضاً من مختصاتها وخصوصياتها عليها السلام، والتي تحوي بعض معارفها الخاصة، وهو مازال مكنوناً ومحفوظاً عند أحفادها الأئمّة المعصومين عليهم السلام وربما أشار أبو عبد الله الصادق عليه السلام إلى هذا المعنى بقوله: وليخرجوا مصحف فاطمة فإن فيه وصيّة فاطمة عليها السلام [٨].

إذ ورد عن أبي عبدالله الصادق عليه السلام: ... أن الله تبارك وتعالى لما قبض نبيّه صلى الله عليه وآله دخل على فاطمة من وفاته من الحزن مالا يعلمه إلا الله عز وجل، فأرسل إليها ملكاً يسلي عنها غمها ويحدثها، فَشَكَت ذلك إلى أمير المؤمنين عليه السلام، فقال لها: إذا أحسست بذلك وسمعت الصوت قولي لي، فأعلمته فجعل يكتب كل ما سمع حتى أثبت من ذلك مصحفاً، قال: ثم قال: أما أنه ليس من الحلال والحرام، ولكن فيه علم ما يكون[٩]، وغيرها من الروايات .

ومن هنا يُعدّ مصحف فاطمة من جملة مواريث الأئمّة عليهم السلام ومختصاتهم، ورثوه عنها عليها السلام كابراً عن كابر، حتى وصل إلى قائم آل محمّد عجل الله فرجه الشريف، وفي ضِمنِهِ تمام وصيّة فاطمة عليها السلام، محفوظة مع جملة مواريث الأنبياء والأوصياء السابقين.

على أن اغلب الظن أَنَّ وصيّتها الكلامية المباشرة إلى أمير المؤمنين عليه السلام، ما هي إلا تأكيد لما أوصت به في رقعتها المدونة، التي كانت مودعة عند حفيدها الإمام الباقر عليه السلام، ونقل منها بعض فقراتها؛ وذلك عملاً بهدي أبيها رسول الله صلى الله عليه وآله، وتطبيقا لقوله الشريف: ما ينبغي لامرئٍ مُسلمٍ أن يبيت ليلة إلا ووصيته تحت رأسه[١٠]. وقد وجد أمير المؤمنين عليّ عليه السلام رقعة فيها وصيّتها تحت رأسها عليها السلام عند وفاتها.

فما صدر عنها من الوصيّة الكلامية عند دنو أجلها عليها السلام، تأكيداً على

وصيّتها المكتوبة، وللإعلام على إثبات وصيّتها استحباباً، وربما دفعا للطعن فيما كتبته في رقعتها، وربما لمزيد الاهتمام ببعض فقرات وصيّتها أكدت عليها بالكلام المباشر؛ لإظهار شدة إنكارها وغضبها على من غصب حقّها وآذاها، وعدم رضاها عنهم في أهم فقرات وصيّتها المشهورة.

فجاءت هذه الفقرات دعماً وتأكيداً لموقفها، وتثبيتا لجوابها للشيخيّن عندما دخلا عليها قبل وفاتها، إذ قال عمر لأبي بكر: انطلق بنا إلى فاطمة فإنا قد أغضبناها!؟، فانطلقا جميعا، فاستأذنا على فاطمة فلم تأذن لهما! فأتيا علياً فكلماه، فادخلهما عليها، فلما قعدا عندها حولت وجهها إلى الحائط، فسلما عليها فلم تردعليها السلام !؟

فتكلم أبو بكر فقال: يا حبيبة رسول الله، والله إن قرابة رسول الله أحب إلي من قرابتي، وإنك لأحب إلي من عائشة ابنتي، ووددت يوم مات أبوك إني متّ ولا أبقى بعده، افترِني أعرفُكِ وأعرف فضلكِ وشرفكِ وأمنعكِ حقّكِ وميراثكِ من رسول الله، إلا إني سمعت أباك رسول الله يقول: (لا نورث، ما تركناه فهو صدقة!!).

فقالت: أرأيتما إن حدثتكما حديثا عن رسول الله صلى الله عليه وآله تعرفانه وتفعلان به؟

قالا: نعم.

فقالت: نشدتكما الله، ألم تسمعا رسول الله يقول: (رضا فاطمة من رضاي، وسخطّ فاطمة من سخطّي، فمن أحب فاطمة ابنتي فقد أحبني، ومن أرضى فاطمة فقد أرضاني، ومن اسخطّ فاطمة فقد أسخطّني).

قالا: بلى، سمعنا من رسول الله.

قالت: فإني أُشهد الله وملائكته إنكما أسخطّتُماني وما أرضيتُماني، ولئن

لقيت النبّي لأشكونكما إليه.

فقال أبو بكر: أنا عائذ بالله تعالى من سخطّه، ومن سخطّك يا فاطمة.

ثم انتحب أبو بكر يبكي حتى كادت نفسه أن تزهق، وهي تقول: والله لأدعونَ عليك في كل صلاة أُصَلِّيها[١١].

وقد روى البُخاري، ومُسلم في (صحيحيهما): فَوَجَدت[١٢] فاطمة على أبي بكر في ذلك - أي في غصبها نحلتها وميراثها- فهجرته فلم تكلمه حتى توفيت[١٣].

أما ما ورد من الروايات والأخبار فلا يعدو كَونَهُ نقلاً لأجزاء من وصيّتها المكتوبة المتوارثة بين أبنائها المعصومين عليهم السلام، حيث تُعدّ من جملة مواريثهم عليهم السلام، ونقلت روائياً كابراً عن كابر من أبناءها المعصومين عليهم السلام.

على أن الاختلاف اليسير في بعض فقرات الوصيّة، وتكراره، يرجع ظاهرا إلى نقل أجزاء متقطعة منها دون روايتها بصورة كاملة.

كما أن روايتها بالمعنى أحياناً يسبب اختلاف بعض الفاظها وترتيب فقراتها، كل ذلك مع بقاء وحدة المضمون عموماً.

لكنَّ العُرف الاجتماعي يركز دوما على الأقوال المسموعة، والحوارات المباشرة، لاسيما اذا قيلت في الأوقات الحرجة، كالنطق بها قبيل الوفاة مثلا، ومن شخصية لها ثقلها وتأثيرها العالي في المجتمع كالزهراء عليها السلام، ولها المقام الرفيع بين الناس، أكبر من الاهتمام والنظر لما هو مكتوب، أو بتتبع ما هو مدون، على أسطر الكتب والقرطاس عادة، إلا لمن يعنيه تتبع ذلك ويهتم لأمره؛ لأن هذا يحتاج إلى مزيد استقصاء وعناية، وبحث وسؤال، ولا يمكن أن يحصل هذا الأمر بسهولة لعموم الناس.

وحيث أن الوضع السياسي والاجتماعي، فضلا عن الديني يومئذ، كان ملتهباً لما حدث من الانقلاب على خطّ الرسالة السماوية، ولما يدفن رسول الله صلى الله عليه وآله بعدُ، وعزل الخليفة الشرعي وإقصاءه عن الحكم، في مؤتمر السقيفة القرشي، ليتحقّق قوله عز وجل ﴿**وَمَا محمّد إلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِيْن مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ**﴾[١٤].

وما جرى بعد ذلك، من ظلم وأذى، وغصب لحقوق بَضعَةِ الرسول محمّد صلى الله عليه وآله فاطمة الزهراء عليها السلام، التي يرضا الله لرضاها ويغضب لغضبها.

وما أعقب ذلك، من رد الزهراء عليها السلام في خطبتيها الشهيرتين - إحداهما: في مسجد رسول الله أمام حشد المهاجرين والأنصار ورؤوس الحكم. والثانية: في دارها أمام نساء المهاجرين والأنصار عندما عِدنها في مرضها عليها السلام. وهاتان الخطّبتان رواهما مجموعة من الكتاب والمؤرخين من الفريقين بأسانيدهم منهم: الجوهري في كتابه (السقيفة)، وابن أبي الحديد في (شرح نهج البلاغة)، وابن شهرآشوب في (كشف الغمة)، والطبرسي في (الاِحتجاج) وغيرها من المصادر- على الحكم القائم ورئيسه، فكشفت زيفهم، وفضحت أكاذيبهم، وقارعتهم بالحجّة الشـرعية، والدليل القرآني، والتحليل المنطقي.

وشاءت السماء أن ترعى هذه الصَّـرخة المدويّة لإثبات الحقّ، وفضح الباطل، وأن تبقى تصّدح على مرّ الأجيال إلى ما شاء الله تعالى.

ومن هنا، تجد أن أغلب فقرات هذه الوصيّة انتشاراً وشيوعاً ونقلاً، عرض ظلامتها عليها السلام وسخطها على مَنْ ظلمها، إذ لم يتسن حتى لأبواق أعدائها إخفاءها والتستر عليها، حيث روى ذلك عموم كتب المسلمين.

إضافة إلى حديث نعشها الطاهر، الذي يصور عمق عفتها وحشمتها، وشدة اهتمامها ورعايتها لأبناء رسول الله صلى الله عليه وآله وريحانتيه، ولديها الحسن والحسين عليهما السلام، ومزيد عنايتها وحرصها على صلة رحمها والتواصل مع أقربائها، والحفاظ على أداء أماناتها وأن توضع في محلها، ثم الاهتمام بتفريق صدقاتها وعطاياها، وغير ذلك من الفقرات الأخرى التي يستلّهم منها الإنسان المسلم الدروس والعبرّ، فضلاً عن ذلك، ترى فيها من أدبها وفضلها وظرفها عليها السلام.

وقد اخترنا ثلاثَ صُورٍ، نقلت وصيّتها المباركة، نرى فيها الاستيعاب لأغلب فقراتها المنتشـرة، والمروية عموماً، بحسب تتبعي واستقصائي.

وأرجو من الله أن يهيئ لهذه الوصيّة المباركة بعض الباحثين حيث يسعه الوقت وتسعفه الظروف، لكي يَتَوَفَّر على جمعِ متفرقاتها، وتقريب شارداتها وارداتها، وتهذيبها تدقيقاً وتحقّيقاً، حيث تكون مورداً للبحث والدراسة والتحليل، لجميع نصوصها وفقراتها؛ إذ فيها عطاء جمّ، وعلم وأدب، وخلق وظرف.

كما أنها تُعدّ من أهم الوثائق التاريخية لاستيحاء ما جرى في صدر الإسلام، التي تثير التساؤُلات والشكوك، بإمضاء من بنت الرسالة فاطمة الزهراء عليها السلام.

وما قمنا به ما هو إلا إشارة أو خطوة نحو فكر هذه السيّدة العظيمة وإحياء تراثها عليها السلام.

ونسأل الله عز وجل أن يتقبله منا، وأن يجعلنا ممن ترضى عنهم سيدة نساء العالمين سلام الله عليها؛ لأن رضا الله رضاها، واسأله أن يهيئ لهذه الخطّوة المتواضعة مَن يتبعها بخطوات أكثر وأكبر، ومَنْ يحيط بهذه الوصيّة المباركة إحاطة أشمل وأوسع؛ لبيان مكنوناتها بالبحث والشـرح والتعليق، تضمّ بين جوانبها معطيات هذه الوصيّة المباركة وأهدافها، وما يستحصل منها من دروس.

- **الصورة الأولى:**

روي عن أمير المؤمنين عليّ عليه السلام أنه وجد عند رأسها لما توفيت عليها السلام رقعة جاء فيها:

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما أوصت به فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله أوصت: وهي تشهد أن لا اله إلا الله، وأن محمّداً عبده ورسوله، وأن الجنة والنار حقّ، وأن الساعة آتية لاريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور.

يا عليّ أنا فاطمة بنت محمّد، زوجني الله منك؛ لأكون لك في الدنيا والآخرة، أنت أولى بي من غيري، حنطني وغسلني وكفني، وصل عليَّ، وادفني بالليل، ولا تُعلم أحداً، واستودعك الله، وأقرأ على ولدي السلام إلى يوم القيامة[١٥].

- **الصورة الثانية :**

ما روي عن الإمام الباقر عليه السلام أنّه أخرج سفطاً أو حقّاً، وأخرج منه كتاباً فيه وصيّة جدته الزهراء عليها السلام، ومما جاء فيها:

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما أوصت به فاطمة بنت محمّد رسول الله صلى الله عليه وآله، أوصت بحوائطها السبعة: (العواف، والدلال، والبرقة، والميثب، والحسنى، والصافية، ومال أم إبراهيم (مشربة أم إبراهيم خ)، إلى عليّ بن أبي طالب عليه السلام، فإن مضى فإلى الحسن، فإن مضى فإلى الحسين، فإن مضى فإلى الأكبر (الأكابر خ) (من ولده خ) من ولدي، (دون ولدك خ)، شهد الله على ذلك، والمقداد بن الأسود، والزبير بن العوام، وكتب عليّ بن أبي طالب[١٦].

وهذه الحـوائـط (البساتين) كانت لرجل يهودي من أحبار بني النضير يدعى مخيرق، أسلم وقتل يوم أُحد وأوصى ببساتينه السبع إلى النبي صلى الله عليه وآله فأوقفها النبي صلى الله عليه وآله سنة سبع من الهجرة على خصوص فاطمة عليها السلام، وكان يأخذ منها لأضيافه وحوائجه[17].

وفي رواية أخرى عن الإمام الباقر عليه السلام أيضاً قال: إن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله كتبت هذا الكتاب:

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما كتبت فاطمة بنت محمّد صلى الله عليه وآله في مالها، إن حدث بها حادث، تصدقت بثمانين أوقيّة، تنفق عنها من ثمارها التي لها، كل عام في رجب، بعد نفقة السقي ونفقة العمل، وأنها أنفقت أثمارها العام، وأثمارها القمح عاماً قابلاً في أوان غلتها، وأنها أمرت لنساء محمّد أبيها صلى الله عليه وآله خمساً وأربعين أوقيّة، وأمرت لفقراء بني هاشم وبني عبد المطلب[18] بخمسين أوقيّة، وكتبت في أصل مالها في المدينة، أن علياً عليه السلام سألها أن توليه مالها، فيجمع مالها إلى مال رسول الله صلى الله عليه وآله فلا تفرق، ويليه مادام حياً، فإذا حدث به حادث دفعه إلى ابني الحسن والحسين فليلياته، وإني دفعت إلى عليّ بن أبي طالب على إني احللّه فيه، فيدفع مالي، ومال محمّد صلى الله عليه وآله، ولا يفرق منه شيئا، يقضـي عني من أثمار المال ما أمرت به، وما تصدقت به، فاذا قضـى الله صدقتها وما أمرت به، فالأمر بيد الله تعالى، وبيد عليّ عليه السلام، يتصدق وينفق حيث شاء، لا حرج عليه، فإذا حدث به حدث، دفعه إلى ابني الحسن والحسين، المال جميعاً، مالي ومال محمّد صلى الله عليه وآله، ينفقان ويتصدقان حيث شاءا، ولا حرج عليهما.

وإن لابنة جندب - يعني بنت أبي ذر الغفاري- التابوت الأصغر (الأصفر)،

ويعطيها في المال ما كان، ونعليّ الأدميين، والنمط، والحبّ والسـرير، والزربية، والقطيفتين، وإن حدث بأحد ممن أوصيت له قبل أن يدفع إليه، فإنه ينفق عنه في الفقراء والمساكين، وأن الأستار لا يستر بها امرأة إلا إحدى ابنتي، غير أن علياً يستتر بهن إن شاء مالم ينكح.

وإن هذا ما كتبت فاطمة عليها السلام في مالها، وقضت فيه، والله شهيد، والمقداد بن الأسود، والزبير بن العوام، وعليّ بن أبي طالب كتبها، وليس على عليّ حرج فيما فعل من معروف(١٩).

هذا وقد ورد في بعض الأخبار أنها عليها السلام أوصت لأزواج النبي صلى الله عليه وآله لكل واحدة منهن باثنتي عشـرة أوقيّة، ولنساء بني هاشم مثل ذلك، وأوصت لأمامة- بنت أبي العاص بن الربيع- بنت أختها زينب بشـيء(٢٠).

والأوقيّة تُعادِل أربعين درهماً، أي ما يقارب (١٨٠٠) درهم، ومات رسول الله صلى الله عليه وآله عن تسع نساء، فيكون نصيب كل واحدة (٢٠٠) درهم مما أوصت لهم عليها السلام.

وفي رواية: أنها عليها السلام تصدقت بمالها على بني هاشم وبني عبد المطلب(٢١).

وقد روي عن ولدها الصادق جعفر بن محمد عن أبي جعفر الباقر عليهما السلام، قال: من لم يوص عند موته لذوي قرابته ممن لا يرثه فقد ختم عمله بمعصيته(٢٢).

- الصورة الثالثة:

فيما روي أنها لما نعيت إليها نفسها دعت أم ايمن وأسماء بنت عميس، ووجهت خلف عليّ عليه السلام فأحضـرته، فقالت عليها السلام: يا ابن عم أنه قد نعيت إليّ نفسـي، وأنني لا أرى ما بي إلا إنني لاحقة بأبي ساعة بعد ساعة، وأنا أوصيك بأشياء في قلبي؟

قال لها عليّ عليه السلام: أوصيني بما أحبـبت يا بنت رسـول الله صلى الله عليه وآله.

فجلس عند رأسها، وأخرج من كان في البـيت، ثم قالت: يا ابن عم ما عهدتني كاذبة، ولا خائنة، ولا خالفتك منذ عاشرتني.

فقال عليه السلام: معاذ الله أنت أعلم، وأبر وأتقى، وأكرم وأشد خوفاً مـن الله، من أن أوبخك بمخالفتي، وقد عزّ عليّ مفارقتك وفقدك، إلا أنّه أمر لابد منه، والله لقد جددت عليّ مصيبة رسول الله صلى الله عليه وآله، وقد عظمت وفاتك وفقدك، فإنا لله وإنا إليه راجعون، من مصيبة ما أفجعها وآلمها، وأمضها، وأحزنها، هذه والله مصيبة لا عزاء عنها، ورزية لا خلف لها.

ثم بكيا جميعاً ساعة، وأخذ عليّ رأسها وضمّها إلى صدره، ثم قال: أوصيني بما شئت فإنك تجدينني وفياً، أمضي كل ما أمرتني به، وأختار أمرك على أمري!!

ثم قالت: جزاك الله عني خير الجزاء يا ابن عم، أوصيك:

أولاً: أن تتزوج بعدي بإبنة أختي أمامة، فإنها تكون لولدي مثلي، فإن الرجال لابد لهم من النساء – فمن أجل ذلك قال أمير المؤمنين عليه السلام أربعة ليس إلى فراقهن سبيل!؟، وعدّ منهن أمامة، وقال: أوصت بها فاطمة عليها السلام.

ثم قالت: أوصيك يا ابن عم أن تتخذ ليّ نعشاً، فقد رأيت الملائكة صوروا صورته، فقال: صفيه لي، فوصفته فاتخذه لها.

ثم قالت: أوصيك أن لا يشهد أحد جنازتي من هؤلاء الذين ظلموني، (وأخذوا حقّي، فإنهم عدوي، وعدو رسول الله صلى الله عليه وآله)، ولا تترك أن يصلي عليّ أحد منهم، (ولا من أتباعهم خ)، وادفني في الليل إذا هدأت العيون ونامت الأبصار، ثم توفيت عليها السلام (٢٣).

وفي رواية: أوصته أن يغسلها في قميصها، ولا يكشفه عنها؛ لأنها كانت قد

اغتسلت قبل وفاتها بيسير، وتنظفت، ولبست ثيابها الجدد، وأن تدفن ليلا، ويعفى قبرها(٢٤).

هذا ما توفر من ظاهر وصيتها عليها السلام، وقد تناثر هنا وهناك، وما زال مكنونها مودع عند ولدها قائم آل محمد الحجّة بن الحسن العسكري عجل الله تعالى فرجه الشـريف مع جملة مواريث الأنبياء والأوصياء.

*** هوامش البحث ***

(١) سورة النجم ٣، ٤، ٥ .

(٢)سورة المائدة ١٠٦.

(٣)وسائل الشيعة كتاب الوصايا باب وجوب الوصيّة ..ح١.

(٤)وسائل الشيعة كتاب الوصايا باب وجوب الوصيّة .. ح٦.

(٥)وسائل الشيعة كتاب الوصايا باب وجوب الوصيّة ..ح٧.

(٦)وسائل الشيعة كتاب الوصايا باب وجوب الوصيّة ..ح٨ .

(٧)كمال الدين للصدوق ص٢٣٥ ، مسند الإمام احمد ١٧/٣ ، كنز العمال للمتقي الهندي ١٨٦/١، ذخائر العقبى للمحب الطبري ص١٦.

(٨)الكافي - الشيخ الكليني ٢٤١/١ .

(٩)بحار الأنوار للمجلسي ٧٩/٤٣.

(١٠)وسائل الشيعة كتاب الوصايا باب وجوب الوصيّة ..ح٨.

(١١)الإمامة والسياسة لابن قتيبة ١٩/١ ، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٨٧/٤ ، كتاب سُـليم بن قيس الهلالي ص٢٥٤.

(١٢)من الوجد أي الغضب .

(١٣)صحيح البخاري ٢٠٩/٤ ، ٨٣/٥ ، صحيح مسلم ١٥٤/٥.

(١٤)سورة آل عمران ١٤٤.

(١٥)بحار الأنوار ٢٧٨/٣٤ ، العوالم للبحراني ٢٧٨/٦.

(١٦)الكافي ٤٨/٧ ، الأصول الستة عشر لعدة باحثين ص٢٣ ، بحار الأنوار ٢٣٥/٤٣.

(١٧) تأريخ المدينة للسمهودي ٢٦٣/٢.

(١٨) الظاهر: بني المطلب وهو عم عبد المطلب وأخو هاشم لا عبد المطلب كما في الرواية.

(١٩)مستدرك وسائل الشيعة للشيخ النوري ٥٤/١٤.

(٢٠)دلائل الإمامة للطبري ص١٣٠.

(٢١)وسائل الشيعة كتاب الوقف والصدقات باب ١ /ح٦. والظاهر: بني المطلب وهو عم عبد المطلب وأخو هاشم لا عبد المطلب كما في الرواية.

(٢٢) وسائل الشيعة كتاب الوصايا باب ٤/ح٣.

(٢٣) روضة الواعظين للنيسابوري ص١٥١.

(٢٤) أمالي المفيد ص٢٨١ ، أمالي الطوسي ١٠٧/١.

* المصادر والمراجع *

١. القرآن الكريم كلام رب العالمين.
٢. الأصول الستة عشر- عدة محدثين، تحقيق ضياء الدين المحمودي بمساعدة نعمة الله الجليلي، مهدي غلام علي، الطبعة الأولى/ ١٤٢٣ - ١٣٨١ش، المطبعة دار الحديث، نشر دار الحديث للطباعة والنشر.
٣. الأمالي - الشيخ الطوسي، تحقيق قسم الدراسات الإسلامية - مؤسسة البعثة، الطبعة الأولى/١٤١٤هـ، نشر دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع - قم.
٤. الأمالي- الشيخ المفيد، تحقيق حسين الأستاد ولي ، علي أكبر الغفاري، الطبعة الثانية/ ١٤١٤ -

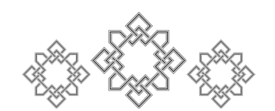
١٩٩٣م، نشر دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت - لبنان.
٥. الإمامة والسياسة - ابن قتيبة، تحقيق علي شيري، الطبعة الأولى/ ١٤١٣ - ١٣٧١ ش، المطبعة امير- قم، انتشارات شريف الرضي- قم المشرفة.
٦. بحار الأنوار - العلامة المجلسي، تحقيق محمد الباقر البهبودي، الطبعة الثانية المصححة/ ١٤٠٣ - ١٩٨٣م، نشر مؤسسة الوفاء - بيروت - لبنان.
٧. تاريخ المدينة- ابن شبة النميري، تحقيق فهيم محمد شلتوت/ ١٤١٠ - ١٣٦٨ ش، المطبعة القدس – قم، نشر دار الفكر - قم – إيران.
٨. دلائل الإمامة- ابن جرير الطبري الشيعي، تحقيق قسم الدراسات الإسلامية - مؤسسة البعثة - قم، الطبعة الأولى/ ١٤١٣هـ، نشر مركز الطباعة والنشر في مؤسسة البعثة.
٩. ذخائر العقبى – محب الدين الطبري/ ١٣٥٦هـ ، نشر مكتبة القدسي لصاحبها حسام الدين القدسي- القاهرة.
١٠. روضة الواعظين- الفتال النيسابوري، تقديم السيد محمد مهدي السيد حسن الخرسان، منشورات الشريف الرضي- قم .
١١. شرح نهج البلاغة - ابن أبي الحديد، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية - عيسى البابي الحلبي وشركاه.
١٢. صحيح البخاري- البخاري/ ١٤٠١ - ١٩٨١م، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
١٣. صحيح مسلم- مسلم النيسابوري، دار الفكر - بيروت - لبنان.
١٤. العوالم – الشيخ عبد الله البحراني، تحقيق مدرسة الإمام المهدي عجل الله فرجه، الطبعة الأولى المحققة/ ١٤٠٧ - ١٣٦٥ ش، المطبعة أمير – قم، نشر مدرسة الإمام المهدي عجل الله فرجه بالحوزة العلمية - قم المقدسة.
١٥. الكافي - الشيخ الكليني، تصحيح وتعليق علي أكبر الغفاري، الطبعة الخامسة/ ١٣٦٣ ش، المطبعة حيدري، نشر دار الكتب الإسلامية - طهران.
١٦. كتاب سليم بن قيس الهلالي، تحقيق محمد باقر الأنصاري الزنجاني، الطبعة الأولى/ ١٤٢٢- ١٣٨٠ش، المطبعة نگارش، نشر دليل ما- قم المشرفة.
١٧. كمال الدين وتمام النعمة - الشيخ الصدوق، تصحيح وتعليق علي أكبر الغفاري، محرم الحرام ١٤٠٥ - ١٣٦٣ ش، نشر مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.
١٨. كنز العمال- المتقي الهندي، ضبط وتفسير الشيخ بكري حياني / تصحيح وفهرسة الشيخ

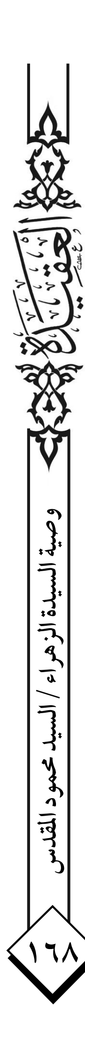
صفوة السقا/ ١٤٠٩ - ١٩٨٩م، نشر مؤسسة الرسالة - بيروت - لبنان.

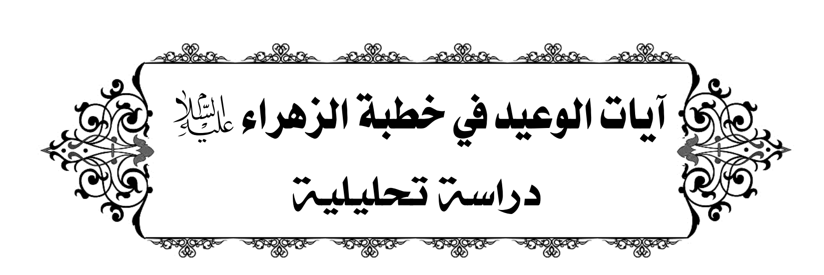
١٩. مستدرك الوسائل - المحدث النوري، تحقيق مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، الطبعة الأولى المحققة/ ١٤٠٨ - ١٩٨٧م، نشر مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث - بيروت - لبنان.

٢٠. مسند احمد- أحمد ابن حنبل، دار صادر - بيروت - لبنان .

٢١. وسائل الشيعة- الحر العاملي، تحقيق مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، الطبعة الثانية/ ١٤١٤هـ، المطبعة مهر – قم، نشر مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث بقم المشرفة.







آيات الوعيد في خطبة الزهراء عليها السلام
دراسة تحليلية

أ.م.د. عدي الحجار

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَا مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾

سورة الأنفال:٤٢

المقدمة

الحمد لله حق حمده، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين محمد الصادق الأمين، وعلى أهل بيته الطاهرين عدل كتاب الله وأعلام دينه وخزان علمه وتراجمة وحيه..

وبعد.. فإن القرآن الكريم هو المصدر الأول للتشريع الإسلامي، والمعين الصافي للثقافة الإسلامية، التي اختارها الله تعالى لسمو الإنسان وسعادته في النشأتين، وقد تعاهد أهل البيت عليهم السلام وفقاً لتكليفهم الإلهي لقيادة الأمة؛ القرآن الكريم تلاوةً وحفظاً وتفسيراً يكشف ما فيه من مراد الله تعالى، وصيانةً له عن أيدي العابثين وانتحال الجهلة والمبطلين، وعندما تُبعَث الأمم على يد عظمائها لتكون علامةً فارقةً وعنواناً بارزاً في قاموس الوجود، تصبح معياراً حاكماً على

صحة التوجه الإنساني والعقائدي في مسيرة ذلك التوجه والنهوض، ولا بد من وجود راعٍ يعمل على صيانة ذلك النهوض والحؤول دون انحرافه كلما اقتضت الحاجة والضرورة وهو ما ينطبق على الأمة الاسلامية التي نشأت ونهضت بفعل ما بذله قائدها وراعي نهضتها النبي محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ من جهد في تغيير واقع ذلك المجتمع الذي كان عنواناً لعدم الالتزام بقاعدة أو قانون حتى قامت تلك الأمة على أصولها بعد أن رسخ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فيها بما كان يرفده به الوحي السماوي من أحكام ، حتى استقام الأمر وكمل الدين وتمت النعمة بأن جعل الله لهذه الشريعة وهذا الدين من ارتضاهم ليكونوا حماةً لشرعته وأمناءَ على وحيه، وكان واجب الحماية هذا منوطاً بمن أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا فكانوا يعملون جاهدين في هذا الأمر .

ومن هنا نجد أن فاطمة الزهراء عَلَيْهَا السَّلَامُ عندما احتجت على من عطل أحكام الله في باب من أبواب الفقه نجدها قد خرجت من دائرة شخصنة القضية الى أفق أرحب وأوسع ألا وهو أفق الأمة والرسالة فلم تجعل همها في نفسها بل جعلت تنفث همها حسرات على ما آلت إليه حال الأمة ولما يزل العهد قريب برسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فأشارت إلى مواطن الانحراف والخلل الذي سيقت اليه الأمة .

فيجد المتتبع لخطبة الزهراء البتول عَلَيْهَا السَّلَامُ من النظرة الأولى أن المفردات والنصوص القرآنية المباركة كانت تمثل قدراً كبيراً من البناء النصّي والموضوعي للخطبة على مستوى التضمين أو الاستشهاد بتلك المفردات والنصوص لذا تكون عباراتها قوية الوقع واضحة الدلالة سهلة الفهم لما يكتنفها من قرائن مقالية مبينة للمراد مرشدة للمخاطب إلى حقيقة المطلوب، وقد وظّفت سلام الله عليها الموروث التاريخي لقصص الأنبياء في باب الإرث بشكل لا نظير له لتعطي صورة واضحة عن حقها المهتضم لا لبس فيها ولا غموض لكي لا يبقى عذر لمعتذر.

لذا اقتضت طبيعة البحث أن يشتمل على:

مقدمة وبيان صلة فاطمة عليها السلام والقرآن ونظرة في آيات الوعيد وشواهد الآيات في خطبة الزهراء عليها السلام والهوامش وثبت المصادر.

فاطمة عليها السلام والقرآن:

لا ينفك الكشف والبيان للقرآن الكريم عن العترة الطاهرة فهم ورثة الكتاب وحملة علم الرسول، تأسيساً على قوله صلى الله عليه وآله: "إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا كتاب الله عز وجل حبل ممدود، وعترتي أهل بيتي، ولن يفترقا حتى يردا علي الحوض"[1]. وذلك يثبت أن القرآن الكريم يقترن معه من العترة من يعرف التنزيل والتأويل علماً يقينا، يُخبر عن مراد الله عز وجل كما كان رسول الله صلى الله عليه وآله يخبر عن المراد، ولا يكون معرفته بتأويل الكتاب استنباطا ولا استخراجا كما لم تكن معرفة الرسول صلى الله عليه وآله بذلك استخراجا ولا استنباطا ولا استدلالا ولا على ما تجوز عليه اللغة وتجري عليه المخاطبة، بل يخبر عن مراد الله ويبين عن الله بيانا تقوم بقوله الحجة على الناس[2]، فتفسير أهل البيت عليهم السلام ومنهم فاطمة الزهراء عليها السلام للقرآن الكريم وظيفة شرعية تتكفل بالبيان والتفصيل، فموضعها منه كموضع النبي صلى الله عليه وآله من القرآن الكريم موضع بلاغ وبيان، فهي من أبواب علمه، ومستودع حكمته ولها أهلية استنطاق القرآن الكريم وبيان مجمله وكشف دلالاته، وتوضيح أحكامه، والإخبار عن عجائبه، وبيان فضائله، والإرشاد إلى العبر في قصصه، ودليلنا على ذلك أن النبي صلى الله عليه وآله قام بالناس خطيباً فقال: (وانى تارك فيكم الثقلين كتاب الله عز وجل وعترتي كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي وان اللطيف الخبير أخبرني انهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض فانظروني بم تخلفوني فيهما)[3] .

ومن خلال التتبع الدلالي لألفاظ الحديث الشريف بما تمليه ضرورات اللغة وقواعدها، وباجتناب القبليات الذهنية ،والمرتكزات الاعتقادية، وبإعمال

الموضوعية، والتجرد عن الرفض أو القبول المسبق ولفك الجدلية بين المثبتين والنافين لمداليل الحديث الشريف نعمد إلى التحليل اللغوي للنص مشفوعاً بالمتفقات العقلية التي لا تتعارض مع ضرورة من ضرورات الدين وصولاً إلى المراد من الحديث الشريف الذي يؤسس وبشكل لايقبل الشك أو الاشتباه إلى التلازم التكافلي والتكافؤ بين الكتاب وأحكامه ومراميه وبين العترة المؤهلة للدلالة على تلك الأحكام لانطباق اللفظ في الحديث الشريف في مفردتي (الكتاب والعترة) على تمام معناهما، واللفظ الذي تكون هذه صفته لا يرقى اليه الشك في تعدد دلالته فوجب أن الكتاب لا يزال معه من العترة من يعرف التنزيل والتأويل علما يقينا يخبر عن مراد الله عز وجل كما كان رسول الله صَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ يخبر عن المراد، كذلك يجب أن يكون معرفة عترة الرسول صَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ بالكتاب على يقين ومعرفة وبصيرة، قال الله عز وجل في صفة رسول الله صَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ

﴿ **قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ** ﴾(٤) فأتباعه من أهله وذريته وعترته ومنهم فاطمة عَلَيْهَاالسَّلَامُ هم الذين يخبرون عن الله عز وجل مراده من كتابه على يقين ومعرفة وبصيرة، ومتى لم يكن المخبر عن الله عز وجل مراده ظاهرا مكشوفا فإنه يجب علينا أن نعتقد أن الكتاب لا يخلو من مقرون به من عترة الرسول صَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ يعرف التأويل والتنزيل إذ الحديث يوجب ذلك. دل على أن الحجة من بعده ليس من العجم ولا من سائر قبايل العرب بل من عترته أهل بيته، ثم قرن قوله بما دل به على مراده فقال :" ألا وإنّهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض " فأعلمنا أن الحجة من عترته لا تفارق الكتاب، و إنا متى تمسكنا بمن لا يفارق الكتاب لن نضل، ومن لا يفارق الكتاب ممن فرض على الأمة أن يتمسكوا به، ويجب في العقول أن يكون عالما بالكتاب مأمونا عليه يعلم ناسخه من منسوخه، وخاصه من عامه، وحتمه من ندبه، ومحكمه من متشابهه ليضع كل شيء من ذلك موضعه الذي وضعه الله عز وجل.

ويجب أن يكون جامعا لعلم الدين كله ليمكن التمسك به والاخذ بقوله فيما اختلفت فيه الأمة وتنازعته من تأويل الكتاب والسنة، وبهذا الحجاج المنطقي الذي اتخذ من المقدمات العقلية واللوازم الشرعية في ما تفرضه صحة الاعتقاد يمكن النزول للمختلفين على دلالة حديث الثقلين على أن المعنيين بهذا الحديث هم العترة الطاهرة من آل البيت عليهم السلام الذين صرح الكتاب العزيز بإذهاب الرجس عنهم بقوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا**﴾(٥)، ولما كانت فاطمة عليها السلام من آل البيت لما تواتر من أخبار السنة القولية والفعلية للنبي صلى الله عليه وآله في بيانه للمراد من قوله تعالى: " أَهْلَ الْبَيْتِ " والتي تعينت أشخاصهم بعلي وفاطمة والحسن والحسين كما عين ذلك أهل الحديث من العامة قبل غيرهم(٦).

نظرة في آيات الوعيد:

إن طاعة العبد لمولاه إنما تكون طلباً لثوابه، والنأي عن شديد ما توعد به العصاة لأوامره، فهو الذي لا يفوته فوت، ولا يؤمن له عقاب، قرن الوعد بالوعيد ترغيباً في جزيل ثوابه وتحذيراً من عظيم عقابه، وخوّف من يشط عن جادة الصواب بالنار، وبعث للناس رسوله مبشراً ونذيراً، فدعا إلى طاعة الله في ما أوجب استنقاذاً للعباد وامتحاناً، وهدم دعائم الشرك والطغيان، وأمر بطاعة الرحمن، ونهى عن متابعة الشيطان، وقمع عبدة الطاغوت والأوثان، وأوجب به الحجة على الجاحدين، وأيقظ بدعوته قلوب الغافلين، حتى استقام عمود الإسلام وارتفع، ووضحت سبل الهدى واستبانت لمن اتبع.

ففي كتاب الله تعالى من آيات الوعيد والتحذير كثير جم، ومخرجها الوعظ لمن يجعل القرآن هادياً له والزجر لمن اتخذ الهه هواه وجعل طاعة الشيطان عبادة له(٧).

وإن آيات الوعيد لها وقع في قلوب الخائفين فتراهم إذا مروا بها خر أحدهم مغشيا عليه ومنهم من مات عند سماعها فمثل هذه الأحوال تخرج من يتلبس بها عن أن يكون حاكيا في كلامه لها إنما تكون حالة خوف من الوعيد، شهودا قلبيا حقيقيا، يخشع له القلب، ويرسخ به الإيمان، وتتحسس به المشاعر، ويكتمل ليصبح حياة في الوجدان، ويقظة في الضمير، وليكون موقفا، وحركة وسلوكا، وسجية.

فهذا حماد بن حبيب العطار الكوفي يصف حال الإمام زين العابدين عليه السلام عند تلاوته القرآن الكريم ومروره بآيات الوعد والوعيد قال: ثم دخل في الصلاة، فلما أن رأيته قد هدأت أعضاؤه وسكنت حركاته، قمت إلى الموضع الذي تهيأ فيه للصلاة، فإذا بعين ماء تفيض بماء أبيض، فتهيأت للصلاة، ثم قمت خلفه، فإذا أنا بمحراب كأنه مثل في ذلك الوقت، فرأيته كلما مر بآية فيها ذكر الوعد والوعيد، يرددها بأشجان الحنين، فلما أن تقشع الظلام، وثب قائما وهو يقول: يا من قصده الطالبون فأصابوه مرشدا، وأمه الخائفون فوجدوه متفضلا، ولجأ إليه العابدون فوجدوه نوالاً. متى راحة من نصب لغيرك بدنه!؟ ومتى فرح من قصد سواك بنيته!؟ إلهي قد تقشع الظلام، ولم أقض من خدمتك وطرا، ولا من حياض مناجاتك صدرا، صل على محمد وآله، وافعل بي أولى الأمرين بك يا أرحم الراحمين. فخفت أن يفوتني شخصه، وأن يخفى علي أثره، فتعلقت به، فقلت له: بالذي أسقط عنك ملال التعب، ومنحك شدة شوق لذيذ الرغب، إلا ألحقتني منك جناح رحمة، وكنف رقة، فإني ضال، وبغيتي كلما صنعت، ومناي كلما نطقت. فقال: لو صدق توكلك ما كنت ضالا، ولكن اتبعني واقف أثري. فلما أن صار بجنب الشجرة، أخذ بيدي، فخيل إلي أن الأرض تمد من تحت قدمي. فلما انفجر عمود الصبح، قال لي: أبشر فهذه مكة. قال: فسمعت الضجة، ورأيت المحجة، فقلت: بالذي ترجوه يوم الآزفة ويوم الفاقة، من أنت ؟ فقال لي: أما إذا أقسمت، فأنا علي بن الحسين بن

علي بن أبي طالب[٨]

فإذا قال العبد إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم ولم يكن خائفا كان حاكيا دونما اعتقاد بذلك الخوف

وإذا قال عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير ولم يكن حاله التوكل والإنابة كان حاكيا دونما اعتقاد في ذلك

وإذا قال ولنصبرن على ما آذيتمونا فليكن حاله الصبر أو العزيمة عليه حتى يجد حلاوة التلاوة

فإن لم يكن بهذه الصفات ولم يتردد قلبه بين هذه الحالات كان حظه من التلاوة آيات الوعيد حركة اللسان ومهما تجاوزها ولم يتأثر بها كان معرضا عنها ولذلك قيل إن من لم يكن متصفا بأخلاق القرآن فإذا قرأ القرآن ناداه الله تعالى مالك ولكلامي وأنت معرض عني دع عنك كلامي إن لم تتب إلي[٩]

شواهد الآيات في خطبة الزهراء عليها السلام :

يجد المتتبع لخطبة الزهراء البتول عليها السلام ومن النظرة الأولى أن المفردات والنصوص القرآنية المباركة كانت تمثل قدراً كبيراً من البناء النصّي والموضوعي للخطبة على مستوى التضمين أو الاستشهاد بتلك المفردات والنصوص لذا تكون عباراتها قوية الوقع واضحة الدلالة سهلة الفهم لما يكتنفها من قرائن مقالية مبينة للمراد مرشدة للمخاطب إلى حقيقة المطلوب، وقد وظّفت سلام الله عليها الموروث التاريخي لقصص الأنبياء في باب الإرث بشكل لا نظير له لتعطي صورة واضحة عن حقها المهتضم لا لبس فيها ولا غموض لكي لا يبقى عذر لمعتذر

التقوى والتسليم:

ومما استشهدت به الزهراء عليها السلام من آيات الوعيد قوله تعالى:



﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾[١٠].

لعل في هذه الآية الشريفة ملحظ مهم يؤشر إلى من ينطبق عليهم وصف المتقي ممن كان في عهد رسول الله تعالى وهو ما يصرح به إمام المتقين ويعسوب الدين علي بن أبي طالب عليه السلام بقوله: والله ما عمل بها غير بيت رسول الله - نحن ذكرناه فلا ننساه ونحن شكرناه فلن نكفره - ونحن أطعناه فلم نعصه[١١].

وفي خطبة لرسول الله صلى الله عليه وآله يستشهد فيها بهذه الآية الشريفة في سياق لا يخلو من تهديد ووعيد وشكوى وألم حد الغصة من أقوام سيحدثون بعد النبي الأكرم فقال صلى الله عليه وآله" الحمد لله على آلائه وبلائه عندنا أهل البيت وأستعين الله على نكبات الدنيا وموبقات الآخرة وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأني محمدا عبده ورسوله، أرسلني برسالته إلى جميع خلقه ﴿**لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَا مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ**﴾[١٢] واصطفاني على جميع العالمين من الأولين والآخرين، أعطاني مفاتيح خزائنه كلها واستودعني سره وأمرني بأمره فكان القائم وأنا الخاتم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم و ﴿**اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ** ﴾[١٣] واعلموا أن الله بكل شيء محيط وأن الله بكل شيء عليم. أيها الناس إنه سيكون بعدي قوم يكذبون علي فلا تقبلوا ذلك وأمور تأتي من بعدي يزعم أهلها أنها عني ومعاذ الله أن أقول على الله إلا حقا فما أمرتكم إلا بما أمرني به ولا دعوتكم إلا إليه ﴿**وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ**﴾[١٤]. قال: فقام إليه عبادة بن الصامت فقال: متى ذلك يا رسول الله ؟ ومن هؤلاء ؟ عرفنا لنحذرهم. فقال: أقوام قد استعدوا للخلافة من يومهم هذا وسيظهرون لكم إذا بلغت النفس مني هاهنا - وأومأ بيده إلى حلقه - فقال له عبادة بن الصامت: فإذا كان كذلك فإلى من يا رسول الله قال: إذا كان ذلك فعليكم بالسمع والطاعة للسابقين من عترتي فإنهم يصدونكم عن الغي ويهدونكم إلى الرشد ويدعونكم إلى الحق فيحيون كتاب ربي وسنتي

وحديثي ويميتون البدع ويقمعون بالحق أهلها ويزولون مع الحق حيث ما زال، فلن يخيل إلى انكم تعلمون ! ولكني مجتمع عليكم إذا أعلمتكم ذلك فقد أعلمتكم. أيها الناس ان الله تبارك وتعالى خلقني وأهل بيتي من طينة لم يخلق أحدا غيرنا ومن ضوي إلينا فكنا أول من ابتدأ من خلقه فلما خلقنا فتق بنورنا كل ظلمة وأحيا بنا كل طينة طيبة وأمات بنا كل طينة خبيثة ثم قال: هؤلاء خيار خلقي وحملة عرضي وخزان علمي وسادة أهل السماء والأرض، هؤلاء البررة المهتدون المهتدى بهم، من جاءني بطاعتهم وولايتهم أولجته جنتي و كرامتي ومن جاءني بعداوتهم والبراءة منهم أولجته ناري وضاعفت عليه عذابي وذلك جزاء الظالمين. ثم قال: نحن أهل الايمان بالله ملاكه وتمامه حقا وبنا سداد الأعمال الصالحة، ونحن وصية الله في الأولين والآخرين، وإن منا الرقيب على خلق الله ونحن قسم الله الذي قسم بنا حيث قال: ﴿ **اتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا** ﴾[١٥].

أيها الناس إنا أهل البيت عصمنا الله من أن نكون مفتونين أو فاتنين أو مفتنين أو كذابين أو كاهنين أو ساحرين أو عايقين أو خائنين أو زاجرين أو مبتدعين أو مرتابين أو صادفين عن الخلق منافقين، فمن كان فيه شيء من هذه الخصال فليس منا ولا أنا منه، والله منه برئ ونحن منه براء ومن برء الله منه أدخله جهنم وبئس المهاد، وإنا أهل بيت طهرنا الله من كل نجس فنحن الصادقون إذا نطقوا والعالمون إذا سئلوا والحافظون لما استودعوا، جمع الله لنا عشر خصال لم يجتمعن لاحد قبلنا ولا تكون لاحد غيرنا: العلم والحلم والحكم واللب والنبوة والشجاعة والصدق والطهارة والعفاف، فنحن كلمة التقوى وسبيل الهدى والمثل الأعلى والحجة العظمى والعروة الوثقى والحق الذي أمر الله في المودة ﴿**فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ**﴾[١٦] الذي عنده علم من الكتاب[١٧].

ويمكن لهذا النص أن يحتمل دلالات واضحة على سبيل التغليظ وطريق

التشديد، ليهاب المؤمنون بلوغ أدنى حدود المعصية، ويقفوا عند أول مراتب السيئة، كما روي عن بعض الصالحين. أنه قال: اجعل بينك وبين الحرام حاجزا من الحلال، فإنك متى استوفيت جميع الحلال تاقت نفسك إلى فعل الحرام، وإذا كثرت الزواجر كانت على المعاصي أردع، والى فعل الطاعات أحوش وأجذب[١٨]

يعني بذلك جل ثناؤه: يا معشر من صدق الله ورسوله، "اتقوا الله" خافوا الله وراقبوه بطاعته، واجتناب معاصيه، " حق تقاته " حق خوفه، وهو أن يطاع فلا يعصى، ويشكر فلا يكفر، ويذكر فلا ينسى. "ولا تموتن" أيها المؤمنون بالله ورسوله، "إلا وأنتم مسلمون" لربكم، مذعنون له بالطاعة، مخلصون له الألوهية والعبادة[١٩].

وفي قراءة لأهل البيت عليهم السلام "وأنتم مسلّمون" بالتشديد، ومعناه إلا وأنتم مستسلمون لما أتى به النبي صلى الله عليه وآله ومنقادون له[٢٠] .

وأن التقوى هي نوع من الاحتراز إذا كان تقوى الله سبحانه تجنبا وتحرزا من عذابه كما قال تعالى:﴿ **فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ** ﴾[٢١] وذلك إنما يتحقق بالجري على ما يريده ويرتضيه فهو امتثال أوامره تعالى والانتهاء عن نواهيه والشكر لنعمه والصبر عند بلائه ويرجع الأخيران جميعا إلى الشكر بمعنى وضع الشيء موضعه وبالجملة تقوى الله سبحانه أن يطاع ولا يعصى ويخضع له فيما أعطى أو منع. لكنه إذا أخذ التقوى حق التقوى الذي لا يشوبه باطل فاسد من سنخه كان محض العبودية التي لا تشوبها إنية وغفلة وهي الطاعة من غير معصية والشكر من غير كفر والذكر من غير نسيان وهو الاسلام الحق أعني الدرجة العليا من درجاته وعلى هذا يرجع معنى قوله ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون إلى نحو قولنا ودوموا على هذه الحال حق التقوى حتى تموتوا[٢٢] .

فاستشهاد الصديقة الطاهرة بهذه الآية الشريفة بما تكتنزه من دلالات واضحة وصريحة على وجوب ولزوم أوامر الله تعالى في ما أوجبه على العباد من

أحكام وطاعته في تنفيذها، وعدم عصيانه بالتنكر لها، وشكر نعمته على إقامة تلك الأحكام، تحذير مباشر لأولئك الذين حذر منهم النبي الأكرم صلى الله عليه وآله من أنهم سيأتون بعده بأمور يزعمون أنها منه في مقام الأحكام، وهي ليست منه، ولا عن الله كما في وضعهم أو تحريفهم لدلالة حديث " لا نورث ما تركناه صدقة"[٢٣] بعد ثبوت النسبة ليزحزحوا عن الصديقة حقها الذي فرضه الله لها.

نار الحرب:

ومما استشهدت به الزهراء عليها السلام من آيات الوعيد قوله تعالى: ﴿**كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ** ﴾[٢٤].

قيل في تفسير الآية بالمعنى الأخص عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: كلما أوقدوا نار للحرب اطفأها الله كلما أراد جبار من الجبابرة هلكة آل محمد عليهم السلام قصمه الله [٢٥].

وفي معناه الأعم أي: لحرب محمد، عن الحسن، ومجاهد. وفي هذا دلالة ومعجزة لان الله أخبره فوافق خبره المخبر، فقد كانت اليهود أشد أهل الحجاز بأسا، وأمنعهم دارا، حتى إن قريشا كانت تعتضد بهم، والأوس والخزرج تستبق إلى محالفتهم، وتتكثر بنصرتهم، فأباد الله خضراءهم، واستأصل شأفتهم، واجتث أصلهم، فأجلى النبي بني النضير وبني قينقاع، وقتل بني قريظة، وشرد أهل خيبر، وغلب على فدك، ودان له أهل وادي القرى، فمحا الله تعالى آثارهم صاغرين. وقال قتادة: معناه إن الله أذلهم ذلا لا يعزون بعده أبدا، وإنما يطفئ نار حربهم بلطفه، وبما يطلع نبيه عليه من أسرارهم، وبما يمن به عليه من التأييد والنصر ﴿**وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَساداً**﴾ بمعصية الله، وتكذيب رسله، ومخالفة أمره ونهيه، واجتهادهم في محو ذكر النبي صلى الله عليه وآله من كتبهم ﴿**وَاللهُ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ**﴾ العاملين بالفساد، والمعاصي، في أرضه [٢٦].

إن مما يلفت النظر ويثير الانتباه ويحفز الذهن أن تقرن سيدة نساء العالمين في خطبتها وهي تستعرض النوازل والصعاب التي حاقت بدعوة أبيها ﷺ والتي احتمل وزرها بُهم الرجال: جمع بهمة: الشجاع، وقيل: هو الفارس الذي لا يدرى من أين يؤتى له من شدة بأسه[٢٧] وذؤبان العرب تعني صعاليكهم ولصوصهم وهم الذين كافحوا الرسول وناكفوه في بدء دعوته المباركة من جهة وبين من نزلت في حقهم الآية الشاهد في خطبتها والتي تشير التفاسير إلى أنهم اليهود بشكل خاص[٢٨]. من جهة أخرى سيما إذا علمنا أن فدك التي أنحلها النبي ﷺ لابنته الصدّيقة الطاهرة بعد أن راسل أهلها إلى رسول الله ﷺ أن يصالحهم على النصف من ثمارهم وأموالهم فأجابهم إلى ذلك. فهي مما لم يوجف عليه بخيل ولا ركاب فكانت خالصة لرسول الله ﷺ [٢٩].

وبهذا الربط السلوكي الذي أشارت إلية الزهراء عليها السلام بين من وصفتهم بالبهم والذؤبان وبين اليهود تؤكد حقيقة اشتراك كلا الفريقين في إيقاد نار الحرب على محمد ﷺ وآل محمد عليهم السلام حتى وإن دخلوا الإسلام بعد ضرب خراطيمهم على يد علي بن ابي طالب وهو ما أفاده بعض المفسرين من أن المراد من قوله تعالى: ﴿كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ ﴾[٣٠] هم عموم أعداء النبي ﷺ من اليهود وغيرهم ممن نصب الحرب لمحمد ﷺ [٣١] وذهب آخرون إلى أنهم أعداء آل بيت محمد ﷺ على وجه الخصوص[٣٢] ومن هؤلاء الاعداء من قام بغصب الصديقة الطاهرة نحلتها.

السقوط في الفتنة:

ومما استشهدت به الزهراء عليها السلام من آيات الوعيد قوله تعالى:

﴿أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾[٣٣].

كان الاستشهاد بهذه الآية الكريمة بعد أن استعرضت الزهراء عليها السلام

خارطة التحول في التوجهات والانقلاب في النفوس، والذي ظهر على من كانت في صدورهم الضغينة والعداوة والنفاق حال ما اختار الله تعالى نبيه إلى جواره ، فتخرّق عنهم ما كان قد لبسوه من رداء الدين وكأنه قد تقادم عليه العهد حتى بلى وانخلق ولم يعد يستر ما أخفت صدورهم من غل فهتك ما أضمروا من البغضاء مع قرب العهد برسول الله ﷺ حتى هزل منهم الدين وضعف فيهم الإيمان إلى الحد الذي لم يعد قائماً فيه عندهم على أصوله فهلك ذلك الدين وبليت عظامه ولم تعد واضحةً معالمه فظهر فيهم ورثة النفاق بعد ما كانوا يخفونه ، فتصدّى منهم من لا نباهة له في رأي ولا علو له في ذكر ولا وضوح في صوته ولا بيان، فانطلق حبس نَفَسِه فافصح عما يختلج في نفسه بعد عيٍّ بالباطل، فهو يسبق إلى عرصات الأصحاب متبخترا في مشيته فيشير عليهم برأي يحرفهم فيه عند اتباعه عن وردهم الصافي الذي هداهم الله تعالى إليه بنبيهﷺ متذرعاً لذلك خوف الوقوع في الفتنة وهو متقمص لها ومنغمس فيها بعد أن احتج على منع فاطمة عليها السلام حقها بقول نسبه إلى النبي ﷺ فهو يخشى من الوقوع في الفتنة إن لم يعمل بما بلغه عن رسول الله ﷺ، فجاءه جواب دعواه الوقوع في الفتنة قرآناً صريحا واضح الدلالة على لسان من نزل الوحي في دار أبيها ﴿**أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ**﴾[٣٤] والتي قال المفسرون في المراد منها وفي سبب نزولها الآتي:-

ما أورده الطوسي(ت٤٦٠هـ) من أن معنى الآية ولا تفتني ولا تؤثمني بالعصيان في المخالفة التي توجب الفرقة، فتضمنت الآية جملة من المنافقين ممن استأذن النبي ﷺ في التأخر عن الخروج، والإذن رفع التبعة في الفعل، وهو والإباحة بمعنى، وقال له " لا تفتني " أي: لا تؤثمني بأن تكلفني المشقة في ذلك[٣٥] وفي سبب النزول قال جماعة من المفسرين: إن النبي ﷺ كان يعبئ المسلمين ويهيؤهم لمعركة تبوك ويدعوهم للتحرك نحوها، فبينا هو على مثل هذه الحال إذا برجل من رؤساء طائفة " بني سلمة " يدعى جد بن قيس بن صخر بن

خنساء الأنصاري، كان من المنافقين، تخلف عن رسول الله ﷺ عند بيعة الرضوان [٣٦]. فجاء مستأذنا أن لا يشهد المعركة، متذرعا بأن فيه شبقا إلى النساء، وإذا ما وقعت عيناه على بنات الروم فربما سيهيم ولهاً بهن وينسحب من المعركة [٣٧]! فأذن له النبي بالانصراف. فنزلت الآية أعلاه معنفة ذلك الشخص ! فالتفت النبي ﷺ إلى بني سلمة وقال: من كبيركم ؟ فقالوا: جد بن قيس، إلا أنه رجل بخيل وجبان، فقال: وأي شئ أبشع من البخل ؟ ثم قال: إن كبيركم ذلك الشاب الوضئ الوجه بشر بن براء " وكان رجلا سخيا سمحا بشوشا " [٣٨]. يكشف شأن النزول المذكور أن الإنسان متى أراد أن يتنصل من تحمل المسؤولية يسعى للتذرع بشتى الحيل، كما تذرع المنافق جد بن قيس لعدم المشاركة في المعركة وميدان الجهاد، بأنه ربما تأسره الوجوه النضرة من بنات الروم وتختطف قلبه، فينسحب من المعركة ويقع في إشكال شرعي !! ... فالقرآن يوجه الخطاب للنبي ﷺ ليرد على مثل هذه الذرائع المفضوحة قائلا: ومنهم من يقول أأذن لي ولا تفتني بالنساء والفتيات الروميات الجميلات. كما يحتمل في شأن نزول الآية أن جد بن قيس كان يتذرع ببقاء امرأته وأطفاله وأمواله بلا حام ولا كفيل بعده ليتخلص من الجهاد. ولكن القرآن يقول مجيبا عليه وأمثاله: ألا في الفتنة سقطوا وأن جهنم لمحيطة بالكافرين. أي: إنّ أمثال أولئك الذين تذرعوا بحجة الخوف من الذنب - هم الآن واقعون فيه فعلا، وأن جهنم محيطة بهم، لأنهم تركوا ما أمرهم الله ورسوله به وراء ظهورهم وانصرفوا عن الجهاد بذريعة الشبهة الشرعية !!

وتُستخلص من هذا الموقف التاريخي للمنافقين ملاحظتان:-

١ - إن أحد طرق معرفة جماعة المنافقين في كل مجتمع، هو التدقيق في أسلوب استدلالهم وأعذارهم التي يذكرونها ليتركوا ما عليهم من الوظائف، فهذه الأعذار تكشف - بجلاء - ما يدور في خلدهم وباطنهم. فهم غالبا ما يتشبثون بسلسلة من الموضوعات الجزئية والمضحكة أحيانا بدلا من الاهتمام بالمواضيع

المهمة، ويستعملون المصطلحات الشرعية لإغفال المؤمنين ويتذرعون بالأحكام الشرعية وأوامر الله ورسوله، في حين تجد أنهم غارقون في دوامة الخطايا، جادون في عداوتهم للرسول ودينه القويم .

٢ - للمفسرين أقوال مختلفة في تفسير جملة وإن جهنم لمحيطة بالكافرين فقال بعضهم: هذه العبارة كناية عن إحاطة عوامل ورودهم إلى جهنم بهم، أي إن ذنوبهم تحيط بهم[٣٩]. وقال بعضهم: إن هذا التعبير من قبيل الحوادث الحتمية المستقبلية التي تذكر بصيغة الفعل الماضي أو الحال، أي إن جهنم ستحيط بهم بشكل قاطع. كما يحتمل أن نفسر الجملة بمعناها الحقيقي، وهو أن جهنم موجودة فعلا، وهي عبارة عن باطن هذه الدنيا، فالكفار قابعون في وسط جهنم في حياتهم الدنيوية وإن لم يصدر الأمر بتأثيرها[٤٠]، كما أن الجنة موجودة في هذه الدنيا أيضا وتحيط بالجميع، غاية ما في الأمر لما كان أهل الجنة جديرين بها فسيكونون مرتبطين بها، وأهل النار جديرون بالنار فهم من أهلها أيضا [٤١].

وقد أفاد السيد الطباطبائي من الدلالة السياقية معانيَ اشتمل عليها قوله تعالى: ﴿**وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَلَا تَفْتِنِّي وَاللّهُ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ** ﴾[٤٢] الفتنة ههنا - على ما يهدى إليه السياق - إما الالقاء إلى ما يفتتن ويغر به، وإما الالقاء في الفتنة والبلية الشاملة. والمراد على الأول: ائذن لي في القعود وعدم الخروج إلى الجهاد، ولا تلقني في الفتنة بتوصيف ما في هذه الغزوة من نفائس الغنائم ومشتهيات الأنفس فافتتن بها وأضطر إلى الخروج، وعلى الثاني ائذن لي ولا تلقني إلى ما في هذه الغزوة من المحنة والمصيبة والبلية. فأجاب الله عن قولهم بقوله: ﴿**وَاللّهُ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ**﴾ ومعناه أنهم يحترزون بحسب زعمهم عن فتنة مترقبة من قبل الخروج، وقد أخطأوا فإن الذي هم عليه من الكفر والنفاق وسوء السريرة، ومن آثاره هذا القول الذي تفوهوا به هو بعينه فتنة سقطوا فيها فقد فتنهم الشيطان بالغرور، ووقعوا في مهلكة الكفر والضلال وفتنته. هذا حالهم في هذه

النشأة الدنيوية وأما في الآخرة فإن جهنم لمحيطة بالكافرين على حذو إحاطة الفتنة بهم في الدنيا وسقوطهم فيها فقوله: ﴿وَاللهُ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ وقوله: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكافِرِينَ﴾ كأنهما معا يفيدان معنى واحدا وهو ان هؤلاء واقعون في الفتنة والتهلكة أبداً في الدنيا والآخرة. ويمكن ان يفهم من قوله: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكافِرِينَ﴾ الإحاطة بالفعل من دون الإحاطة الاستقبالية كما تهدى إليه الآيات الدالة على تجسم الأعمال [٤٣].

وبعد هذا التقصي لأقوال المفسرين في تفسير الآية الكريمة وبيان سبب نزولها والمراد منها وما تمخض عنها من كشفها لصنف من المنافقين الذين حاولوا شرعنة عدم التزامهم بأوامر الله ونواهيه بحجة الخوف وقوعهم بالفتنة عند قيامهم بما أوجب الله تعالى عليهم، تتضح حقيقة الربط بين المرامي التي قصدتها سيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء عليها السلام وبين الدلالات التي توافرت عليها الآية الكريمة.

فإنها تتوعد من حادوا عن جادت الصواب وتنكبوا عن طريق الحق بعد أن طلع شيطان نكوصهم وغدرهم من مخبئه، فأبعدوا الحق الإلهي الذي أوكله الله تعالى إلى من جعله النبي صلى الله عليه وآله خليفة له ووصيه على أمته من بعده، حتى جعلوا الأمر في غير أهله بعدما فتنتهم الدنيا بغرورها ومطامعها فتكشفت تلك الفتنة بانثيالهم على السلطان ولما يزل جثمان رسول الله صلى الله عليه وآله بينهم لم يجهز بجهازه، وما كانت حجتهم في هذا الأمر إلا أن قالوا: (فجعلت كلما ارتفعت الأصوات وخشيت الفتنة أقول لأبي بكر: مد يدك حتى أبايعك. فمد يده، فبايعته)[٤٤]. إذن فحجتهم في منع الحق عن أهله هي الخوف من وقوع الفتنة في أمة محمد صلى الله عليه وآله بعدما اختلفت هذه الأمة في سقيفة بني ساعدة[٤٥] فجعلت الأمر في عامة قريش تارةً وتبنى هذا الرأي الأول فقال: (قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله: إن هذا الأمر لا يكون إلا في قريش)[٤٦]. ومنهم من جعل الأمر محاصصة بين الفرقاء يسهمونه بينهم إرضاءً

للأنفس الشح حتى قال قائلهم:(نحن الأمراء وأنتم الوزراء فقال حباب بن المنذر لا والله لا نفعل منا أمير ومنكم أمير فقال أبو بكر لا ولكنا الأمراء وأنتم الوزراء هم أوسط العرب دارا وأعربهم أحسابا) (٤٧). كل هذا وهم على علم ودراية وبصيرة في أن لهذا الأمر أهل ولكنهم اجتهدوا على أن يزحزحوه عنهم خوفاً من الفتنة كما يزعمون فاعتذروا لصاحب الحق حتى قال قائلهم: (يا ابن عم لسنا ندفع قرابتك ولا سابقتك ولا علمك ولا نصرتك، ولكنك حدث السن - وكان لعلي عليه السلام يومئذ ثلاث وثلاثون سنة - وأبو بكر شيخ من مشايخ قومك، وهو أحمل لثقل هذا الأمر، وقد مضى الأمر بما فيه فسلم له، فإن عمرك الله يسلموا هذا الأمر إليك، ولا يختلف فيك اثنان بعد هذا إلا وأنت به خليق وله حقيق، ولا تبعث الفتنة في أوان الفتنة فقد عرفت ما في قلوب العرب وغيرهم عليك)(٤٨).

فكان ما اعتذروا منه بحجة خوف الوقوع في الفتنة هو الفتنة بعينها، لأن في فعلهم الذي اجترحوه غاية المعصية لله ورسوله ولأولي الأمر الذين فرض الله طاعتهم وحرم على العباد معصيتهم، وإن الفعل الذي سولت لهم أنفسهم اقترافه هو الذي يسقطهم في الفتنة ويوردهم موارد الهلكة ولا يبعدهم عنها كما يزعمون، لذا يرى المتتبع أن الاقتران الموضوعي بين سبب النزول للآية الكريمة وتهرب من نزلت بحقه من أداء الواجب تذرعاً بالخوف من الفتنة والتي احتجت بها سيدة النساء عليها السلام وبيَّنَت دلالتها الانطباقية على مصداقها وبين السبب الذي تذرع به سرّاق الولاية من الخوف في الوقوع في الفتنة، فإن هذا الاقتران الذي أوجدته الزهراء عليها السلام نتيجته أنهم وقعوا في فتنة العصيان بمخالفتهم ما أمر به رسول الله صلى الله عليه وآله في غدير خم. وجزاء ذلك أن جهنم محيطة بهم كما توعد القرآن أهل الفتنة بذلك يوم القيامة، أو محيطة بهم الآن، لأن أسباب إحاطتها بهم معهم، فكأنهم في وسطها(٤٩).



حكم الجاهلية :

ومما استشهدت به الزهراء عليها السلام من آيات الوعيد قوله تعالى:

﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾[٥٠].

لقد أجمع المفسرون على أن سبب نزول هذه الآية هو أن اليهود قد حكّموا النبي صلى الله عليه وآله فيما بينهم، طمعاً منهم في الحصول على حكم مغاير لما ثبت عندهم في التوراة، إلا أن ذلك السبب لا يقصر الحكم على هذه الواقعة دون غيرها بل تكون تلك الواقعة واحدة من مصاديق ذلك الحكم فـ(إذا نزلت الآية بسبب خاص، وكان اللفظ فيها عاما فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، فلا يتقيد بالمدلول القرآني في نطاق السبب الخاص للنزول أو الواقعة التي نزلت الآية بشأنها، بل يؤخذ به على عمومه، لان سبب النزول يقوم بدور الإشارة لا التخصيص، وقد جرت عادة القرآن أن ينزل بعض احكامه وتعليماته وارشاداته على اثر وقائع واحداث تقع في حياة الناس وتتطلب حكما وتعليما من الله، لكي يجئ البيان القرآني أبلغ تأثيرا وأشد أهمية في نظر المسلمين وان كان مضمونه عامّاً شاملاً) .

عين الإمام أبو جعفر الباقر عليه السلام المراد من هذه الآية الكريمة فبيّن أن (الحكم حكمان: حكم الله، وحكم الجاهلية، فمن أخطأ حكم الله حكم بحكم الجاهلية)[٥١].

وذكر الشيخ الطوسي(ت٤٦٠هـ) في أحد قوليه في بيان المراد من هذه الآية الكريمة(انها كناية عن كل من طلب غير حكم الله أي إنما خرج منه إلى حكم الجاهلية. وكفى بذلك خزيا أن يحكم بما يوجبه الجهل دون ما يوجبه العلم) [٥٢]

ونقل الزمخشري (ت٥٣٨هـ) عن الحسن قول(هو عام في كل من يبغي غير

حكم الله. والحكم حكمان: حكم بعلم فهو حكم الله، وحكم بجهل فهو حكم الشيطان. وسئل طاوس عن الرجل يفضل بعض ولده على بعض فقرأ هذه الآية) [٥٣].

وبما أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص المورد كما هو شأن الآيات التي لنزولها أسباب خاصة من الحوادث الواقعة، فليس لأسباب نزولها منها إلا ما لواحد من مصاديقها الكثيرة من السهم، وليس إلا لأنّ القرآن كتاب عام دائم لا يتقيد بزمان أو مكان، ولا يختص بقوم أو حادثة خاصة وإذا كانت هذه الأحكام والشرائع حقة نازلة من عند الله ولم يكن وراءها حكم حق لا يكون دونها الا حكم الجاهلية الناشئة عن اتباع الهوى فهؤلاء الذين يتولون عن الحكم الحق ما ذا يريدون بتوليهم وليس هناك الا حكم الجاهلية ؟ أفحكم الجاهلية يبغون والحال أنه ليس أحد أحسن حكما من الله لهؤلاء المدعين للإيمان ؟. فقوله: ﴿**أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ**﴾ استفهام توبيخي، وقوله: ﴿**وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا**﴾ استفهام انكاري أي: لا أحد أحسن حكما من الله، وإنما يتبع الحكم لحسنه، وقوله: " لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ " في أخذ وصف اليقين تعريض لهم بأنهم ان صدقوا في دعواهم الايمان بالله فهم يوقنون بآياته، والذين يوقنون بآيات الله ينكرون أن يكون أحد أحسن حكما من الله سبحانه[٥٤].

ومن لطائف التفسير ما صرح به القطب الراوندي[٥٥] في تفسير آية المواريث ووجوب العمل بها على وفق ما شرعه الله تعالى من أن للرجال من الميراث نصيبا وان للنساء أيضا نصيبا، وان توريث الرجال دون النساء مع المساواة في القربى والدرجة من احكام الجاهلية، وقد نسخ الله بشريعة نبينا محمد ﷺ أحكام الجاهلية وذم من أقام عليها واستمر على العمل بها بقوله ﴿**أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ** ﴾[٥٦].

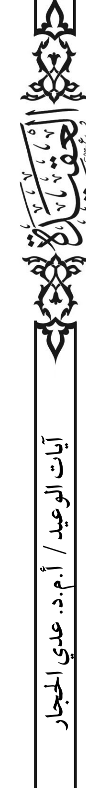
ومما يصح أن يقال عنه في هذا المورد الذي استشهدت به الزهراء عليها السلام أنه

تأسيس لقاعدة تفسيرية قامت على إرساء قواعدها ألا وهي قاعدة الجري والانطباق، بمعنى أن الآية وردت لمناسبةٍ ما باستعمال لفظ له دلالة واسعة، تتيح للمفسرين تطبيقها على موارد عديدة، وقد يلتزم بمصداقها المثالي الذي هو أكمل المصاديق، وهذا لا إشكالية فيه، وإنما قد يُختلف في كون هذا المصداق هو الأكمل، وقد تبقى دلالة ذلك اللفظ على سعتها عند الجميع بحيث لا يجزم أحد بانحصارها في معنى معيّن، وليس هذا بعيدا عن طبيعة القرآن، بل كون القرآن كتاب الإنسانية على مدى الزمان والمكان، يقتضي صحة ذلك[٥٧].

فكانت عليها السلام موبخةً لمن عدل عن حكم الله تعالى إلى حكم الجاهلية في منعها إرثها من أبيها وهو مما ثبت في الشرع كما منع اليهود إقامة حدود الله وهي مما شرعته التوراة ، وبذلك يجري على هؤلاء المانعين لحقها من حكم ما يجري على اليهود لوحدة المناط بين الحكمين.

هذه بعض من آيات الوعيد التي اشتملت عليها خطبة سيدة النساء عليها السلام والتي توافر البحث على دراستها وبيان أبعادها واستجلاء مضامينها وسبر أغوارها مسترشدين لذلك بما أفصحت به الزهراء عليها السلام من مكنون معاني الآيات وواضح دلالاتها وبيان مصاديقها وكشف المراد منها، لتلقي على خصومها الحجج والبراهين حجة إثر حجة ﴿**لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَا مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ**﴾[٥٨] فهي تؤشر إلى من ينطبق عليهم وصف المتقي ممن كان في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله لما تحتمل الدلالات الواضحة على سبيل التغليظ وطريق التشديد، ليهاب المؤمنون بلوغ أدنى حدود المعصية، ويقفوا عند أول مراتب السيئة فكانت الصديقة الطاهرة تستشهد بآيات الوعيد الشريفة بما تكتنزه من دلالات واضحة وصريحة على وجوب ولزوم أوامر الله تعالى في ما أوجبه على العباد من أحكام، وطاعته في تنفيذها، وعدم عصيانه بالتنكر لها، وشكر نعمته على إقامة تلك الأحكام.

إن مما يلفت النظر ويثير الانتباه ويحفز الذهن أن تقرن سيدة نساء العالمين



في خطبتها وهي تستعرض النوازل والصعاب التي حاقت بدعوة أبيها صلى الله عليه وآله والتي احتمل وزرها بُهم الرجال وذؤبان العرب وهم الذين كافحوا الرسول وناكفوه في بدء دعوته المباركة من جهة وبين من نزلت في حقهم أغلب الآيات التي استشهدت بها الزهراء عليها السلام في خطبتها والتي تشير التفاسير إلى أنهم اليهود بشكل خاص وقد عملت عليها السلام على الربط السلوكي بين من وصفتهم بالبهم والذؤبان وبين اليهود لتؤكد حقيقة اشتراك كلا الفريقين في إيقاد نار الحرب على محمد صلى الله عليه وآله وآل محمد عليهم السلام حتى وإن دخلوا الإسلام بعد ضرب خراطيمهم على يد علي بن أبي طالب عليه السلام.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله على أشرف الخلق أجمعين وعلى آله الطيبين الطاهرين..

*** هوامش البحث ***

١ - الصدوق-كمال الدين وتمام النعمة: ٢٣٥، والحديث يروى بمضمونه عند جمهور المسلمين، ظ:أحمد بن حنبل-مسند احمد:٣/ ١٤+ الطبراني-المعجم الصغير:١٣١/١+ المتقي الهندي-كنز العمال:٥ / ٢٨٩ – ٢٩٠.

٢ - الصدوق-كمال الدين وتمام النعمة: ٦٤.

٣ - احمد بن حنبل - مسند احمد: ٣ / ١٧ وينظر: أبو الصلاح الحلبي – الكافي ٩٦ و الصدوق - كمال الدين وتمام النعمة ٦٤ و الترمذي - سنن الترمذي ٥ / ٣٢٩..

٤ - سورة يوسف:١٠٨.

٥ - سورة الأحزاب: ٣٣.

٦ -- ينظر: الصدوق - كمال الدين وتمام النعمة ٦٤.

٧ - ابن حمدون –التذكرة الحمدونية:٩٨/٢.

٨ - ابطحي -الصحيفة السجادية - الإمام زين العابدين عليه السلام - ص ١٦٤ - ١٦٥. تحقيق: السيد محمد باقر الموحد الابطحي الإصفهاني-ط:١-سنة ١٤١١هـ- -الناشر: مؤسسة الإمام المهدي عليه السلام / مؤسسة الأنصاريان للطباعة والنشر - قم - ايران

٩ - الغزالي - إحياء علوم الدين: ٢٨٦/١:. محمد بن محمد الغزالي. الناشر: دار االمعرفة - بيروت.

١٠ - سورة آل عمران:١٠٢.

١١ - تفسير الميزان - السيد الطباطبائي: ٣ / ٣٧٧ - ٣٧٨.
١٢ - سورة الأنفال:٤٢.
١٣ - سورة آل عمران:١٠٢.
١٤ - سورة الشعراء:٢٢٧.
١٥ - سورة النساء:١.
١٦ - سورة يونس:٣٢.
١٧ - تفسير فرات الكوفي - فرات بن إبراهيم الكوفي - ص ٣٠٦ - ٣٠٩.
١٨ -حقائق التأويل - الشريف الرضي: ٢٠١ - ٢٠٢.
١٩ - جامع البيان - إبن جرير الطبري: ٤ / ٣٨.
٢٠ - التبيان - الشيخ الطوسي: ٢ / ٥٤٤ - ٥٤٥.
٢١ - سورة البقرة:٢٤.
٢٢ - تفسير الميزان - السيد الطباطبائي: ٣ / ٣٦٧.
٢٣ - صحيح مسلم - مسلم النيسابوري: ٥ / ١٥٢.
٢٤ - سورة المائدة:٦٤.
٢٥ - تفسير نور الثقلين - الشيخ الحويزي: ١ / ٦٥٠.
٢٦ - تفسير مجمع البيان - الطبرسي: ٣ / ٣٧٨ – ٣٧٩.
٢٧ - لسان العرب – ابن منظور: ١٢/ ٥٨.
٢٨ - تفسير مجمع البيان - الطبرسي: ٣ / ٣٧٨ - ٣٧٩ و جامع البيان - إبن جرير الطبري: ٦ /٤١٠ وتفسير السمعاني - السمعاني: ٢ / ٥١ و تفسير ابن زمنين - أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي زمنين: ٢ / ٣٧..
٢٩ - السنن الكبرى - البيهقي: ٦ / ٣١٧ و معجم البلدان -للحموي: ٣ /٨٥٥ – ٨٥٨ و فدك في التاريخ - محمد باقر الصدر: ١٧٣.
٣٠ - سورة المائدة:٦٤.
٣١ - جامع البيان - إبن جرير الطبري: ٦ / ٤١٠.
٣٢ -تفسير نور الثقلين - الشيخ الحويزي: ١ / ٦٥٠.
٣٣ - سورةالتوبة:٤٩.
٣٤ - سورةالتوبة:٤٩.
٣٥ - ينظر: التبيان: ٥ / ٢٣٣.
٣٦ - ينظر: امتاع الأسماء -للمقريزي: ١ / ٤٤٧.
٣٧ - ينظر: تفسير الثعلبي- الثعلبي: ٥/٥٢.



٣٨ - ينظر: أسباب النزول – الواحدي النيسابوري:١٦٦.
٣٩ - ينظر: تيسير الكريم الرحمن – عبد الرحمن ناصر السعدي:٣٤ ٦.
٤٠ - ينظر: التفسير الأصفى - الفيض الكاشاني: ١ / ٤٧٠ وتفسير الميزان - الطباطبائي: ٩ / ٣٠٥.
٤١ - ينظر: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل - ناصر مكارم الشيرازي: ٦ / ٧٣ - ٧٥.
٤٢ - سورة التوبة:٤٩.
٤٣ -تفسير الميزان - السيد الطباطبائي: ٩ / ٣٠٥ - ٣٠٦.
٤٤ - شرح الأخبار - القاضي النعمان المغربي - ج ٢ - ص ٢٢٨ .
٤٥ - سقيفة بنى ساعدة :، وهي ظلة كانوا يجلسون تحتها بالمدينة، فيها بويع أبو بكر، وأما بنو ساعدة الذين أضيفت إليهم السقيفة فهم حي من الأنصار، وهم بنو ساعدة بن كعب بن الخزرج و منهم سعد بن عبادة وهو القائل يوم السقيفة: منا أمير ومنكم أمير، ولم يبايع أبا بكر ولا أحدا. ينظر: معجم البلدان - الحموي: ٣ / ٢٢٨ – ٢٢٩.
٤٦ - شرح الأخبار - القاضي النعمان المغربي: ٢ / ٢٢٨ .
٤٧ - صحيح البخاري - البخاري: ٤ / ١٩٤.
٤٨ - لاحتجاج - الشيخ الطبرسي: ١ / ٩٦ - ٩٧.
٤٩ - تفسير جوامع الجامع – الطبرسي: ٢ / ٧٠.
٥٠ -. علوم القرآن - محمد باقر الحكيم -: ٤٢.
٥١ - الكافي – الكليني: ٤٠٧/٧ .
٥٢ - التبيان: ٣ / ٥٤٩.
٥٣ - الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل :ج ١ - شرح ص ٦١٩.
٥٤ - ينظر: تفسير الميزان - السيد الطباطبائي: ٥ / ٣٣٩ .
٥٥ - ينظر: فقه القرآن - القطب الراوندي: ٢ / ٣٥١.
٥٦ - علوم القرآن - محمد باقر الحكيم -: ٤٢.
٥٧- ينظر: الأسس المنهجية في تفسير النص القرآني- للباحث: ١١٤.
٥٨ - سورة الأنفال:٤٢.

* المصادر والمراجع *

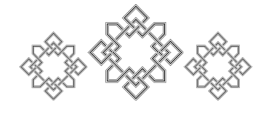
- ابطحي - الصحيفة السجادية - الإمام زين العابدين عليه السلام - ص ١٦٤ - ١٦٥. تحقيق: السيد محمدباقر الموحد الابطحي الإصفهاني-ط:١-سنة ١٤١١هـ -الناشر: مؤسسة الإمام المهدي عليه السلام / مؤسسة الأنصاريان للطباعة والنشر - قم – ايران.

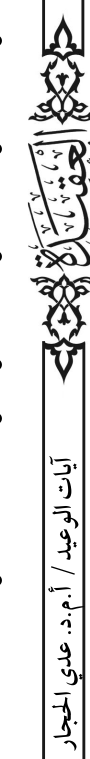
- ابن حمدون - التذكرة الحمدونية - مصدر الكتاب: موقع الوراق http://www.alwarraq.com [الكتاب مرقم آليا غير موافق للمطبوع].
- ابن زمنين: أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي زمنين(ت٣٩٩هـ)- تفسير ابن زمنين.-تحقيق: حسين بن عكاشة -محمد بن مصطفى الكنز-ط١- ١٤٢٣ هـ- القاهرة.
- ابن منظور: محمد بن مكرم الأفريقي المصري(ت٧١١هـ).-لسان العرب.- طبع دار أحياء التراث العربي. منشورات: مؤسسة أدب الحوزة - ١٤٠٥هـ
- أبو الصلاح الحلبي (ت٤٤٧هـ)-الكافي-تحقيق: رضا أستادي
- -الناشر: مكتبة الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام العامة - اصفهان
- أحمد بن حنبل: احمد بن محمد بن حنبل بن هلال الشيباني(ت٢٤١هـ).- المسند: مسند احمد.- منشورات دار صادر. بيروت .لبنان.
- الباحث- الأسس المنهجية في تفسير النص القرآني-ط١-سنة١٤٣٣هـ- بيروت-اصدار قسم الشؤون الفكرية في العتبة الحسينية المقدسة
- البخاري محمد بن إسماعيل بن إبراهيم الجعفي (ت ٢٥٦ هـ).-الجامع الصحيح.
- طبعة بالاوفست عن طبعة دار الطباعة العامرة باستانبول - منشورات دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.بيروت ١٤٠١ هـ.
- البيهقي: أبو بكر أحمد بن الحسين (ت٤٥٨هـ).-السنن الكبرى.- طبع- دار الفكر-بيروت.
- الترمذي محمد بن عيسى بن سورة (ت ٢٧٩هـ).- سنن الترمذي.- تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف- منشورات دار الفكر للطباعة والنشر.بيروت. ١٤٠٣هـ.
- الثعلبي: أحمد بن محمد بن إبراهيم(ت٤٢٧هـ).-تفسير الثعلبي: الكشف والبيان في تفسير القرآن.-تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق الأستاذ نظير الساعدي.-مطبعة: دار إحياء التراث العربي-ط:١-١٤٢٢ هـ-
- الحموي ياقوت بن عبد الله الرومي البغدادي(ت٦٢٦هـ).- معجم البلدان - منشورات دار إحياء التراث العربي بيروت - لبنان ١٣٩٩ هـ
- الحويزي: عبد علي بن جمعة العروسي (ت١١١٢هـ)-نور الثقلين-تحقيق: هاشم الرسولي المحلاتي.
- الراوندي: هبة الله بن سعيد "القطب الراوندي" (ت٥٧٣هـ).-فقه القرآن.-تحقيق: أحمد الحسيني -منشورات: مكتبة المرعشي العامة- ط٢- ١٤٠٥هـ-قم.



- الزمخشري محمود بن عمر بن محمد (ت٥٣٢هـ).- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل.-تحقيق محمد عبد السلام شاهين- منشورات محمد علي بيضون.دار الكتب العلمية. لبنان- الطبعة الثالثة.١٤٢٤هـ
- السمعاني: منصور بن محمد بن عبد الجبار (ت ٤٨٩هـ).- تفسير السمعاني، تفسير القرآن.- تحقيق: ياسر إبراهيم و غنيم عباس-ط١- دار الوطن-١٤١٨هـ- الرياض.
- السيد محمد باقر الصدر (ت١٤٠١هـ)فدك في التاريخ-تحقيق: عبد الجبار شرارة-ط١-سنة ١٤١٥ -الناشر: مركز الغدير للدراسات الإسلامية.
- الشريف الرضي: محمد بن الحسين بن موسى الموسوي(ت ٤٠٦ هـ).-حقائق التأويل، في متشابه التنزيل.- بشرح محمد الرضا كاشف الغطاء -طبع ونشر دار المهاجر- بيروت- لبنان.
- الصدوق: محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (ت ٣٨١هـ).- كمال الدين وتمام النعمة- تحقيق: علي أكبر الغفاري- مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين-١٤٠٥هـ-قم.
- الطبراني: أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني (ت٣٦٠هـ).-المعجم الصغير-دار الكتب العلمية – بيروت.
- الطبرسي: أبو علي الفضل بن الحسن (ت٥٤٨هـ).-مجمع البيان في تفسير القران.-تحقيق لجنة من العلماء والمحققين -ط١- مؤسسة الأعلمي-١٤١٥هـبيروت.
- الطبرسي: أبو علي الفضل بن الحسن (ت٥٤٨هـ).-مجمع البيان في تفسير القران.
- تحقيق لجنة من العلماء والمحققين -ط١- مؤسسة الأعلمي-١٤١٥هـبيروت.
- الطبرسي: أبو منصور أحمد بن علي بن أبي طالب(ت-ق٥هـ) -الاحتجاج-تحقيق: محمد باقر الخرسان-دار النعمان-١٣٨٦هـ- النجف الأشرف .
- الطبري: محمد بن جرير (ت٣١٠ هـ).-جامع البيان عن تأويل آي القرآن.-تحقيق صدقي جميل العطار- دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ١٤١٥ هـ.
- الطوسي: محمد بن الحسن (ت٤٦٠ هـ).-التبيان.-تحقيق أحمد حبيب قصير -دار إحياء التراث العربي-ط١-بيروت-١٤٠٩هـ
- عبد الرحمن بن ناصر السعدي: نفسه.-تيسير الكريم المنان: تيسير الكريم الرحمن في كلام المنان.-تحقيق: ابن عثيمين- مؤسسة الرسالة -١٤٢١ هـ-بيروت.
- الغزالي محمد بن محمد بن محمد (ت ٥٠٥ هـ).- إحياء علوم الدين: ٢٨٦/١.: محمد بن محمد الغزالي أبو حامد. الناشر: دار االمعرفة - بيروت

- فرات بن إبراهيم الكوفي (ت٣٥٢هـ) -تفسير فرات الكوفي--تحقيق: محمد الكاظم-ط١-سنة ١٤١٠ - الناشر: مؤسسة الطبع والنشر التابعة لوزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي - طهران
- الفيض الكاشاني: محمد محسن (ت ١٠٩١ هـ).-التفسير الأصفى، في تفسير القرآن.-مركز الأبحاث والدراسات الإسلامية.
- الكليني: أبو جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الرازي (ت ٣٢٩ هـ).-الكافي.
- تحقيق: علي أكبر الغفاري- دار الكتب الاسلامية- ط:١- طهران.
- المتقي الهندي: علي بن حسام الدين البرهان فوري (ت ٩٧٥ هـ).-كنز العمال: في سنن الأقوال والأفعال.-تحقيق بكري حياني و صفوة السقا.-مؤسسة الرسالة- ١٤٠٩هـ-بيروت.
- محمد باقر الحكيم: نفسه.-علوم القرآن.-مجمع الفكر الاسلامي -ط٣-مؤسسة الهادي-١٤١٧هـ- قم .
- محمد حسين الطباطبائي: محمد حسين الطباطبائي الحسني (١٤١٢هـ)-الميزان-منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية – قم.
- مسلم بن الحجاج ابن مسلم بن ورد القشيرى النيسابوري(ت٢٦١هـ).- صحيح مسلم .- منشورات دار الفكر. بيروت. لبنان.
- المقريزي (ت٨٤٥هـ)- إمتاع الأسماع- تحقيق: تحقيق وتعليق: محمد عبد الحميد النميسي ط١-الطبع: ١٤٢٠-الناشر: منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان
- ناصر مكارم الشيرازي-الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل.-طبعة جديدة منقحة مع إضافات.
- النعمان بن محمد بن منصور بن أحمد بن حيون التميمي المغربي(ت٣٦٣هـ).- شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار.-منشورات مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين- تحقيق محمد الحسيني الجلالي. مطبعة مؤسسة النشر الإسلامي. قم. إيران.
- الواحدي: أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري (ت ٤٦٨هـ).- أسباب النزول، أسباب نزول الآيات. منشورات مؤسسة الحلبي وشركاه. القاهرة. ١٣٨٨ هـ





الفكر الكلامي عند السيدة الزهراء عليها السلام
الخطبة الفدكية انموذجاً

السيد سلام الخرسان

مقدمة

وبه نستعين، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، المبعوث رحمة للعالمين أبي القاسم المصطفى، وعلى أخيه أمير المؤمنين وسيد الوصيين علي بن أبي طالب وعلى الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين، وعلى أبنائها الطاهرين، لا سيما بقية الله في الأرضين الامام الموعود، والأمل المنشود، الحجة بن الحسن (عجّل الله تعالى فرجه الشريف) واللعن الدائم على اعدائهم اجمعين من الاولين والآخرين..

أما بعد ..

لقد حظي كلام المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين، بعناية فائقة منذُ فجر الاسلام المحمدي الأصيل وحتى عصرنا الحاضر، وسوف يبقى مناراً للأجيال إلى ما شاء الله تعالى.

وقد عرضه العلماء والمتكلّمون والأدباء والشعراء، في كلامهم واغترفوا من هذا المنهل العظيم، فكلامهم عليهم السلام دون كلام الخالق وفوق كلام المخلوقين، كيف لا وهم عدل القرآن، بل هم القرآن الناطق.

ولا شك في أنّ خطبة السيدة الزهراء عليها السلام هي من أشرف الخطب وأعلاها رتبة في البلاغة، وقد اشتملت على المعارف الإلهية، التي هزت بها اركان الظلم والطغيان، وأزالت الغشاوة عن أعين الناس، ولم يكن كلامها مجرد محاججة

ومجادلة مع القوم فحسب، بل كان كلامها دستوراً للعقائد والتشريعات الاسلامية بكل صورها، في التوحيد والعدل وفي النبوة والامامة والمعاد، فكلامها عليها السلام شامل لكل النواحي التكوينية والتشريعية.

ولأجل بيان أسرار هذه الخطبة المباركة فقد اختار الباحث عنوان بحثه (الفكر الكلامي عند السيدة الزهراء عليها السلام الخطبة الفدكية انموذجاً).

وقد قسم البحث على مقدمة وتمهيد وخمسة مباحث.

عرض الباحث في التمهيد أسانيد الخطبة الفدكية.

أمّا المبحث الأول فقد عرض فيه التوحيد، وقد قسمه على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: وجوب النظر في معرفة الله تعالى. وفي المطلب الثاني: أدلة وجود الله تعالى، وفي المطالب الثالث: حقائق التوحيد وأسرار الشهادة بالوحدانية عند الزهراء عليها السلام.

في حين عرض في المبحث الثاني: العدل الإلهي، وقد قسمه على ثلاثة مطالب: المطلب الأول: مفهوم العدل لغة واصطلاحاً والمطلب الثاني: أدلة اثبات عدل الله عز وجل. والمطلب الثالث: العدل الالهي في كلام الزهراء عليها السلام.

وعرض المبحث الثالث: النبوة، وقد قسمه على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: مفهوم النبوة وطرق اثباتها، والمطلب الثاني: أدلة لزوم بعثة الانبياء، والمطالب الثالث: النبوة في فكر السيدة الزهراء عليها السلام.

أما المبحث الرابع: فقد عرض فيه الامامة. وقد قسمه على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول : معنى الامامة لغة واصطلاحا. والمطالب الثاني: طرق إثبات الإمامة والمطالب الثالث: الزهراء عليها السلام ودفاعها عن الإمامة.

وفي المبحث الخامس: المعاد، وقسمه على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: المعاد لغة واصطلاحاً، والمطلب الثاني: ادلة المعاد، والمطالب الثالث: المعاد في فكر الزهراء (_عليها السلام).

وفي الخاتمة ذكر الباحث أهم النتائج التي توصل اليها.

أما أهمية الموضوع واختياره فتكمن في أن الزهراء عليها السلام تعدّ حلقة الوصل بين النبوة والإمامة، بل هي الوعاء الذي حمل الأئمة الطاهرين عليهم السلام.

وكذلك تبرز أهميته بإثراء المكتبة العلمية بفكر أهل البيت عليهم السلام.

أما أهدافه: فهي بيان دور الزهراء عليها السلام في التصدي للظلم والدفاع عن العقيدة الحقة. وكذلك توضيح فلسفة أسرار الأحكام.

والاشارة أيضاً إلى مظلومية أهل البيت عليهم السلام وما تعرضوا له من اغتصاب لحقوقهم وابعادهم عن مراتبهم التي رتبهم الله فيها.

وايضاً ابراز بلاغة السيدة الزهراء عليها السلام في كلماتها النورانية.

أمّا أهم المصادر والمراجع التي اعتمد عليها الباحث للوصول إلى ما كان يصبو اليه، تفسير القرآن الكريم للطباطبائي والطبرسي، وشرح الخطبة الفدكية، وشرح نهج البلاغة، ومحاضرات في الالهيات، والالهيات، وبحار الانوار، والنكت الاعتقادية، وكتب اللغة كلسان العرب ومجمع البحرين والمفردات، والكتب الكلامية ككتاب الذخيرة في علم الكلام، والمواقف في علم الكلام، وما سواها من المصادر والمراجع.

وأخيراً يبتهل الباحث إلى الله سبحانه وتعالى ان يتقبل منه هذا العمل ويجعله خالصاً لوجهه الكريم، وان ينفع به كل من يقرأه أو يطلع عليه، ويجعله في ميزان حسناتهم إنه سميع عليم.

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا ونبينا وشافع ذنوبنا محمد وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين.

التمهيد

أسانيد الخطبة الفدكية

إنَّ هذه الخطبة رواها الموالف والمخالف، وقد اهتمّ بنقلها أهل البيت (عليهم السلام) من الصدر الأول حتى شاعت واشتهرت عند المحدّثين والعلماء..

رغم من سعى من المخالفين والمعاندين لأهل البيت (عليهم السلام) على اخفائها أو رميها بالتلفيق والتزوير - وهذا طبيعي لأنّه فيه تفضيح لزعمائهم - إلاّ أنها ذاع صيتها بين الناس حتى أشار اليها اللغويون القدماء في كتبهم أمثال:

الخليل الفراهيدي (ت١٧٠هـ) حيث قال: (اللُّمَةُ) مخففة: الجماعة من الرجال والنساء أيضاً، وفي الحديث «جاءت فاطمة (عليها السلام) إلى أبي بكر في لمُيمْةٍ من حَفَدتها ونساء قومها»[1] . فقد أشار الفراهيدي هنا إلى خروج السيدة الزهراء (عليها السلام) إلى ابي بكر من أجل المطالبة بحقها بفدك.

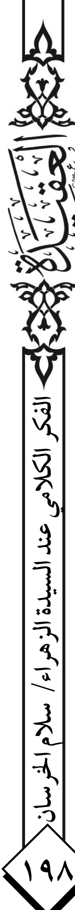
وكذلك ما قاله ابن منظور (ت ٧١١هـ) في معنى (لُمّة): (كل من لقي في سفره من يؤنسُه أو يُرفده. وفي الحديث: لا تسافروا حتى تُصيبوا لُمّة أي: رُفقة.

وفي حديث فاطمة رضوان الله عليها، إنها خرجت في لُمّةٍ من نسائها تتوطأ ذيلها إلى أبي بكر فعاتبته، أي: في جماعة من نسائها ..)[2].

وقوله فعاتبته أيضاً فيه إشارة إلى هذهِ الخطبة.

وأما غيرهم فقد رواها كل من أحمد بن أبي طاهر المعروف بابن أبي طيفور (ت٢٨٠هـ) في كتابه (بلاغات النساء) الذي يعدّ من أقدم الكتب التي ذكرت الخطبة بكاملها بالأسانيد المتضافرة. وهو من المصادر المهمة، وقد رواها عن الأئمة (عليهم السلام)، وعن زينب ابنة أمير المؤمنين (عليهما السلام) وأسندها إليهم[3].

ثم قال : (قال ابو الفضل ذكرت لأبي الحسين زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (صلوات الله عليهم) كلام فاطمة (عليها السلام) عند منع أبي بكر إياها فدك



وقلت له: إنّ هؤلاء يزعمون أنه مصنوع وأنه من كلام أبي العيناء (الخبر منسوق البلاغة) فقال لي: رأيت مشايخ آل أبي طالب يروونه عن آبائهم ويعلمونه أبناءهم وقد حدثنيه أبي عن جدي يبلغ به فاطمة عليها السلام على هذه الحكاية ورواه مشايخ الشيعة وتدارسوه بينهم قبل أن يولد جد أبي العيناء ... إلى أن قال: وهم يروون كلام عائشة عن موت أبيها ما هو أعجب من كلام فاطمة عليها السلام يتحققونه لولا عداوتهم لنا أهل البيت ... ثم ذكر الحديث)[٤].

وروى هذه الخطبة ابو بكر أحمد بن عبد العزيز الجوهري (ت٣٢٣هـ) في كتابه (السقيفة وفدك) فقال: (حدثني احمد بن محمد بن يزيد، عن عبد الله بن محمد بن سليمان، عن أبيه، عند عبد الله بن الحسن بن الحسن، قالوا جميعاً: لما بلغ فاطمة عليها السلام اجماع ابي بكر على منعها فدك، لاثت خمارها، وأقبلت في لمةٍ من حفدتها ونساءِ قومها ..)[٥].

وقال المسعودي (ت٣٤٦هـ) في مروج الذهب: (وأخبار من قعد عن البيعة ومن بايع، وما قالت بنو هاشم، وما كان من قصة فدك، وما قاله أصحاب النص والاختيار في الامامة، ومن قال بإمامة المفضول وغيره، وما كان من فاطمة عليها السلام وكلامها ...)[٦].

وقد رواها الخوارزمي (ت ٥٦٨هـ) عن الحافظ ابن مردويه، في كتابه (مقتل الحسين عليه السلام)[٧].

وذكرها ابن الاثير (ت٦٠٦هـ) في كتابه النهاية في باب (لمة)[٨].

وكذلك ذكرها في كتابه (منال الطالب في شرح طوال الغرائب) إذ أورد الخطبة كاملة.

فقال: (قالت زينب بنت علي بن أبي طالب: لما بلغ فاطمة إجماع أبي بكر على منعها حقها من فدك، لاثت خِمارها، واقبلت في لمةٍ من حفدتها ونساءِ قومها...)[٩].

اما ابن ابي الحديد (ت٦٥٦هـ) فقد روى الخطبة في كتابه (شرح نهج البلاغة) حينما شرح كتاب أمير المؤمنين عليه السلام إلى عثمان بن حنيف عند ذكر الأخبار الواردة في فدك. فقال ابن ابي الحديد: (الفصل الأول فيما ورد من الأخبار والسير المنقولة من أفواه أهل الحديث وكتبهم، لا من كتب الشيعة ورجالهم ... وجميع ما نورده في هذا الفصل من كتاب أبي بكر احمد بن عبد العزيز الجوهري في السقيفة وفدك .. وأبو بكر الجوهري هذا عالمٌ محدِّث كثير الادب، ثقة ورِع، أثنى عليه المحدثون ورووا عنه مصنفاته)[١٠].

ثم قال: (قال ابو بكر: فحدثني محمد بن زكريا قال: حدثني جعفر بن محمد بن عمارة الكندي... عن عبدالله بن الحسن بن الحسن قالوا جميعا: لما بلغ فاطمةعليها السلام إجماع ابي بكر على منعها فدك، لاثت خمارها، واقبلت في لمةٍ من حفدتها ونساء قومها ..)[١١].

وقد رواها الاستاذ عمر رضا كحالة، في كتابه (أعلام النساء)، فقال: (ولما أجمع ابو بكر على منع فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله ، من فدك وبلغ ذلك فاطمة، لاثت خمارها على رأسها وأقبلت في لمة من حفدتها ...)[١٢].

أما في كتب الإمامية فقد ذكرها جملة من العلماء الأعلام منهم:-

الشيخ الصدوق (ت ٣٨١هـ) فقد أورد بعض مقاطعها في كتابه (علل الشرائع) بسند ينتهي إلى زينب بنت علي عليهما السلام، وطرق أخرى عديدة[١٣].

وروى الطبري في كتابه (دلائل الإمامة) فقال: (حدثني ابو المفضل محمد بن عبد الله، قال: حدثنا ابو العباس احمد أبن محمد بن سعيد الهمداني، قال : حدثني احمد بن محمد بن عثمان بن سعيد الزيات، قال: حدثنا محمد بن الحسين العضباني، قال: حدثنا أحمد بن محمد بن نصر البزنطي عن السكوني عن أبان بن عثمان الأحمر عن أبان بن تغلب الربعي عن عكرمة عن ابن عباس قال: لما بلغ فاطمة

اجتماع أبي بكر على منع فدك ..)[١٤].

وروى الشيخ الطبرسي (ت٦٢٠هـ) في كتابه (الاحتجاج) بسند عن ابي عبد الله بن الحسن بأسناده عن آبائه عليهم السلام أنه لما أجمع أبو بكر وعمر على منع فاطمة عليها السلام فدكاً، وبلغها ذلك لاثت خمارها على رأسها، واشتملت بجلبابها، وأقبلت في لمة من حفدتها ونساء قومها..)[١٥].

وقال العلامة بهاء الدين الأربلي في كتابه (كشف الغمة في معرفة الأئمة): (أن خطبة فاطمة عليها السلام نقلتها من كتاب (السقيفة) عن عمر بن شبة تأليف أبي بكر احمد بن عبد العزيز الجوهري من نسخة قديمة مقروءة على مؤلفها المذكور، قرأت عليه في ربيع الآخر سنة اثنين وعشرين وثلاثمائة، روى عن رجاله من طرق عدّة: أن فاطمة عليها السلام لما بلغها اجماع ابي بكر على منعها فدكاً لاثت خمارها وأقبلت في لميمةٍ من حفدتها ...)[١٦].

وذكر السيد ابن طاووس (ت٦٦٤هـ) في كتابه (الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف) موضع الشكوى والاحتجاج من هذه الخطبة عن الشيخ اسعد بن شقروة في كتابه (الفائق).

... قال: (حدثنا شرفي بن قطامي عن صالح بن كيسان عن الزهري عن عروة عن عائشة أنها قالت: لما بلغ فاطمة عليها السلام أن أبا بكر قد أظهر منعها فدك لاثت خمارها على رأسها واشتملت بجلبابها وأقبلت في لمة من حفدتها ونساء قومها...)[١٧].

وقال العلامة الامام السيد شرف الدين في كتابه (النص والاجتهاد): (السلف من بني علي وفاطمة يروي خطبتها في ذلك اليوم لمن بعده ومن بعده رواها لمن بعده حتى انتهت إلينا يداً عن يد، فنحن الفاطميون نرويها عن آبائنا، وآباؤنا يروونها عن آبائهم، وهكذا كانت الحال في جميع الأجيال إلى زمن الائمة عليهم السلام من ابناء علي وفاطمة عليها السلام [١٨].

ثم يذكر أن هذه الخطبة قد ذكرت في كتب عديدة وبطرق وأسانيد متعددة، فقال: (ودونكموها في كتاب (الاحتجاج) للطبرسي، وفي (بحار الانوار)، وقد اخرجها من أثبات الجمهور وأعلامهم ابو بكر أحمد بن عبد العزيز الجوهري في كتاب (السقيفة وفدك) بطرق وأسانيد ينتهي بعضها إلى السيدة زينب بنت علي وفاطمة عليهما السلام، وبعضها إلى الامام ابي جعفر محمد الباقر عليه السلام، وبعضها إلى عبد الله بن الحسن بن الحسن يرفعونها جميعاً إلى الزهراء عليها السلام، وأخرجها ايضا ابو عبيد الله محمد بن عمران المرزباني بالإسناد الى عروة بن الزبير ... ونقل ثمة عن زيد أنه قال: رأيت مشايخ آل أبي طالب يروونها عن آبائهم ويعلمونها أولادهم)[١٩].

وقال الشريف المرتضى في مقام الرد على القاضي عبد الجبار مؤلف (المغني): (روى اكثر الرواة الذين لا يتهمون بتشيع ولا عصبية فيه من كلامها عليها السلام في تلك الحال، بعد انصرافها عن مقام المنازعة والمطالبة ما يدل على ما ذكرناه من سخطها وغضبها)[٢٠].

ثم يذكر أسانيد عدّة تثبت صحة هذه الخطبة وصدورها من السيدة الزهراءعليها السلام، فيقول: (نحن نذكر من ذلك ما يستدل به على صحة قولنا، قال المرزباني: وحدثنا أبو بكر احمد بن محمد المكي قال: حدثنا أبو العينا محمد بن القاسم السيمامي، قال: حدثنا ا بن عائشة قال: لما قبض رسول الله صلى الله عليه وآله أقبلت فاطمة عليها السلام في لمة من حفدتها إلى أبي بكر ...)[٢١].

وقال العلامة المجلسي (ت١١١١هـ): (أعلم أ ن هذه الخطبة من الخطب المشهورة التي روتها الخاصة والعامة بأسانيد متضافرة ... قال ابو بكر : حدثني احمد بن محمد بن ز يد ، عن عبد الله بن محمد بن سليمان، عن ابيه، عن عبد الله بن الحسن. قالوا جميعا: لما بلغ فاطمة عليها السلام اجماع أبي بكر على منعها فدك لاثت خمارها وأقبلت في لمة من حفدتها ونساء قومها ...)[٢٢].

المبحث الأول
(التوحيد)

وفيه ثلاثة مطالب :

- **المطلب الأول: وجوب النظر في معرفة الله تعالى:**

انَّ الحقيقة التي يجب أن يؤمن بها كل مسلم هي وجوب وحدانية الله عز وجل، أي إنَّ الله واحد لا شريك له في الملك.

وإنَّ الخطوة الأساس في الدين هي معرفة الله سبحانه وتعالى، والى هذا المعنى اشار سيد البلغاء والمتكلمين الإمام علي بن ابي طالب عليه السلام بقوله: «أول الدين معرفته، وكمال معرفته التصديق به وكمال التصديق به توحيده وكمال توحيده الاخلاص له، وكمال الاخلاص له نفي الصفات عنه ...)[٢٣].

قال التستري (ت ١٠١٩هـ): (إنّ النظر واجبٌ بالعقل، الحق أن مدرك وجوب النظر عقلي لا سمعي وإن كان السمع قد دل عليه أيضاً بقول تعالى (قال انظروا)[٢٤] وقال الاشاعرة: قولاً يلزم منه انقطاع حجج الأنبياء، وظهور المعاندين عليهم وهم، فقالوا: إنه واجب بالسمع لا بالعقل وليس يجب بالعقل شيء البتة...)[٢٥].

قال الفضل بن روزبهان الخنجي الشيرازي: (اعلم أن النظر في معرفة الله تعالى واجبٌ بالاجماع، والاختلاف في طريق ثبوته، فعند الاشاعرة طريق ثبوته السمع لقوله تعالى: (قل انظروا)[٢٦].

وأما المعتزلة والامامية فهم أيضاً يقولون بوجوب النظر، لكن يجعلون مدركه العقل لا السمع)[٢٧] في حين قال الشهيد الثاني: (اعلم أن العلماء اطبقوا على وجوب معرفة الله تعالى بالنظر وأنها لا تحصل بالتقليد، إلا من شذ منهم

كعبدالله بن الحسن العنبري، والحشوية، والتعليمية، إذ ذهبوا إلى جواز التقليد في العقائد الأصولية كوجود الصانع وما يجب له ويمتنع والنبوة والعدل وغيرها، بل ذهب بعضهم إلى وجوبه لكن اختلف القائلون بوجوب المعرفة في انه عقلي أو سمعي، فالامامية والمعتزلة على الاول والاشعرية على الثاني)[٢٨].

وقد أشارت كثير من كتب علماء الشيعة الامامية المعدة للعقائد إلى حكم العقل بوجوب تحصيل المعرفة بالله عز وجل، وكذلك في طيات بعض الكتب الفقهية، وأغلب تلك المصادر تؤكد على أن هذا الوجوب يجب أن يكون مستنداً للدليل العقلي.

ويمكن أن يُتصور نوعان لمعرفة الله: المعرفة الحضورية والمعرفة الحصولية.

والمعرفة الحضورية: تعني أن يتعرف الانسان على الله عن طريق نوع من الشهود الباطني والقلبي من دون توسيط المفاهيم الذهنية.

ومن البديهي أن من يملك هذا الشهود الشعوري (النابه أو الواعي) بالنسبة لله تعالى لا يحتاج إلى الاستدلال والبرهان العقلي، ولكن مثل هذا العلم لايتحصل لأي كان، فهو يحتاج إلى بناء النفس واجتياز مراحل السير والسلوك العرفانية[٢٩].

وطبيعي أن هذا العلم وكما نعتقده موجود عند الانبياء عليهم السلام وعند الأئمة المعصومين عليهم السلام إذ أنهم كانوا يتميزون بنوع من الشهود منذ طفولتهم.

والمعرفة الحصولية: تعني أن يتوصل الانسان من خلال بعض المفاهيم الكلية أمثال (الخالق الغني العالم بكل شيء والقادر على كل شيء ...) إلى معرفة ذهنية بمعنى (غيبي) عن الله تعالى ليؤمن بوجود مثل هذا الموجود المتعالي في حدود هذه المعلومات ... ثم يضيف اليهامعلومات حصولية أخرى، ومن خلال ذلك كله يتوصل إلى نظام عقائدي متناسق (الرؤية الكونية)[٣٠].

ورغم وجود طرق متعددة ومختلفة لمعرفة الله تعالى، إلاّ أن أسهل الطرق وأوضحها يتمثل في التأمل في آيات الله تعالى وشواهده، تلك الآيات التي تحتاج إلى تفكر والتي تؤدي إلى الدلالة على معرفة الله سبحانه وتعالى. وإن هذا الطريق يوجه الانسان بصورة مباشرة نحو خالق الكون وموجده. من خلال ايقاظ المعرفة الفطرية لدى الانسان. فكل ما موجود في هذا الكون هو عبارة عن آيات دالة على خالق عظيم ومقدر قدير لا يعزب عن علمه مثقال ذرة لا في الأرض ولا في السماء. كما أن الانسان في الحياة الدنيا غارق في النعم، وهذا واضح لكل عاقل ولا يمكن لأحدٍ ان ينكره، وعليه فإنّ العقل يحكم بوجوب شكر المنعم، وهذا الشكر لا يمكن أن يتحقق إلا من خلال معرفة المنعم. ومن هنا وجب البحث عن المنعم الذي أفاض هذه النعم على الانسان.

- **المطلب الثاني: أدلة وجود الله تعالى:**

هناك اختلاف بين الفرق الاسلامية فيما يتعلق بالادلة التي أوردوها لاثبات وجود الله تعالى، فمنهم من قال بأن العقل هو أصل المعرفة واعتمد القرآن الكريم بوصفه معجزاً وبرهاناً في إثبات الله تعالى، وقد وافق هؤلاء الاشعرية [٣١].

وبعض علماء ابناء العامة[٣٢]، ومنهم من اعتمد على أدلة أخرى كدليل الجوهر الفرد أي الاعتقاد بوجود الجزء الذي لا يتجزأ، وهو ما عليه فريق واسع من المسلمين وهم غالبية المعتزلة وجمهور المتكلمين، ويرى ابو القاسم البلخي المعتزلي (ت٣١٩هـ) مثلا أن امتداد الجسم ناشئ عن التأليف بين الجواهر الأفراد لا لأن للجواهر الأفراد حجوماً.

ومن أوائل المعتزلة الذين قالوا بالجوهر الفرد هو الهذيل العلاف (ت٢٧٧هـ) والجبائي (ت٣٠٣هـ) [٣٣]، في حين كان ابراهيم النظام (ت٢٢١هـ) من خصوم مذهب الجزء الذي لا ينقسم[٣٤]، وهناك دليل آخر يعدّ من البراهين التي يستدل بها على

اثبات وجود خالق الكون، وهو ما يعرف بـ(برهان الحدوث) وهو مشهور عند المتكلمين[٣٥]. وأيضاً من البراهين والادلة الاخرى الدالة على وجود خالق لهذا الكون، هو برهان النظم، الذي يُعد من أوضح البراهين العقلية تناولاً للجميع، عن طريق مشاهدة النظام الدقيق السائد في هذا الكون والتفكر فيه.

وان برهان النظم يقوم على مقدمتين: احداهما حسية، والاخرى عقلية.

أما الأولى: فهي هناك نظام سائد على الظواهر الطبيعية التي يعرفها الانسان أما بالمشاهدة الحسية الظاهرية أو بفضل الأدوات والطرق العلمية التجريبية[٣٦].

حيث إنّ العلوم الطبيعية لا زالت إلى اليوم تكتشف اموراً جديدة في نظام الطبيعة وكلما تطورت هذه العلوم توصلت إلى اكتشافات أخرى.

أما المقدمة الثانية: فهي أن العقل بعد ما لاحظ النظام وما يقوم عليه من التوازن والانسجام، يحكم بالبداهة بأن هذا الأمر لا يصدر إلا عن فاعل قادر عليم ذي إرادة وقصد، ويستحيل تحققها صدفة[٣٧].

ونرى أن الوحي القرآني قد اعطى برهان النظم اهتماماً بالغاً، وهناك آيات كثيرة في القرآن الكريم تدعو الانسان إلى التفكر في نظام الكون وما يحويه من الاتقان والابداع.

قال تعالى:﴿**إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ...**﴾[٣٨].

وقال الامام الصادق عليه السلام لتلميذه المفضل بن عمر: (أول العبر والأدلة على الباري جل قدسه، تهيئة هذا العالم وتأليف اجزائه ونظمها على ما هي عليه، فإنك إذا تأملت بفكرك ونيرته بعقلك وجدته كالبيت المبني المعد فيه جميع ما يحتاج اليه العباد، فالسماء مرفوعة كالسقف، والأرض ممدودة كالبساط، والنجوم مضيئة كالمصابيح... ففي هذا دلالة واضحة على أن العالم مخلوق بتقدير وحكمة ونظام وملاءمة...)[٣٩].

- **المطلب الثالث: حقائق التوحيد وأسرار الشهادة بالوحدانية عند الزهراء عليها السلام :**

قالت مولاتنا فاطمة الزهراء عليها السلام في خطبتها الغراء :

«وَأَشْهَدُ أَنْ لا إلهَ إلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لا شَريكَ لَهُ، كَلِمَةٌ جَعَلَ الإِخْلاصَ تَأْويلَها، وَضَمَّنَ الْقُلُوبَ مَوْصُولَها، وَأَنارَ في الْفِكَرِ مَعْقُولَها. الْمُمْتَنِعُ مِنَ الإِبْصارِ رُؤْيِتُهُ، وَمِنَ الأَلْسُنِ صِفَتُهُ، وَمِنَ الأَوْهامِ كَيْفِيَّتُهُ. اِبْتَدَعَ الأَشْياءَ لا مِنْ شَيْءٍ كانَ قَبْلَها، وَأَنْشَأَها بِلا احْتِذاءِ أَمْثِلَةٍ امْتَثَلَها، كَوَّنَها بِقُدْرَتِهِ، وَذَرَأَها بِمَشِيَّتِهِ»[٤٠].

هذه الكلمات تضمنت معارف عجيبة، والمتأمل فيها يصل إلى اعماق الفكر التوحيدي، على لسان الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام .

لقد افتتحت الزهراء عليها السلام قولها بـ(أشهد أن لا إله إلا الله ..) وكلمة الشهادة على السنة الناس هي عبارة عن العلم والادراك، ويدركون بوجدانهم وبفطرتهم وبعقولهم أن لا إله الا الله.

وأما على لسان الصديقة الزهراء عليها السلام فهي تعني فوق الادراك، وهي فوق التصور، لأنّ هؤلاء هم خاصة خلق الله، وممن اصطفاهم الله، فلا بد من أن يكونوا في أعلى درجات الكمال. فإذاً الزهراء عليها السلام تشير بهذه الشهادة إلى الذات المقدسة التي لا يمكن ان تكون لها شراكة على الاطلاق.

وقال العلامة المجلسي: (الشهادة بمعنى: الحضور والمعاينة و(وحده) معرف في معنى النكرة، أي منفرداً عن غيره ومتوحداً، ولا شريك له، حال بعد حال، وكلاهما حال عن لفظ الجلالة، والحال الأول دال على ثبوت الصفات الكمالية له تعالى ... والحال الثاني دال على نفي جهات النقيصة وسلبها عنه ...)[٤١].

ثم قالت كلمة الشهادة التوحيدية «كلمة جعل الاخلاص تأويلها»، والمراد بالإخلاص هنا جعل الاعمال كلها خالصة لله تعالى وعدم شوب الرياء والاغراض الفاسدة، فهذا تأويل كلمة التوحيد، لأن من ايقن بأنه الخالق والمدبّر وبأنّه لا

شريك له في الالهية، فحق له أن لا شريك في العبادة غيره، ولا يتوجه في شيء من الامور إلى غيره) [٤٢].

ويتضح هنا أن الناس في قضية التوحيد على اتجاهات وفرق، فمنهم من ينظر إلى الله تعالى موصوفاً بالحركة، وأخرى موصوفاً بالنزول كما في مرويات ابناء العامة، فقد جاء في بعضها: أنَّ الله ينزل إلى السماء الدنيا[٤٣]. وفي بعضها أنه يطأ برجله نار جهنم، فتقول: قط قط لقد امتلأت[٤٤]، وهذا خلاف التوحيد الخالص الذي أشارت له الزهراء عليها السلام. فهي عليها السلام تريد أن تبين أن التوحيد الخالص متمثل في أهل البيت عليهم السلام وبمن تبعهم وسار على نهجهم وهم الامامية.

وأما قولها عليها السلام «وضمّن القلوب موصولها، وانار في التفكير معقولها»، يقول العلامة المجلسي: (هذه الفقرة تحتمل وجوهاً: الأول: أن الله تعالى ألزم وأوجب على القلوب ما تستلزمه هذه الكملة من عدم تركبه تعالى وعدم زيادة صفاته الكمالية الموجودة وأشباه ذلك مما يؤول التوحيد.

الثاني: أن يكون المعنى: جعل ما يصل إليه العقل من تلك الكلمة مدرجاً في القلوب مما أراهم من الآيات في الآفاق وفي أنفسهم أو بما فطرهم عليه من التوحيد[٤٥]، ومعنى ذلك أن ما يدرك ويوصل اليه من التوحيد ولوازمه أمر جعل في ضمن القلوب، لأنها مفطورة على قبوله، ومتهيأة لاعتناقه.

ومعنى (وأنار في التفكير معقولها) أي قبول المعارف الحقة لا عن تقليد أو تلقين وإنما عن طريق التفكر بالأدلة والبراهين.

ويعتقد الباحث أن في هذه الفقرة اشارة من الزهراء عليها السلام إلى التوحيد الفطري والنظري فقولها عليها السلام: (وضمّن القلوب موصولها) بمعنى أن ما من قلب الا ويعترف ويتوصل إلى حقيقة أن لا إله الا الله عن طريق الفطرة المودعة فيه التي فطر الله الناس عليها.

وقولها عليها السلام: (وأنار في التفكير معقولها) بمعنى أن العقول لو توجهت إلى الله تعالى ورأت آثاره وعظمته في هذا الكون، وتفكرت في كل شيء، لتوصلت إلى حقيقة التوحيد وهذا ما يصطلح عليه بالتوحيد النظري.

ثم تقول عليها السلام: (الممتنع من الأبصار رؤيته، ومن الألسن صفته، ومن الأوهام كيفيته). يقول العلامة المجلسي: (المراد من الرؤية هنا هي الرؤية بالعين، والغرض من امتناع الرؤية عن الوقوع في الأبصار نفيها، فقد شبهت عليها السلام الرؤية المفروضة بصيد يمتنع من الوقوع في الحبالة، ويجري هذا في الجملتين التاليتين ايضا، فإنَّ امتناع صفته من الألسن وامتناع كيفيته من الأوهام كناية عن أن لا صفة ولا كيفية له تعالى اصلاً)[٤٦].

ونلاحظ هنا أن السيدة الزهراء عليها السلام قد تدرجت بكلامها بشكل دقيق، إذ ابتدأت بالبصر بمعنى أن البصر محدود الرؤية، ثم انتقلت إلى اللسان الذي هو أوسع من البصر إذ انه يقدر على وصف ما يراه وما لا يراه، ثم انتقلت إلى الأوهام، بمعنى حتى بهذا المقدار من الوهم والخيال لا يمكن وصف الله تعالى، لأن الانسان مهما امتلك من قابليات وقدرات فإنه يبقى محدوداً بقدراته، فكيف يستطيع أن يصف اللامحدود؟ ثم قالت عليها السلام: (ابتدع الأشياء لا من شيء كان قبلها، وأنشأها بلا احتذاء أمثلة أمتثلها، كوّنها بقدرته، وذرأها بمشيئته...).

هنا معنيان: أحدهما أن خلقه تعالى بديع أي جديد لا مثال له سبقه. والآخر أن خلقه إحداث وانشاء لا مادة له قبله. وقد اشتمل كل من الجملتين على المعنيين جميعا. فقولهاعليها السلام ابتدع الاشياء، دل على المعنى الأول، وتقييده بقولهاعليها السلام: لا من شيء كان قبلها، دل على المعنى الثاني [٤٧] أي كوّنها بقدرته وذرأها بمشيئته.

المبحث الثاني
(العدل الإلهي)

وفيه ثلاثة مطالب :

- **المطلب الأول: مفهوم العدل لغة واصطلاحاً:**

العدل لغة: قال الراغب الاصفهاني (ت٥٠٢هـ): (العدالةُ والمعادلة لفظٌ يقتضي معنى المساواة ويستعمل باعتبار المضايقة والعَدلُ والعِدل يتقاربان)[٤٨].

وقال ابن منظور (ت٧١١هـ): (العدل: ما قام في النفوس أنه مستقيم، وهو ضد الجور، والعدالة والعُدولة والمعدلة، كلُّه: العدل، وتعديل الشهود: أن تقول إنهم عدول، وعدّل الحكم أقامه، وعدّل الرجل: زكاه)[٤٩].

و(العدل) من أسماء الله تعالى، وهو مصدر أُقيم مقام الاسم، والمقصود منه المبالغة في وصفه تعالى بأنه عادل، أي: كثير العدل[٥٠].

أما معنى العدل في الاصطلاح العقائدي:

فهو يعني تنزيه الله تعالى عن فعل القبيح والاخلال بالواجب[٥١].

ومعنى الوجوب هنا لا يعني أنه تعالى محكوم بأوامر غيره، بل يعني أننا نكتشف عن طريق التدبر في صفاته تعالى انه حكيم، وتقتضي حكمته أن يفعل كذا، لأن عدم فعله له يؤدي إلى الاخلال بحكمته[٥٢].

وقد وردت آيات قرآنية متضمنة لمعنى الوجوب على الله تعالى منها:

قوله تعالى: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ الانعام/٥٤.

أي أوجب الله تعالى على نفسه الرحمة[٥٣].

اشتهر الخلاف حول مسألة العدل الالهي بين المسلمين من بداية القرن الثاني للهجرة، واستمرّ هذا الخلاف مع مرور الايام، بحيث اصبحت هذه المسألة

علامة بارزة للتفريق بين من يعتقد بها وبين غيره.

فالأشاعرة تقول أن صفة العدل منتزعة من فعل الله تعالى من حيث هو فعل الله ومن رأيهم أن أي فعل بذاته ليس عدلاً ولا ظلماً(٥٤).

فالاشاعرة فسروا (العدل الالهي) بصورة تؤدي إلى نفيه، فوقف أتباع مذهب أهل البيت عليهم السلام بقوة أمام هذا التفسير، ودافعوا عن العدل الالهي بحيث عرفوا بعد ذلك بالعدلية، وعُدّ العدل الالهي أصلاً من أصول العقائد.

- **المطلب الثاني: أدلة أثبات عدل الله عز وجل:**

لا يخلو الداعي إلى فعل القبيح والظلم عن أربع صور هي:

الأولى: الجهل بالقبح: وهي أن يكون فاعل القبيح جاهلاً بقبح ما يفعله.

الثانية: العجز عن تركه: وهي أن يكون فاعل القبيح عالماً بقبح ما يفعله، ولكنه عاجز عن تركه.

الثالثة: الاحتياج اليه: وهي أن يكون فاعل القبيح عالماً بقبح ما يفعله، وغير عاجز عن تركه، ولكنه محتاج إلى فعله.

الرابعة: فعله عبثاً: وهي أن يكون فاعل القبيح عالماً بقبح ما يفعله، وغير عاجز عن تركه، وغير محتاج إلى فعله، ولكنه يفعله عبثاً.

والله سبحانه وتعالى منزه عن جميع هذه الصور (وهي الجهل والعجز والاحتياج والعبث)، لأنه تعالى هو العالم والقادر والغني والحكيم على الاطلاق، فلهذا يستحيل عليه فعل القبيح أو الظلم(٥٥).

وذكر معظم علماء الشيعة أن الله تعالى لا يفعل الظلم والقبيح لعلمه بقبحه واستغنائه عنه(٥٦).

ومن الأدلة الأخرى أن الله سبحانه وتعالى حكيم وهذه الحكمة تستوجب عدم فعله للظلم، لأن الظلم لا ينسجم مع الحكمة.

كذلك إن الله سبحانه وتعالى ذم الظالمين وندّد بهم ونهى الناس عن الظلم، فكيف يكون سبحانه وتعالى ظالماً للعباد؟

قال تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ**﴾[٥٧].

- **المطلب الثالث: العدل الالهي في كلام الزهراء عليها السلام** :

قالت فاطمة الزهراء عليها السلام : «ثُمَّ جَعَلَ الثَّوابَ على طاعَتِهِ، وَوَضَعَ العِقابَ عَلى مَعْصِيتِهِ، ذِيادَةً لِعِبادِهِ عَنْ نِقْمَتِهِ، وَحِياشَةً مِنْهُ إلى جَنَّتِهِ»[٥٨].

لقد اشارت السيدة الزهراء عليها السلام بهذه الكلمات النورانية إلى أصل مهم من أصول الاعتقاد ألا وهو العدل الإلهي.. أي إنَّ الله سبحانه وتعالى عادلٌ في كل شيء ومن عدله أن جعل الثواب على طاعته، ووضع العقاب على معصيته.

ويقول العلامة المجلسي: (كأن المراد من جعل الثواب والعقاب بيان ترتبهما على الطاعة والمعصية بلسان أنبيائه وسفرائه)[٥٩].

لقد بينت الصديقة الزهراء عليها السلام من خلال هذا المقطع من خطبتها إلى جملة من المسائل العقائدية، منها:

الأولى: مسألة التكليف:

وهو حسن لأنه يشتمل على مصلحة، وهذه المصلحة هي التعريض لنفع عظيم لا يمكن الحصول عليه إلا عن طريق التكليف، وهذا النفع هو الثواب[٦٠].

وقد اتفقت العدلية على وجوب التكليف من الله تعالى للعباد[٦١].

وهذا لا يعني فرض الوجوب عليه تعالى من غيره بل يعني أن الحكمة الالهية تقتضي ذلك. وقد ذكر الشريف المرتضى (ت ٤٣٦هـ) في كتابه (الذخيرة) ادلة وجوب التكليف من الله تعالى للعباد حيث قال: (ان العباد يجهلون الكثير مما يعود

عليهم بالنفع والصلاح ومما يعود عليهم بالضرر والخسران، ولهذا تقتضي رحمة الله تعالى ولطفه أن يبين للعباد ما فيه النفع والصلاح لهم، ويرشدهم إلى طرق الخير والسعادة، ويأمرهم باتباعها، ويبين لهم ما فيه الضرر والخسران، ويزجرهم عن طريق الشر والشقاء وينهاهم عن أتباعها(٦٢).

ومن شروط حسن التكليف ان يكون المكلف قادراً على ما يُكلَّف به، لأن تكليف ما لا يطاق قبيح، والله تعالى منزه عن فعل القبيح، ولكن ذهب الاشاعرة إلى عكس هذا القول.

ومن أدلة قبح التكليف بما لا يطاق: أن العقل يحكم على نحو البداهة والضرورة فيصبح التكليف بما لا يطاق(٦٣).

كما أن المكلف عاجز عن امتثال التكليف بما لا يطاق، وتكليف العاجز ومؤاخذته عليه ينافي العدل والحكمة الإلهية(٦٤).

وإن غاية التكليف أن يفعل المكلف ما كُلِّف به، وتنتفي هذه الغاية فيما لو كان التكليف فوق استطاعة المكلّف، فيكون – في هذه الحالة – عبثاً، والعبث قبيح(٦٥).

في حين ذهب الاشاعرة إلى جواز أن يكلف الله تعالى العباد بما لا يطيقون، وقالوا: بأن التكليف بما لا يطاق جائز، ولا يمتنع عليه تعالى أن يكلف العباد بما هو فوق وسعهم وطاقتهم وما لا يقدرون عليه(٦٦).

الثانية: مسألة الجبر والاختيار في أفعال العباد:

حيث عدّ أصحاب الملل والنحل الطائفة الجهمية اول من قالت بالجبر ووصفوها بالجبرية الخالصة، وكان جهم يقول: (لا فعل ولا عمل لأحدٍ غير الله، وإنما تنسب الاعمال إلى المخلوقين مجازاً)(٦٧).

وقال الشهرستاني إنّهم يقولون: (ان الانسان لا يقدر على شيء ولا يوصف

بالاستطاعة وانما هو مجبور في أفعاله لا قدرة له ولا ارادة ولا اختيار، وإنما يخلق الله تعالى الافعال فيه على حسب ما يخلق في سائر الجمادات.. وإذا ثبت الجبر فالتكليف ايضا كان جبراً)[٦٨].

ولا شك في أنّ هذا المذهب باطل، فلو كان ما ذهبوا إليه صحيحاً لبطل التكليف والوعد والوعيد والثواب والعقاب، ولأصبح ارسال الرسل وانزال الكتب شيئاً عبثياً، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

وقالت الاشاعرة بنظرية الكسب أي: أنّ أفعال العباد مخلوقة لله تعالى حقيقة والعبد مكتسبها، أي: إنّ الباري تعالى هو خالق اعمال العباد خيرها وشرها، حسنها وقبيحها، والعبد مكتسب لها، ويثبتون تأثيراً للقدرة الحادثة ويسمون ذلك كسباً[٦٩].

أمّا المعتزلة فقالوا: إنّ أفعال العباد مفوضة إليهم وهم الفاعلون لها لما منحهم الله من القدرة، وليس لله سبحانه شأن في أفعال العباد.

وقال القاضي عبد الجبار (ت٤١٥هـ): (ذكر شيخنا ابو علي: اتفق أهل العدل على أن أفعال العباد من تصرفهم وقيامهم وقعودهم، حادثة من جهتهم، وأن الله عز وجل أقدرهم على ذلك ولا فاعل لها ولا محدث سواهم)[٧٠].

وقد تضافرت الآيات الكريمة على بطلان هذه النظرية، وكذلك ما ورد في السنة من روايات ناقدة لنظرية التفويض، كما روى الصدوق في الأمالي عن هشام.

قال: قال ابو عبد الله عليه السلام: (إنا لا نقول جبراً ولا تفويضاً)[٧١].

وعن أبي حمزة الثمالي أنه قال: قال أبو جعفر عليه السلام للحسن البصري: (إياك أن تقول بالتفويض فإن الله عز وجل لم يفوض الأمر إلى خلقه وهناً منه وضعفاً، ولا أجبرهم على معاصيه ظلماً)[٧٢].

أما الإمامية فقد ذهبوا إلى نظرية ثالثة يؤيدها العقل ويدعمها الكتاب والسنة، وهي نظرية الامر بين الامرين التي قال بها أئمة أهل البيت عليهم السلام، وقد اختارها الحكماء الاسلاميين والامامية من المتكلمين.

قال الشيخ المفيد: (إنّ الله تعالى أقدر الخلق على أفعالهم، ومكنهم من أعمالهم، وحدّ لهم الحدود في ذلك... فلم يكن بتمكينهم من الاعمال مجبراً لهم عليها، ولم يفوض اليهم الاعمال لمنعهم من اكثرها، ووضع الحدود لهم فيها وأمرهم بحسنها ونهاهم عن قبيحها، فهذا هو الفصل بين الجبر والتفويض)[٧٣].

وسُئل الإمام جعفر الصادق عليه السلام: أأجبر الله العباد على المعاصي؟

فقال عليه السلام: لا.

فقال السائل: ففوّض اليهم الأمر؟

فقال عليه السلام: لا.

فقال السائل: فماذا؟

فقال الإمام الصادق عليه السلام: (لطف من ربك بين ذلك)[٧٤].

وقد اتضح مما سبق ان الزهراء عليها السلام أشارت إلى جملة من المسائل الاعتقادية التي حارت لها العقول باجزل عبارة وأروع بيان حينما قالت: (ثم جعل الثواب على طاعته، ووضع العقاب على معصيته، ذيادةً لعباده عن نقمته، وحياشةً منه إلى جنته) أي إنّ الله عز وجل يدفع ويمنع عباده عن النقم بلطفه ومنه، وكذلك يسوق العباد إلى الجنة .. وكل هذا بسبب الثواب والعقاب على الاعمال. فهي بذلك قد نسفت قواعد الاعتقاد الفاسدة للمجبرة والمفوضة .. وكذلك نسفت الاعتقادات الفاسدة التي تقول بأنَّ الله يكلف العباد بما لا يطيق.

المبحث الثالث
(النبـوة)

وفيه ثلاثة مطالب:

- **المطلب الأول: مفهوم النبوة وطرق إثباتها:**

النبوة: هي الاخبار عن الله تعالى، والنبي هو الانسان المخبر عن الله تعالى، بغير واسطة بشر، أعم من أن يكون له شريعة كسيدنا محمد صلى الله عليه وآله، أو ليس له شريعة كيحيى عليه السلام [٧٥].

وقيل: النبي هو الطريق، ويقال للرسل: أنبياء الله لكونهم طرق الهداية إليه، فالنبوة بمعنى طريقة الهداية كما يستفاد من ذلك[٧٦].

والاعتقاد بالنبوة والانبياء اصل من أصول الدين، وبما أن صفحات التأريخ تشهد على وجود أناس ادعوا السفارة من الله تعالى عن كذب وافتراء، ولم يكن همهم الا حب الدنيا، والوصول إلى السلطة، فلا بد في تمييز النبي عن المدعي كذباً وزوراً من ضوابط ومعايير تكون هي الفصل في إثبات الحق. وقد حصر العلماء هذه الضوابط في أمور ثلاث:

الأول: التحدي بالإعجاز:

تجهيز الانبياء بالمعاجز عند طرحهم دعوى النبوة – والاعجاز يدل بالدلالة المنطقية على صدق دعواه، ذلك لأن المعجزة فيها خرق للنواميس الطبيعية فلا يمكن ان تقع من أحد الا بعناية من الله تعالى، واقتدار منه، فلو كان كل مدع للنبوة كاذباً في دعواه كان اقداره على المعجزة من قبله سبحانه اغراراً بالجهل، واشادة بالباطل، وذلك محال على الحكيم تعالى، فإذا ظهرت المعجزة على يده كانت دالة على صدقه وكاشفة عن نبوته[٧٧].

قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ * لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ * ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ * فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾(٧٨). يبين الله سبحانه وتعالى في هذه الاية المباركة أن النبي صلى الله عليه وآله اثبتنا نبوته وصدقناه بالمعجزة ولا يمكن له أن يتقول علينا والا أخذناه باليمين ولقطعنا منه الوتين.

الثاني: تنصيص النبي السابق على نبوة اللاحق:

اذا اثبتت نبوة نبي بدلائل مفيدة للعلم ثم نص هذا النبي على نبوة نبي لاحق يأتي بعده، كان ذلك حجة قطعية على نبوة النبي اللاحق ، لا تقل في دلالتها عن المعجزة(٧٩).

وقد ورد في القرآن الكريم حكاية عن لسان نبي الله عيسى عليه السلام قوله سبحانه وتعالى: ﴿**وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ**﴾(٨٠).

الثالث: جمع القرائن والشواهد:

إنّ جمع القرائن والشواهد ضابطة مطردة في المحاكم الوضعية يتخذها القضاة في اصدار احكامهم، ويستند اليها المحامون في ابراء موكليهم، فيجمع تلك القرائن والشواهد يمكن أن نستعلم صحة دعوى المدعي أو إنكار المنكر.

فعلى ضوء ذلك، للباحث أن يتحرى القرائن المكتنفة بدعوى النبوة حتى يقطع معها بصدق الدعوى أو كذبها وهذه القرائن تتلخص في الأُمور الآتية:

أ- سيرة المدعي قبل النبوة ب- سماة بيئته ج- مضمون الدعوة د- ثباته في طريق الدعوة هـ- الادوات التي يستخدمها في نشر دعوته و- المؤمنون الملتفون حوله ز- مكانة أتباعه في الورع والتقوى والعلم والوعي(٨١).

ومن خلال هذه الشواهد والقرائن نستطيع أن نثبت أحد الأمرين:

أما أن يكون نبياً صادقاً مرسلاً من قبل الله تعالى. وأما أن يكون مدعياً كاذباً لا أساس له من الصحة.

وبما أن النبوة هي من أخطر المناصب وأكبرها مسؤولية في قيادة المجتمع البشري وهدايته إلى السعادة فانها تتطلب في المتصدي لها مؤهلات وامتيازات خاصة ينفرد بها عن سائر الناس، وهذه في الانبياء تتلخص في الامور الآتية:

أولاً: العصمة: ولها ثلاث مراتب:

الأولى: المصونية عن الذنب ومخالفة الأوامر المولوية قبل البعثة وبعدها وهذا مذهب الامامية، أمّا أبناء العامة فقد خالف بعضهم في ذلك بما يتعلق بعصمة النبي قبل البعثة.

الثانية: المصونية في تلقي الوحي ووعيه وابلاغه إلى الناس.

الثالثة: المصونية من الخطأ والاشتباه في تطبيق الشريعة والامور الفردية والاجتماعية(٨٢).

ثانياً: التنزه عن كل ما يوجب نفرة الناس عنه، وتحليه بكل ما يوجب انجذابهم اليه(٨٣).

ثالثاً: التحلي بكفاءة خاصة في القيادة والادارة مقترنة بحسن التدبير(٨٤).

وهذا الكلام ينطبق على جميع الانبياء وهو ما يعبر عنه بالنبوة العامة، من دون تخصيص نبي، وهناك نبوة خاصة، وهي نبوة نبي الاسلام وخاتم الانبياء والمرسلين محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله الذي جاء لهداية الناس واخراجهم من الظلمات إلى النور. مستدلاً على صدق نبوته بمعجزته الخالدة القرآن الكريم الذي تحدى به الامم، وكذلك ما جرى على يديه من معاجز أخرى. وكذلك بالقرائن والشواهد التي دلت على صدق دعواه وقد اتسمت دعوته بالعالمية والخاتمية.

- **المطلب الثاني: أدلة لزوم بعثة الأنبياء:**

أولاً: دليل العقل:

وهو يقضي ويحكم ببعثة الانبياء ولزوم النبوة من وجوه عديدة.

أ- إنّ الاجتماع فطنة النزاع، وإنما تزول مفسدته بشريعة مستفادة من الإله الحكيم المدبر للعالم دون غيره، وتلك الشريعة لا بد لها من رسول متميز من بني نوعه، فالحكمة تدعو إلى نصبه ليحول دون الفساد [٨٥].

ب – إنّ قاعدة اللطف تقضي بارسال النبي ليقرب العباد إلى الطاعة ويبعدهم عن المعصية، لأن الغرض والحكمة في ايجاد الخلق هي المعرفة والعبادة، وذلك يتوقف على تعيين واسطة بين الحق والخلق يعلمهم ذلك، لاستحالة الافاضة والاستفاضة بلا واسطة، إذ لا ربط ولا نسبة بين النور والظلمة حتى لا يحتاج إلى واسطة[٨٦].

ج- إن عدالة الله تعالى تأبى أن يخلق الخلق بهذه الكثرة العظيمة والطبقات المختلف، ثم يتركهم سُدى يتيهون في ظلمات الجهل، ودركات الضلالة من دون معلم ولا مرشد، فالعدالة تقتضي نصب نبي للهداية[٨٧].

فإذن العقل يقضي بعثه الرسل والانبياء، ولزوم متابعة العباد للأنبياء من أجل الهداية، لأن الانبياء هم الأسوة والقدوة، وهم طرق السعادة في الحياة الدنيا والآخرة، وهم أيضاً سبل النجاة.

ثانياً: دليل النقل من الكتاب والسنة:

إنّ في القرآن الكريم آيات كثيرة تشير إلى هذا الدليل، منها قوله تعالى ﴿**لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ**﴾[٨٨].

فجعل القيام بالقسط الذي هو عبارة أخرى عن ضبط المجتمعات بالنظم والقوانين ليحصل التآزر والتآلف المطلوبين لتأمين الأرضية الصالحة لسلوك الانسان إلى معين السعادة، جعله علةً وغايةً لارسال الرسل[٨٩].

وأما ما روي عن أئمة أهل البيت عليهم السلام فهناك إشارات كثيرة على هذا الدليل، منها: قال الإمام الكاظم عليه السلام: (يا هشام: ما بعث الله أنبياءه ورسله إلى عباده إلا ليعقلوا عن الله فأحسنهم استجابة أحسنهم معرفة، واعلمهم بأمر الله أحسنهم عقلاً، وأكملهم عقلا أرفعهم درجة في الدنيا والآخرة)[٩٠].

ويبين الامام عليه السلام هنا أن سعادة الانسان تكمن في أمرين: الأول معرفة الله تعالى وتحكم العقل لمعرفة المصالح والمفاسد في هذه الحياة. وهذان الامران لا يمكن للإنسان الوصول اليهما الا عن طريق الوحي وتعاليم الانبياء.

وفي رواية أخرى عن الامام الرضا عليه السلام قال: (لم يكن بد من رسول بينه وبينهم معصوم يؤدي اليهم أمره ونهيه وأدبه ويوقفهم على ما يكون به احراز منافعهم ودفع مضارهم إذ لم يكن في خلقهم ما يعرفون به ما يحتاجون اليه)[٩١].

فالإمام عليه السلام يقرر أنه لا بد من أن يكون هناك رسول معصوم بين الخالق والمخلوق من أجل أن يوصل اليهم أوامره ونهيه وأحكامه، ويأخذ بأيديهم لما فيه منفعتهم ويقفهم على ما فيه مضارهم.

- **المطلب الثالث: النبوة في فكر السيدة الزهراء عليها السلام:**

قالت عليها السلام: **«وَأَشْهَدُ أنّ أبي مُحَمَّداً صلّى الله عليه وآله عبْدُهُ وَرَسُولُهُ، اخْتارَهُ وَانْتَجَبَهُ قَبْلَ أَنْ أَرْسَلَهُ، وَسَمّاهُ قَبْلَ أنِ اجْتَبَلَهُ، وَاصْطِفاهُ قَبْلَ أنِ ابْتَعَثَهُ، إذِ الْخَلائِقُ بالغَيْبِ مَكْنُونَةٌ، وَبِسِتْرِ الأَهاويل مَصُونَةٌ، وَبِنِهايَةِ الْعَدَمِ مَقْرُونَةٌ، عِلْماً مِنَ اللهِ تَعالى بِمآيِلِ الأُمُورِ، وَإحاطَةً بِحَوادِثِ الدُّهُورِ، وَمَعْرِفَةً بِمَواقِعِ الْمَقْدُورِ. ابْتَعَثَهُ اللهُ تعالى إتْماماً لأَمْرِهِ، وَعَزيمَةً على إمْضاءِ حُكْمِهِ، وَإنْفاذاً لِمَقادِيرِ حَتْمِهِ»**[٩٢].

بعد أن أشارت الصديقة الزهراء عليها السلام إلى الاصلين الأولين من أصول الدين، وهما التوحيد والعدل، انتقلت بعدهما إلى الأصل الثالث وهو أصل النبوة. فقالت عليها السلام : (وأشهد أن أبي محمداً عبده ورسوله) في هذه الشهادة ذكرت عليها السلام الأبوة اشارة منها إلى هؤلاء المتخاذلين الذين باعوا آخرتهم بدنيا غيرهم، انكم ما كنتم ولا صرتم الا بأبي محمد صلى الله عليه وآله. وفي هذه الكلمة عمق كبير، وذات دلالات، أي: إنّ كل ما موجود في هذا الكون من خير هو ببركة ابي محمد صلى الله عليه وآله.

ثم شهدت له بالعبودية (عبده ورسوله) ولكن أي عبودية كانت وكيف كان يعبدُ الله تعالى؟ تلك العبودية لا يعرفها الا الله وأهل البيت عليهم السلام، وشهدت له أيضاً بالرسالة أي إنّه مرسل من قبل الله تعالى؛ ولكن قبل الرسالة كان له مقام رفيع حيث اختاره الله عز وجل قبل أن أرسله، وسماه قبل أن اجتباه، فالاختيار وقع قبل أن يكون رسولاً، وسماه قبل أن اجتَبَله بمعنى جعل له الحقائق الوجودية التي تلقاها آدم عليه السلام ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾(٩٣).

ولكن متى حصل هذا الاجتباء والاختيار (اذا الخلائق بالغيب مكنونة، وبستر الأهاويل مصونة، وبنهاية العدم مقرونة).

يقول العلامة المجلسي: (الأظهر أن يكون المراد من الجمل الثلاث: الاشارة إلى عالم الأظلة والاشباح، فهو المسمى بالغيب، وبستر الأهاويل لكون الخلائق هناك مصونة عن أهاويل هذه النشأة الدنيوية، وكونها مقرونة بنهاية العدم لأنه أول خلقهم، ومحصّل الكلام: أن الله تعالى اختار محمداً صلى الله عليه وآله واجتباه واصطفاه إذ كانت الخلائق أشباحاً واظلة)(٩٤).

وأورد ابن الجوزي عن ميسرة قال: قلت يا رسول الله متى كنت نبياً؟ قال: لما خلق الله تعالى الارض، واستوى إلى السماء، فسواهن سبع سموات، وخلق العرش كتب على ساق العرش، محمد رسول الله خاتم الأنبياء، وخلق الله تعالى الجنة التي أسكنها آدم وحواء، فكتب اسمي على الأبواب والأوراق والقباب والخيام، وآدم بين

الروح والجسد، فلما أحياه الله تعالى نظر إلى العرش فرأى اسمي، فأخبره الله تعالى انه سيد ولدك، فلما غرهما الشيطان تابا واستشفعا باسمي إليه[٩٥]. ولقد اصطفى الله تعالى نبيه محمد صلى الله عليه وآله لأنه أول من أجاب قوله تعالى: ألست بربكم.

روى العياشي عن زرارة قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عز وجل: ﴿**وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى**﴾[٩٦].

قال: كان محمد صلى الله عليه وآله أول من قال بلى)[٩٧].

ثم تقول عليها السلام «علماً من الله تعالى بمآيل الأُمور، وإحاطة بحوادث الدهور، ومعرفة بمواقع المقدور». وهذا اشارة منها عليها السلام فيها تعليل لاختيار الله تعالى محمداً صلى الله عليه وآله وانتجابه وتسميته واصطفائه له. فالله سبحانه وتعالى عالمٌ بعواقب الأُمور، فعلم ان هذه المسؤولية الكبرى لا يليق بها الا شخص محمد صلى الله عليه وآله دون غيره لان الله تعالى يعلم حيث يجعل رسالته.

ومن خلال هذا المقطع المبارك ركزت السيدة الزهراء عليها السلام على بحث مهم وهو ان اصطفاء الله تعالى لأنبيائه ورسله إنما يكون على أساس درجات طاعاتهم وعبوديتهم له تعالى وسعيهم في مرضاته بحسب اختيارهم ويختصهم الله تعالى بألطافه وكراماته، ويعصمهم من حبائل الشيطان ووساوسه في مواقع الزلل[٩٨].

بعد ذلك تبين الزهراء عليها السلام أدوار النبي صلى الله عليه وآله وأنوار وجوده أي: إنّ الله تعالى أرسله حينما رأى الامم متفرقة في أديانها، وهي عاكفة على عبادة الأوثان والاصنام، منكرة لوجود الله تعالى رغم معرفتها بأن لهذا الكون خالق ومدبر، ومع هذا التشتت والاختلاف خرج النور المحمدي صلى الله عليه وآله وانقذ هذه الأمم حيث جعلها أمة واحدة، وفتح قلوبهم على انوار الملكوت، وهداهم إلى الدين القويم، ودعاهم إلى الطريق المستقيم.

لقد اوضحت السيدة الزهراء عليها السلام هذا الاصل بأروع بيان، وبينت أنه من لطف الله عز وجل أن يختار رسلاً ويرسلهم لهداية البشر رأفة بعباده ورحمة لهم، وقد كان النبي محمد صلى الله عليه وآله خاتم الأنبياء والمرسلين وهو النور المبين الذي جاء رحمة للعالمين.

المبحث الرابع
(الإمامــة)

وفيه ثلاثة مطالب :

- **المطلب الأول: معنى الامامة لغة واصطلاحاً:**

قال الراغب في المفردات (ت٥٠٢هـ): (الامام المقتدى بأقواله وأفعاله)[٩٩].

قال الشيخ الطريحي (ت١٠٨٥هـ) في المجمع : (قوله: (إني جاعلك للناس إماما)[١٠٠] أي: يأتم بك الناس، فيتبعونك ويأخذون عنك، لأن الناس يؤمون أفعاله أي يقصدونها فيتبعونها)[١٠١].

أما معنى الامامة اصطلاحاً:

الإمامة: هي خلافة الرسول ووصاية النبي بعد سيدنا محمد صلى الله عليه وآله. وقد عرفها الشيخ المفيد (ت ٤١٣ هـ) بقوله: (الامامة هي التقدم فيما يقتضي طاعة صاحبه، والاقتداء به)[١٠٢].

وقال العلامة الحلي: (الإمامة رئاسة عامة لشخص من الاشخاص في أمور الدين والدنيا)[١٠٣].

في حين قال السيد البهباني (ت١٣٩٥هـ): (الامامة عبارة عن الخلافة عن الرسول صلى الله عليه وآله في أمور الدين والدنيا، وافتراض طاعته على الأمة فيما أمر به أو نهى عنه)[١٠٤].

وعليه فإنّ الامامة هي منصب الهي، وهي رئاسة عامة كما صرح بها العلماء، في أمور الدين والدنيا، يوكلها الله تعالى إلى شخص يختاره من بين العباد، يقوم مقام النبي صلى الله عليه وآله بارشاد الامة إلى طريق السعادة والنجاة.

قال الشيخ الطبرسي (ت٥٤٨هـ) : (إن المستفاد من لفظ الامام أمران:

أحدهما: إنّه المقتدى في أفعاله وأقواله، والثاني: انه الذي يقوم بتدبير الأمة وسياستها والقيام بأمورها وتأديب جُناتها وتولية ولاتها، وإقامة الحدود على مستحقيها، ومحاربة من يكيدها ويعاديها)[١٠٥].

ولا شك في أنّ من أشرف المعارف في أصول الدين، هي معرف الإمامة للأئمة المعصومين عليهم السلام المنصبين من قبل الله تعالى، الذين جعلهم خلفاء وأوصياء للرسول صلى الله عليه وآله، فهم حجج الله على خلقه وأدلاؤه إليه، وهم سبل النجاة التي من سلكها نجا ومن تخلف عنها ضاع بالضلال وتردى.

- **المطلب الثاني: طرق اثبات الإمامة:**

اختلف المسلمون في طرق اثبات الامامة، فالمعتزلة يرون أن الإمامة تثبت بالاختيار[١٠٦]. أما أبناء العامة فقالوا: إن الامامة تثبت بالنص، وكذلك تثبت ببيعة أهل الحل والعقد.

قال الايجي: (المقصد الثالث فيما تثبت به الامامة، وإنها تثبت بالنص من الرسول صلى الله عليه وآله ومن الامام السابق بالإجماع وتثبت ببيعة أهل الحل والعقد خلافا للشيعة، لنا ثبوت إمامة أبي بكر بالبيعة)[١٠٧].

في حين أنّ الامامية ترى أن الامامة تختلف في حقيقتها عما لدى أبناء العامة، فهم يرون أنها منصب إلهي، وهي امتداد لوظائف النبوة، وعليه فلابدّ من أن تنحصر طرق اثباتها بالنص من قبل الله سبحانه وتعالى، وتنصيب من قبل النبي صلى الله عليه وآله، ومن أدلتهم على ذلك:

أولاً: ان النبي صلى الله عليه وآله لم تكن مسؤولياته وأعماله مقتصرة على تلقي الوحي الالهي وتبليغه إلى الناس، بل كان يفسر الكتاب الحكيم ويشرح مقاصده، ويكشف اسراره، وكان ايضاً يحكم بين الناس، وكذلك بيان احكام الموضوعات التي تحدث في زمن الدعوة، ويدفع الشبهات والتساؤلات التي كان يثيرها اعداء الاسلام وغيرها(١٠٨).

فإذا كانت هذه الامور قد مارسها النبي صلى الله عليه وآله في حياته وهي كلها تنصب في خدمة الشريعة، فكيف يكون الحال بعد رحيله صلى الله عليه وآله؟ هل تترك الشريعة تتعرض لهذه الهجمات وغيرها؟ أم أن الأمة وصلت إلى مرحلة من الرقي والازدهار العلمي القادر على الدفاع عن الشريعة المقدسة؟ والتاريخ يشهد بأن هذا الاحتمال لا وجود له اساساً، وأما أن يوكل النبي صلى الله عليه وآله هذه المهمة إلى شخص قادر على تحمل المسؤولية وله كفاءة علمية وخبرة بالمعارف وغيرها وهذا ما ثبت بالعقل بعد بطلان الاحتمالين السابقين(١٠٩).

مضافا إلى ذلك ان ابرز ما كان يتميز به المجتمع العربي آنذاك هو حياة النظام القبلي والتقسيمات العشائرية، التي كانت تحتل مكانة كبرى في ذلك المجتمع، والتاريخ يشهد لنا على حجم المنازعات والخلافات التي كانت تقع بين القبائل، ولعل اشهرها قضية بناء الكعبة المشرفة... وكذلك ما حدث في يوم السقيفة من روح قبلية مقيتة ونزعة تعصبية فهل من العقل أن يترك هكذا مجتمع غارق بنزاعاته العصبية من دون أن ينصّب عليه قائد، يكون قادراً على قطع دابر الاختلاف، ومانعاً لمأساة التمزق والتفرق،؟ (١١٠) فإذن المصلحة تقتضي أن ينصب

قائد حكيم، وهذا التنصيب لا بد من أن يكون من قبل الله تعالى لأنه أعرف بمصلحة العباد، لا تفويض الأمر إلى المسلمين، وهو متفرقون وممزقون ومختلفون.

كما أن نصب الامام هو لطف من الله تعالى على العباد، وقد اوضحه العلامة الحلي بقوله: (لطف الإمامة يتم بأمور: منها ما يجب على الله تعالى وهو خلق الإمام وتمكينه بالتصرف والعلم والنص عليه باسمه ونسبه، وهذا قد فعله الله تعالى، ومنها ما يجب على الامام وهو تحمله للإمامة وقبوله لها وهذا قد فعله الامام، ومنها ما يجب على الرعية وهو مساعدته والنصرة له وقبول أوامره وامتثال قوله وهذا لم يفعله الرعية، فكان منع اللطف الكامل منهم لا من الله تعالى ولا من الامام)(١١١).

وقد دلت آيات كثيرة وروايات شريفة على إمامة أمير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام وأنه منصب من قبل الله تعالى خليفة لرسوله الاكرم صلى الله عليه وآله، ومن بعده الائمة الاطهار عليهم السلام واحداً بعد واحد إلى الامام المنتظر (عجّل الله تعالى فرجه الشريف).

- **المطلب الثالث: الزهراء عليها السلام ودفاعها عن الإمامة:**

قالت عليها السلام: «**للهِ فِيكُمْ، عَهْدٌ قَدَّمَهُ إِلَيْكُمْ، وَبَقِيَّةٌ استَخْلَفَها عَلَيْكُمْ. كِتابُ اللهِ النّاطِقُ، والقُرْآنُ الصّادِقُ، وَالنُّورُ السّاطِعُ، وَالضِّياءُ اللاّمِعُ...**»(١١٢).

قال العلامة المجلسي: (العهد: الوصية. وبقية الرجل: ما يخلفه في أهله، والمراد بهما القرآن، أو بالأول ما أوصاهم به في أهل بيته وعترته، وبالثاني القرآن. وفي رواية أحمد بن أبي طاهر: وبقيه استخلفنا عليكم، ومعنا كتاب الله فالمراد بالبقية أهل البيت عليهم السلام، وبالعهد ما أوصاهم به فيهم (١١٣).

فالسيدة الزهراء عليها السلام في هذا المقطع أشارت إلى أصل مهم من أصول الدين، ألا وهو الإمامة. فخاطبت القوم بعباد الله، تريد أن تقول لهم يا من تعبدون الله

تعالى، الله عز وجل قدّم إليكم عهداً، بمعنى بينه وأنزله على نبيه الأكرم صلى الله عليه وآله في يوم غدير خم حينما رفع الرسول صلى الله عليه وآله يد عليٍّ حتى بان بياض ابطيهما، وهو يقول: (ألا من كنت مولاه فهذا عليٌ مولاه، اللّهُمَّ والِ من والاه، وعادِ من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله)(١١٤).

ثم قالت عليها السلام: (وبقيه استخلفها عليكم) هذه البقية هي كتاب الله الناطق وتعني أن الناطق هم آل محمد (صلوات الله عليهم أجمعين). والقرآن الصادق الذي هو كلام الله عز وجل الذي نطق صدقاً بولاية علي عليه السلام حينما قال تعالى: ﴿**إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ**﴾(١١٥).

فهذه الآية المباركة حصرت الولاية بهؤلاء فقط وهم الراكعون، بمعنى أن علياً الراكع هو الولي، وهو المعني بهذه الآية الكريمة دون غيره من أفراد الأمة.

فالزهراء عليها السلام من خلال هذه الكلمات النورانية بينت فضل هذا الاصل المهم الذي كمل به الدين وتمت به نعمة الله عز وجل على العباد، وأصبح الاسلام مرضياً عند الله سبحانه وتعالى . وكل ذلك حصل بولاية علي بن أبي طالب عليه السلام. قال تعالى: ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا**﴾(١١٦). فأصبحت ولاية علي عليه السلام نظام للدين وأمان للعباد. كما نصت الزهراء عليها السلام بقولها: (وطاعتنا نظاماً للملة، وإمامتنا أماناً من الفرقة) وتدل هاتان الجملتان على انتظام أمر الدين وصلاح أمور المسلمين واجتماعهم على الصلاح لا يمكن ولا يتحقق الا بطاعتهم والتسليم لامامتهم عليهم السلام، وقد صدّق تأريخ المسلمين هذا المعنى أحسن تصديق فاختلّ أمر المسلمين ووقع فيهم الاختلاف والفرقة يوم تسارعوا إلى سقيفة بني ساعدة، وبادروا إلى نقض الخلافة، وغيّروا أمر الإمامة، وبدّلوا نعمة الله كفرا(١١٧).

فالزهراء عليها السلام بينت أن الامامة هي من الاصول الاعتقادية للدين وليست

للمذهب فقط. لأنّ العقل والنقل يؤيدان ذلك، أما العقل فإنه يقر بلزوم من يمثل الحق بوصفه سفيراً مبلّغاً في أرضه يكمل مسيرة النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لئلا تترك الأمة سدى، ولئلا تضيع البشرية في الضلال.

وأمّا النقل فقد تضافرت الآيات والروايات التي دلت على إمامة الأئمة عليهم السلام، وهناك روايات نصت عليهم بأسمائهم عليهم السلام.

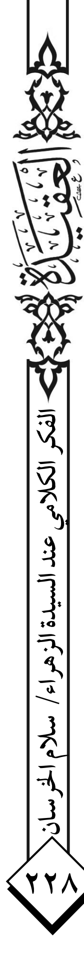
الصديقة الطاهرة عليها السلام ركزت على هذا المحور وجعلته أساساً لنظام الكون، والمراد بالملة اي الطريقة والشريعة، أي: نظام الوجود، قال الامام الصادق عليه السلام: (ان الله عز وجل خلقنا فأحسن خلقنا .. ولولانا لما عُبد الله)[118].

المبحث الخامس
(المعـــاد)

وفيه ثلاثة مطالب :

- **المطلب الأول: المعاد لغة واصطلاحاً:**

المعاد في اللغة: كل شيء إليه المصير والمآل، وهو مصدر عاد إليه يعود عوداً وعودةً ومعاداً، أي رجع وصار إليه، ويتعدى بنفسه وبالهمزة، فيقال: عاد الشيء عوداً وعياداً: انتابه وبدأه ثانياً، وأعدت الشيء: رددته ثانياً أو أرجعته، وأعاد الكلام: كرره، وأصل المعاد (معود) على وزن (مفعل) قلبت واوه ألفاً، ومثله: مقام ومراح، ومفعل ومقلوبها تستعمل مصدراً صحيحاً بمعنى العود، واسماً لمكان العود أو زمانه، والمبدء المعيد: من صفات الله تعالى، لأن الله سبحانه بدأ الخلق إحياءً ثم يميتهم، ثم يعيدهم إلى الحياة يوم القيامة[119].



أما معنى المعاد اصطلاحاً: فهو الوجود الثاني للاجسام بعد موتها وتفرقها[١٢٠].

وعرّف أيضاً بأنه الرجوع إلى الوجود بعد الفناء، أو رجوع اجزاء البدن إلى الاجتماع بعد التفرق، والى الحياة بعد الموت، ورجوع الأرواح إلى الأبدان بعد المفارقة[١٢١].

والاعتقاد بالمعاد عنصر اساسي في كل شريعة لها صلة بالسماء، وبدونه تصبح الشرائع مسالك بشرية مادية، لا تمت إلى الله سبحانه بصلة، فقوام الشريعة بالمبدأ والمعاد، فكل الشرائع تدعو إلى الحياة الأخروية وحشر الانسان بعد الموت، وإقامة الحساب والجزاء والثواب والعقاب.

ومن الحقائق التأريخية التي تثبت هذا الشيء نذكر ما يأتي:

أولاً: ان البدو القاطنين في الصحاري والبراري، الذين يُعدّون نموذجاً للمجتمع البدائي المنقرض، لهم طقوس خاصة في دفن الموتى تدل على اعتقادهم بعودة الارواح إلى الاجسام المدفونة ومن ذلك أنهم يضعون حجارة كبيرة على صدور موتاهم، ويربطون أعضاءهم بحبال متينة، لئلا يتحركوا بعد عود الروح ويخرجوا من أماكنهم[١٢٢].

ثانياً: ان المصريين، ذوي الحضارة القديمة، كانوا يعتقدون أن الروح بعد خروجها من البدن، لها علاقة به، وسوف ترجع اليه، ولذلك كانوا يتركون في القبور منافذ ليسهل دخول الروح اليها، ويضعون بعض الطعام والشراب في جنب الميت. ولأجل حماية الموتى من الآفات، قام المتمكنون منهم ببناء الاهرام العظيمة فوق قبورهم [١٢٣].

ثالثاً: عند المجوس أيضاً أنّ الاعتقاد ببقاء الروح بعد الموت ومحاسبة الانسان على أعماله تُعدّ لديهم من الاصول في ديانتهم[١٢٤].

وقد ذكر القرآن الكريم وجود أصل المعاد لدى الشرائع السماوية من زمن آدم عليه السلام إلى المسيح عليه السلام، قال تعالى : ﴿**يَا بَنِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِيفَمَنِ اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ *وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**﴾(١٢٥).

وهاتان الآيتان تبرهنان على أن المعاد هو الهدف الأصيل لخلق الانسان في الأرض. وقال تعالى :﴿**وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا * ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا**﴾(١٢٦). وغيرها من الآيات التي جاءت على لسان الأنبياء التي أوضحت حقيقة المعاد.

- **المطلب الثاني: ادلة المعـاد:**

هناك أدلة قطعية متضافرة، وعلمية متواترة في اثبات هذا الاصل، والاعتقاد به، الذي يعدّ الأصل الخامس من أصول الدين الحنيف، إذ دلَّ عليه صريح الكتاب الكريم والسنة المطهرة والاجماع والعقل.

وقد اعترفت به جميع الاديان والمذاهب في جميع العصور، إلا الدهريون والطبيعيون الذين شذوا عن الحق المبين، وادّعوا: إنْ هي إلا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين(١٢٧). وادلة المعاد ثابتة بكلا الطريقتين: الأدلة الشرعية والبراهين العقلية. أما ما يتعلق بالأدلة الشرعية فمنها:

أولاً: دليل الكتاب الكريم:

هناك آيات قرآنية كثيرة أثبتت هذه الحقيقة وأكدت عليها، وعدّتها وعداً حقاً لا يمكن أن يُخلف، قال تعالى: ﴿**وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ بَلَى وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ**﴾(١٢٨).

وقال تعالى : ﴿**زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ**﴾(١٢٩).

وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا * قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا * أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ (١٣٠) .

وقال تعالى :﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ * قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾(١٣١) .

وعليه يثبت ان المعاد يوم القيامة حقيقة ثابتة لا ريب فيها.

ثانياً: دليل السنة المطهرة:

لقد وردت أحاديث شريفة كثيرة تناولت يوم الدين والمعاد بصورة تفيد العلم واليقين بوقوعه. قال رسول الله صلى الله عليه وآله: (يا بني عبد المطلب، إن الرائد لا يكذب أهله والذي بعثني بالحق لتموتن كما تنامون، ولتبعثن كما تستيقظون، وما بعد الموت دار إلا جنة أو نار، وخلق جميع الخلق وبعثهم على الله عز وجل كخلق نفس واحدة وبعثها..)(١٣٢).

وقال صلى الله عليه وآله: (لا يؤمن عبد حتى يؤمن بأربعة: حتى يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأني رسول الله بعثني بالحق، وحتى يؤمن بالبعث بعد الموت، وحتى يؤمن بالقبر)(١٣٣).

وقال الامام علي عليه السلام: (... حتى إذا بلغ الكتاب أجله، والأمر مقاديره، وألحق آخر الخلق بأوله، وجاء من أمر الله ما يريده من تجديد خلقه، ماد السماء وفطرها، وأرجّ الأرض وأرجفها، وقلع جبالها ونسفها، ودك بعضها بعضاً من هيبة جلاله..)(١٣٤).

وقال عليه السلام في موضع آخر يصف فيه يوم القيامة: (ذلك يوم يجمع الله فيه الأولين والآخرين لنقاش الحساب وجزاء الاعمال، خضوعاً، قياماً، قد ألجمهم العرق، ورجفت بهم الأرض، فأحسنهم حالاً من وجد لقدميه موضعاً، ولنفسه متسعاً)(١٣٥).

وقال الامام علي بن الحسين عليه السلام: (العجب كل العجب لمن شك في الله وهو يرى الخلق والعجب كل العجب لمن أنكر الموت وهو يرى من يموت كل يوم وليلة، والعجب كل العجب لمن أنكر النشأة الآخرة وهو يرى النشأة الأولى، والعجب كل العجب لعامر دار الفناء، ويترك دار البقاء)[١٣٦].

ثالثاً: الاجماع:

ان الاعتقاد باليوم الآخر مما اجمع عليه المسلمون كافة بلا خلاف في ذلك، وجميعهم يعتبرون الايمان باليوم الآخر من ضرورات الدين التي يجب الاعتقاد بها، ومن انكرها فهو خارج عن عداد المسلمين[١٣٧].

رابعاً: الدليل العقلي:

لقد استدل كثير من الفلاسفة والمتكلمين، بالبراهين العقلية، على حتمية المعاد ووجوبه. كما نص القرآن الكريم من الادلة والبراهين العقلية على ثبوت حقيقة المعاد والحياة الأخرى.

قال العلامة الحلي: (العالم المماثل لهذا العالم ممكن الوجود، لأن هذا العالم ممكن الوجود، وحكم المثلين واحد، فلما كان هذا العالم ممكناً وجب الحكم على الآخر بالامكان)[١٣٨].

كما انّ الله سبحانه وتعالى قدرته غير متناهية. وقد أشارت آيات كثيرة إلى هذا المعنى أي: إنّ القادر على الايجاد من العد ابتداءً، فهو على اعادة الموجود أقدر، قال تعالى: ﴿**أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ * قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾[١٣٩].

ويستدل الذكر الحكيم على لزوم المعاد بأن الحياة الأخروية هي الغاية من

خلق الانسان وأنه لولاها لصارت حياته منحصرة في اطار الدنيا، ولأصبح إيجاده وخلقه عبثاً وباطلاً، والله سبحانه وتعالى منزه عن فعل العبث[١٤٠].

قال تعالى : ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا﴾[١٤١].

كما أن المعاد هو مقتضى العدل الالهي، لأن العباد فريقان، مطيع وعاص، والتسوية بينهما بصورتها المختلفة خلاف العدل، وهنا يستقل العقل بأنه يجب التفريق بينهما من حيث الثواب والعقاب، وبما أن هذا غير متحقق في الحياة الدنيا، فيجب أن يكون هناك نشأة أخرى يتحقق فيها ذلك التفريق[١٤٢].

والى هذا المعنى اشار قوله تعالى : ﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾[١٤٣].

ومن خلال هذه الأدلة تبين أن المعاد ضرورة قطعية لا بد من وقوعها في يوم القيامة لتطرح فيه اعمال العباد للحساب.

- **المطلب الثالث: المعاد في فكر السيدة الزهراء عليها السلام :**

قالت عليها السلام : (نلقاك يوم حشرك، فنعم الحكم الله، والزعيم محمد صلى الله عليه وآله، والموعد القيامة، وعند الساعة ما تخسرون، ولا ينفعكم إذ تندمون ....)[١٤٤].

بعد أن اعترضت السيدة الزهراء عليها السلام على المسلمين آنذاك ووبختهم على خذلانهم وعدم نصرة الحق. وجهت خطابها في هذا المقطع إلى رئيس القوم الغاصبين لحقوق أهل البيت عليهم السلام، قائلة: فدونك يا أبا بكر هذه القضية التي لاتفنى على مر العصور والأجيال، فإن اغتصابك لي أرثي وهي فدك، وغصبك للخلافة وجلوسك في هذا الموضع الإلهي بهتاناً وزوراً. وقد وافقك المهاجرون والأنصار على ذلك طمعاً منهم للمال والجاه والسلطة.

وإنما قام أبو بكر بهذا التعدي والاغتصاب المالي لفدك بعد اغتصابه

الخلافة حذراً من أن يكون أهل فدك والزارعين أنصاراً لعلي وفاطمة عليهما السلام، وعضداً للحق أمام الباطل، ويكونوا اعواناً لخليفة رسول الله صلى الله عليه وآله الواقعي المنصب من قبل الله عز وجل، ضد المدعين لهذا ظلماً وجوراً، ولذا رد شهادة الشهود الذين جاءت بهم، وهم علي عليه السلام وأم سلمة والحسنان عليهما السلام. وقد خالف أبو بكر احكام كتاب الله وسنة النبي صلى الله عليه وآله، عند ذلك قالت الزهراء عليها السلام: (فنعم الحكم الله والزعيم محمد صلى الله عليه وآله والموعد القيامة وعند الساعة يخسر المبطلون ولا ينفعكم إذ تندمون، ولكل نبأ مستقر فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذابُ مقيم).

في هذا المقطع أشارت السيدة الزهراء عليها السلام إلى أصل من أصول الدين ألا وهو المعاد، وأشارت إلى مسألة الحشر، حينما يحشر الناس في ذلك اليوم، كما قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾(١٤٥).

فهذا الحشر يكون للخلائق منذ أن خلقهم الله تعالى إلى آخر الخلق على أرض المحشر، فيجتمعون على تلك الأرض من أولهم إلى آخرهم إنسهم وجنهم حتى حيواناتهم، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ﴾(١٤٦).

فالزهراء عليها السلام وضحت أن هناك حشراً يوم القيامة، وذلك لإقامة المحكمة الإلهية، فنعم الحكم الله، إنّ الحاكم والقاضي في ذلك اليوم هو الله سبحانه وتعالى فيقضي بين عباده وهو جبار السموات والأرض، الذي يعلم السر وما يخفى، والذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾(١٤٧).

إذاً في يوم القيامة هناك حشر، لإقامة الحساب ومجازاة الخلائق على اعمالهم.

ثم بينت السيدة الزهراء عليها السلام أن الله سبحانه وتعالى سوف يقتص من الظالم ويأخذ حق المظلوم في ذلك اليوم. عندها لا تنفع الندامة اشارة منها لقوله

تعالى : ﴿أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ * قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ * رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ * قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾(١٤٨).

تبين مما سبق أن أصل المعاد كان حاضراً في فكر السيدة الزهراء عليها السلام وقد وضحته بخطبتها بأروع بيان وحذرت الظالمين من ذلك اليوم الذي سوف تعود فيه الارواح والاجساد وتحشر من جديد من اجل الحساب وجزاء الاعمال حينها لا ينفع الظالمين والعاصين ندمهم، ولات حين مندم.

الخاتمة

توصل الباحث من خلال دراسته لخطبة السيدة الزهراء عليها السلام إلى النتائج الآتية:

أولاً: تـعد هذه الخطبة واحدة من الخطب المشهورة التي نقلها كبار علماء ابناء العامة مضافا إلى علماء الشيعة مع سلسلة كبيرة من الأسانيد المعتبرة، خلافا لما يتصوره بعضهم من أنها ضعيفة أو حتى عديمة السند.

ثانياً: اشتملت الخطبة على تحليل عميق ومختصر لمسائل التوحيد وصفات الخالق وأسمائه الحسنى.

ثالثاً: بيان أن الاخلاص هو روح التوحيد وتطهير الروح من دنس الشرك بالله سبحانه وتعالى.

رابعاً: تلخيص هدف الخلق بجمل قصيرة المعنى تمثلت بما يأتي:

أ - تبيين الحكمة الإلهية اللامحدودة وتوضيحها.

ب - دعوة العباد إلى طاعته وعبوديته.

ج - الاشارة إلى قدرته اللامحدودة.

خامساً: التحدث عن أهمية القرآن الكريم وعمق تعاليم الاسلام، كما أنها أبدعت في بيان فلسفة الأحكام من خلال عبارات قصيرة، فبدأت بالإيمان حتى الوفاء بالنذر، فوصفت كل منها بجملة رائعة، وأبدت النصائح في ذلك.

سادساً: ذكر مسألة الخلق والتكوين البدائي التي تعدّ من المسائل المهمة التي تشير إلى قدرة الله سبحانه وتعالى، فلم تكن هناك مادة مصنوعة من قبل حتى يخلق الله منها هذا العالم بل إنّ الخلق والتكوين قد تم من العدم، وقد اختصت هذه الخلقة بذاته الطاهرة حتى صعب على بعضهم تصور ذلك.

سابعاً: بيان مسألة النبوة والتذكير بمنزلة الرسول صلى الله عليه وآله السامية وخواصه ومسؤولياته وأهدافه.

ثامناً: الدفاع عن الإمامة المتمثلة بالإمام علي عليه السلام، ووصي رسول الله صلى الله عليه وآله، وايضاح ما قدمه الامام علي عليه السلام لهذه الأمة من خدمات جليلة، وكيف أن النبي صلى الله عليه وآله كان يرسله لمواجهة الحوادث الخطرة والتصدي لها، وهو يقوم لها مؤثراً بنفسه مضحيا وفدائيا، أهوى برؤوس المتكبرين إلى الارض بسيفه ومرغ هامات الطواغيت بالتراب، وكان ناصرا ومساعدا للرسول صلى الله عليه وآله وحاميا ومدافعا عن الاسلام الحنيف.

حيث تجاهل هؤلاء كل ما ورد من آيات قرآنية وتوصيات نبوية.

تاسعاً: كانت هذه الخطبة بمثابة تحذير مروع لأولئك الذين سعوا إلى حرف الحكومة الاسلامية وخلافة الرسول صلى الله عليه وآله عن مسيرها الحقيقي.

عاشراً: من خلال خطبتها أعلنت عن رأيها وظلامتها أمام جمهور المسلمين وسادات المهاجرين والأنصار حتى تتم الحجة، وتكشف حجج هذا الغصب والمصادرة الظالمة من قبل جهاز النظام، فضلاً عن فضح صفوف المدافعين عن سياسة التجاوز وتمييزهم عن الأوفياء الحقيقيين للإسلام.

الحادي عشر: أفصحت السيدة الزهراء عليها السلام من خلال خطبتها عن موقف أهل البيت عليهم السلام بالنسبة إلى النظام الحاكم، وبرّأت ساحة الإسلام المقدس من الظلم والجور الذي ارتكب باسم الإسلام.

الثاني عشر: بلاغة فاطمة الزهراء عليها السلام وقدرتها الكلامية والفلسفية الفائقة، إذ إنها ذكرت المسائل العقائدية المتعلقة بأصول الدين، مرتبة ابتداءً من التوحيد ثم العدل والنبوة والإمامة والمعاد.

* هوامش البحث *

(١)كتاب العين، الفراهيدي، تحقيق: د. عبد الحميد الهنداوي، ط١، دار الكتب العلمية ٢٠٠٣م، بيروت – لبنان، ج٤، ص١٠٣.

(٢)لسان العرب، ابن منظور، تحقيق: أمين محمد عبد الوهاب ومحمد الصادق، ط١، دار احياء التراث العربي، ٢٠١٠م، بيروت - لبنان ، ج٨، ص٩٧.

(٣) بلاغات النساء، ابن طيفور، تصحيح: أحمد الألفي، مدرسة والدة عباس الأول، ١٩٠٨م، القاهرة، ص١٦

(٤)ن. م، ص١٦.

(٥) السقيفة وفدك، الجواهري، تحقيق: د. محمد هادي الأمين، مكتبة نينوى الحديثة، طهران، ص٩٨، (د. ت)

(٦) مروج الذهب، المسعودي، تحقيق: أسعد داغر، دار الهجرة، ١٤٠٩هـ، قم، ج٢، ص٣١١

(٧) مقتل الحسين، الخوارزمي، تحقيق: محمد طاهر السماوي، منشورات مكتبة المفيد، قم – ايران، ج١، ص٧٧.

(٨) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الاثير، تحقيق: محمود محمد الطناحي، المكتبة الاسلامية، ج٤، ص٢٧٣، (د.ت)

(٩) منال الطالب في شرح طوال الغرائب، ابن الاثير، تحقيق: محمود محمد الطناحي، مكتبة الخانجي، مصر، ص٥٠١- ٥٠٧، (د.ت).

(١٠) شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد، تحقيق: الاستاذ محمد ابو الفضل ابراهيم، ط١، الدار اللبنانية للنشر، ٢٠٠٨م، بيروت، ج١٦، ص٣٠٧.

(١١)ن.م: ج١٦، ص٣٠٨.



(١٢) اعلام النساء، عمر رضا كحالة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ج٤، ص١١٦، (د.ت).

(١٣) علل الشرائع، الصدوق، منشورات المكتبة الحيدرية، ١٩٦٦م، النجف، ج١، ص٢٤٨

(١٤) دلائل الامامة، الطبري، ط٢، مؤسسة الاعلامي للمطبوعات، ١٩٨٨م، بيروت – لبنان ص٣١.

(١٥) الاحتجاج، الطبرسي، ط١، انتشارات الشريف الرضي، ١٣٨٠ه، قم، ج١، ص١٢٦

(١٦) كشف الغمة في معرفة الائمة، بهاء الدين الأربلي، ط٢، دار الاضواء للطباعة، ١٩٨٥م، بيروت، ج١، ص٤٧٩

(١٧) الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف، ابن طاووس، مطبعة الختام، ١٤٠٠ه، قم، ج١، ص٢٦٤.

(١٨) النص والاجتهاد، الامام شرف الدين، ط١، مطبعة سيد الشهداء عليه السلام ، ١٤٠٤ه، قم، ص١٠٦.

(١٩) ن.م، ص١٠٧.

(٢٠) الشافي في الامامة، الشريف المرتضى، ط٢، مؤسسة اسماعيليان، ١٤١٠ه، قم، ج٤، ص٦٩-٧٠.

(٢١) م. س، ج٤، ص٧٠.

(٢٢) بحار الانوار، المجلسي، المطبعة الاسلامية، ١٣٨٨ه، طهران، ج٢٩، ص٢١٥-٢١٦.

(٢٣) شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد، ج١، ص٦٤.

(٢٤) سورة يونس، الآية ١١٠.

(٢٥) احقاق الحق، نور الله التستري، مطبعة السعادة، ١٣٢٦ه، مصر، ج١، ص١٥١.

(٢٦) سورة يونس، الآية ١١٠.

(٢٧) احقاق الحق، نور الله التستري، ج١، ص١٥١.

(٢٨) حقائق الايمان، الشهيد الثاني، تحقيق: مهدي الرجائي، ط١، مكتبة آية الله العظمى المرعشي، ١٤٠٩هـ، قم المقدسة، ص٥٩.

(٢٩) دروس في العقيدة الاسلامية، محمد تقي اليزدي، مؤسسة التأريخ العربي، بيروت، ص٥٨.

(٣٠)م . س، ص٥٩.

(٣١) اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع، ابو الحسن الاشعري، تقديم حموده غرابه، المطبعة الميرية، ١٩٢٥م، مصر، ص١٥-١٧.

(٣٢)تفسيرة سورة الاخلاص، ابن تيميه، المطبعة الميرية، ١٣٢٣ه،مصر، ص٢٢-٢٣.

(٣٣) نظريات الجزء الذي لا يتجزأ في التراث العربي الاسلامي، د. عبد الكريم اليافي، بحث في مجلة التراث العربي، دمشق، العدد الثامن، تموز، ١٩٨٢م، ص١٠.

(٣٤) م. ن، ص١١.

(٣٥) محاضرات في الالهيات، السبحاني، تحقيق علي الرباني، ط١٠، مؤسسة التراث العربي،١٤٢٧ه،

بيروت – لبنان، ص٣٠.
(٣٦) ن. م، ص٢٢.
(٣٧) ن. م، ص٢٢.
(٣٨) سورة البقرة، الاية ١٦٤.
(٣٩) بحار الأنوار، المجلسي، ج٣، ص٦٢.
(٤٠) شرح الخطبة الفدكية، العلامة المجلسي، ط١، دار كلستان كوثر، ٢٠٠٣م، طهران، ص٣٦.
(٤١)م. س، ص٣٦.
(٤٢) ن. م ، ص٣٦.
(٤٣) صحيح البخاري، محمد بن اسماعيل البخاري، تحقيق: محمد زهير، ط١، دار طوق النجاة، ١٤٢٢هـ، ج٨، ص٥٣.
(٤٤) ن. م، ج٨، ص١٦٨.
(٤٥) شرح الخطبة الفدكية، العلامة المجلسي، ص٣٧.
(٤٦) ن.م، ص٤٣.
(٤٧) م. س، ص٤٤.
(٤٨) المفردات، الراغب الاصفهاني، تحقيق: ابراهيم شمس الدين، ط١، مؤسسة الأعلمي، ٢٠٠٩م، بيروت، ص٤٢٨.
(٤٩) لسان العرب، ابن منظور، ج٦، ص٦٣-٦٤.
(٥٠) مجمع البحرين، فخر الدين الطريحي، تحقيق: احمد الحسيني، مطبعة الآداب، النجف الاشرف، ج٣، ص١٣٣.
(٥١) النكت الاعتقادية، الشيخ المفيد، ط١، المؤتمر العالمي لألفية الشيخ المفيد، ١٤١٣هـ، ص٣٢.
(٥٢) تلخيص المحصل، نصير الدين الطوسي، ط٢، دار الاضواء، ١٩٨٥م، بيروت، ص٦٤.
(٥٣) الميزان، محمد حسين الطباطبائي، ط٥، مؤسسة اسماعيليان، ١٤١٢هـ، قم، ج٧، ص٢٧.
(٥٤) العدل الالهي، مرتضى مطهري، ط٢، دار الكتب الاسلامية، ١٤٠١هـ، طهران، ص٦٢.
(٥٥) نهج الحق، العلامة الحلي، تعليق: الشيخ عين الله الحسني، ط١، مؤسسة دار الهجرة، ١٤٠٧هـ، قم – ايران، ص٥٨.
(٥٦) الاقتصاد، الطوسي، ط١، منشورات جمعية منتدى النشر، ١٣٩٩هـ، النجف الاشرف – العراق، ص٨٨.
(٥٧) سورة يونس، الآية ٤٤.

(٥٨) شرح الخطبة الفدكية، العلامة المجلسي، ص٤٦.
(٥٩) م. س، ص٤٦.
(٦٠) شرح جمل العلم والعمل، الشريف المرتضى، تحقيق: يعقوب الجعفري، ط٢، دار الاسوة للطباعة، ١٤١٩هـ، قم – ايران، ص١٠٠-١٠١.
(٦١) كشف الفوائد، العلامة الحلي، تحقيق: حسن مكي العاملي، ط١، دار الصفوة، ١٤١٣هـ، بيروت – لبنان، ص٢٥٤.
(٦٢) الذخيرة، في علم الكلام، الشريف المرتضى، مؤسسة النشر الاسلامي، ١٤١١هـ، قم، ص١١٠.
(٦٣) ن. م، ص١٠٠.
(٦٤) شرح جمل العلم والعمل، الشريف المرتضى، ص٩٨-٩٩.
(٦٥) ن. م، ص١٠٠.
(٦٦) المواقف في علم الكلام، عضد الدين الايجي، تحقيق د. عبد الرحمن عمير، ط١، ١٤١٧هـ، دار الجيل، بيروت – لبنان، ج٣، ص٢٩٠-٢٩٢.
(٦٧) الفرق بين الفرق، عبد القادر الاسفرائيني، تحقيق: محمد محي الدين، ط١، المكتبة العصرية، ١٤١٩هـ، بيروت – لبنان، ص١٢٨.
(٦٨) الملل والنحل، الشهرستاني، تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت ، ج١، ص٨٧.
(٦٩) م. س، ج١، ص٩٠-٩١.
(٧٠) المغني في ابواب التوحيد والعدل، عبد الجبار الأسد آبادي، تحقيق: د. محمود محمد قاسم، دار الكتب، ١٣٨٢هـ، بيروت، ج٦، ص٤١.
(٧١) بحار الأنوار، المجلسي، ج٥، ص٤.
(٧٢) ن. م، ج٥، ص١٧.
(٧٣) تصحيح اعتقادات الامامية، الشيخ المفيد، تحقيق: حسين دركاهي، ط١، المؤتمر العالمي لالفية الشيخ المفيد، ١٤١٣هـ، ص٤٧.
(٧٤) الكافي، الكليني، ط٦، دار الكتب الاسلامية، ١٣٧٥هـ، طهران – ايران، ج١، ح١٣، ص١٦٠.
(٧٥) مرآة الانوار ومشكاة الأسرار، الشيخ الكازراني، الطبعة القديمة الحجرية، ١٣٠٣هـ، ص٢٠٥.
(٧٦) ارشاد الطالبين على نهج المسترشدين، جمال الدين الحلي، تحقيق: مهدي الرجائي، ط١، مكتبة السيد المرعشي، ١٤٠٥هـ، قم، ص٢٩٥.
(٧٧) الشيعة الامامية الاثنا عشرية، السبحاني، مقال، موقع مؤسسة الامام الصادق عليه السلام، ١١ ربيع الآخر، ١٤١٧هـ.

(٧٨) سورة الحاقة، الآيات ٤٤-٤٧.
(٧٩) الشيعة الامامية الاثنا عشرية، جعفر السبحاني، مقال، موقع مؤسسة الامام الصادق عليه السلام، ١١ ربيع الآخر، ١٤١٧هـ.
(٨٠) سورة الصف، الآية ٦.
(٨١) الشيعة الامامية الاثنا عشرية، السبحاني.
(٨٢) الشيعة الامامية الاثنا عشرية، جعفر السبحاني، مقال، موقع مؤسسة الامام الصادق، ١١ ربيع الاخر، ١٤١٧هـ.
(٨٣) محاضرات في الالهيات، السبحاني، ص٢٨٢.
(٨٤) ن. م، ص٢٨٣.
(٨٥) ارشاد الطالبين على نهج المسترشدين، العلامة الحلي، ص٥٨.
(٨٦) حق اليقين، عبد الله شبر، ط١، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، ١٩٩٧م، بيروت، ج١، ص٨٤.
(٨٧) ن . م، ج١، ص٨٦.
(٨٨) سورة الحديد، الاية ٢٥.
(٨٩) الالهيات، جعفر السبحاني، ط٧، مؤسسة الامام الصادق عليه السلام، ١٣٨٨هـ، قم، ج٣، ص٢٩.
(٩٠) الكافي، الكليني، ج١، ص١٤.
(٩١) بحار الانوار، المجلسي، ج١١، ص٤٠.
(٩٢) شرح الخطبة الفدكية، العلامة المجلسي، ص٤٨.
(٩٣) سورة البقرة، الآية ٣١.
(٩٤) شرح الخطبة الفدكية، العلامة المجلسي، ص٤٨.
(٩٥) الوفا بتعريف فضائل المصطفى، ابن الجوزي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ص٢٥.
(٩٦) سورة الاعراف، الآية ١٧٢.
(٩٧) شرح الخطبة الفدكية، العلامة المجلسي، ص٤٩.
(٩٨) ن. م، ص٥٠.
(٩٩) المفردات، الاصفهاني، ص٤١.
(١٠٠) سورة البقرة، الآية ١٢٤.
(١٠١) مجمع البحرين، الطريحي، ص٥٠٣.
(١٠٢) الافصاح في الامامة، المفيد، ط٢، دار الكتب العلمية، ١٤١٤هـ، بيروت – لبنان، ص٢٧.
(١٠٣) ارشاد الطالبين على نهج المسترشدين، العلامة الحلي، ص٦٢.

(١٠٤) مصباح الهداية في اثبات الولاية، البهبهاني، ط١، مكتبة الالفين، ١٩٩٩م، ينيد القار، ص٤٨.
(١٠٥) مجمع البيان، الطبرسي، ط١، دار الكتب الاسلامية، ١٣٧٣هـ، طهران، ج١، ص٢٠١.
(١٠٦) محاضرات في الالهيات، السبحاني، ص٣٣١.
(١٠٧) شرح المواقف، عضد الدين الايجي، ج٨، ص٣٥١.
(١٠٨) ينظر، محاضرات في الالهيات، السبحاني، ص٣٣٩.
(١٠٩) ن. م، ص٣٤١ -٣٤٣.
(١١٠) الالهيات، السبحاني، ج٤، ص٥٢.
(١١١) كشف المراد، العلامة الحلي، مؤسسة النشر الاسلامي، ١٤١٩هـ، قم المقدسة، ص٢٨٤.
(١١٢) شرح الخطبة الفدكية، العلامة المجلسي، ص٥٩.
(١١٣) ن. م، ص٦٠.
(١١٤) معاني الأخبار، الصدوق، تحقيق: علي اكبر الغفاري، مؤسسة النشر الاسلامي، ١٣٧٩هـ، قم – ايران، ص٦٧.
(١١٥) سورة المائدة، الاية ٥٥.
(١١٦) سورة المائدة، الآية٣.
(١١٧) شرح الخطبة الفدكية، العلامة المجلسي، ص٦٨.
(١١٨) الكافي، الكليني، ج١، ص١٩٣.
(١١٩) ينظر ، لسان العرب، ابن منظور، ج٦، ص٣٤٦، المفردات، الاصفهاني، ص٤٦٤، معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، ج٤، ص١٨١.
(١٢٠) النافع يوم الحشر في شرح الباب الحادي عشر، العلامة الحلي، تحقيق: المقداد السيوري، ط٢، دار الاضواء، ١٩٩٦م، بيروت/ ص٨٦.
(١٢١) شرح المقاصد، التفتلزاني، دار المعارف النعمانية، ١٩٨١م، باكستان، ج٢، ص٨٢.
(١٢٢) الالهيات، جعفر السبحاني، ج٤، ص١٥٨.
(١٢٣) ن . م، ص١٥٩.
(١٢٤) مساهمة الايرانيين في الحضارة العلمية، حميد نيرنوري، ص٢٢٨.
(١٢٥) سورة الاعراف، الايتان: ٣٥-٣٦.
(١٢٦) سورة نوح، الايتان: ١٧-١٨.
(١٢٧) لمحات من المعاد، علي الحسيني الصدر، ط١، منشورات، دليل ما، ١٤٣٥هـ، قم، ص٩.



(١٢٨) سورة النحل، الآية٣٨.

(١٢٩) سورة التغابن، الآية:٧.

(١٣٠) سورة الأسراء، الآيات: ٤٩-٥١.

(١٣١) سورة يس، الاتيان: ٧٨-٧٩.

(١٣٢) بحار الانوار، العلامة المجلسي، ج٧،ص٧٤.

(١٣٣) م. س ، ج٧، ص٤٠.

(١٣٤) شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد، ج٧، ص٦٥.

(١٣٥) ن.م، ج٧، ص١٢٥.

(١٣٦) بحار الأنوار، العلامة المجلسي ، ج٧، ص٤٢.

(١٣٧) حق اليقين، عبد الله شبر، ج٢، ص٥٤.

(١٣٨) كشف المراد، العلامة الحلي، ص٢٢٤.

(١٣٩) سورة العنكبوت، الايتان: ١٩-٢٠.

(١٤٠) محاضرات في الالهيات، جعفر السبحاني، ص٣٩٨.

(١٤١) سورة المؤمنون، الآية: ١١٥

(١٤٢) محاضرات في الالهيات، السبحاني، ص٣٩٩.

(١٤٣) سورة ص، الآية: ٢٨.

(١٤٤) شرح الخطبة الفدكية، المجلس، ص١٠٣.

(١٤٥) سورة الكهف، الآية ٤٧.

(١٤٦) سورة هود، الآية: ١٠٣.

(١٤٧) سورة يونس، الآية: ٩٣.

(١٤٨) سورة المؤمنون، الآيات: ١٠٥-١٠٨.

* المصادر والمراجع *

١) الاحتجاج ، الطبرسي، ط١، انتشارات الشريف الرضي، ١٣٨٠هـ، قم - ايران.

٢) احقاق الحق، نور الله التستري، مطبعة السعادة، ١٣٢٦هـ، مصر.

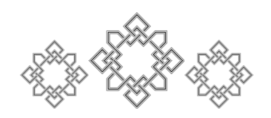
٣) ارشاد الطالبين على نهج المسترشدين، جمال الدين مقداد، تحقيق: مهدي الرجائي، ط١، مكتبة السيد المرعشي، ١٤٠٥هـ، قم.

٤) أعلام النساء، عمر رضا كحالة، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان.
٥) الافصاح في الإمامة، المفيد، ط٢، دار الكتب العلمية، ١٤١٤هـ، بيروت - لبنان .
٦) الاقتصاد، الطوسي، ط١، منشورات جمعية منتدى النشر، ١٣٩٩هـ، النجف الاشرف - العراق.
٧) الالهيات، جعفر السبحاني، ط٧، مؤسسة الإمام الصادق، ١٣٨٨هـ، قم - ايران.
٨) بحار الأنوار، المجلسي، المطبعة الاسلامية، ١٣٨٨هـ، طهران - ايران.
٩) بلاغات النساء، ابن طيفور، تصحيح: احمد الالفي، مدرسة والدة عباس الأول، ١٩٠٨م، القاهرة.
١٠) تصحيح اعتقادات الامامية، الشيخ المفيد، تحقيق: حسين دركاهي، ط١، المؤتمر العالمي لألفية الشيخ المفيد، ١٤١٣هـ.
١١) تفسير سورة الاخلاص، ابن تيمية، المطبعة الميرية، ١٣٢٣هـ، مصر.
١٢) تلخيص المحصل، نصير الدين الطوسي، ط٢، دار الاضواء، ١٩٨٥م، بيروت.
١٣) حقائق الايمان، الشهيد الثاني، تحقيق: مهدي الرجائي، ط١، مكتبة آية الله العظمى المرعشي، ١٤٠٩هـ، قم المقدسة.
١٤) حق اليقين، عبد الله شبر، ط١، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ١٩٩٧م، بيروت.
١٥) دروس في العقيدة الاسلامية، محمد تقي اليزدي، مؤسسة التأريخ العربي، بيروت - لبنان.
١٦) دلائل الامامة، الطبري، ط٢، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، ١٩٨٨م، بيروت - لبنان.
١٧) الذخيرة في علم الكلام، الشريف المرتضى، مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤١١هـ، قم المقدسة.
١٨) السقيفة وفدك، الجواهري، تحقيق: د. محمد هادي الامين، مكتبة نينوى الحديثة، طهران.
١٩) الشافي في الامامة، الشريف المرتضى، ط٢، مؤسسة اسماعيليان، ١٤١٠هـ، قم — ايران.
٢٠) شرح الخطبة الفدكية، العلامة المجلسي، ط١، دار كلستان كوثر، ٢٠٠٣م، طهران.
٢١) شرح جمل العلم والعمل، الشريف المرتضى، تحقيق: يعقوب الجعفري، ط٢، دار الاسرة للطباعة ، ١٤١٩هـ، قم - ايران.
٢٢) شرح المقاصد، التفتازاني، دار المعارف النعمانية، ١٩٨١م، باكستان.
٢٣) شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد، تحقيق: الاستاذ محمد ابو الفضل ابراهيم، ط١، الدار اللبنانية للنشر، ٢٠٠٨م، بيروت.
٢٤) الشيعة الامامية الاثنا عشرية، السبحاني، مقال، موقع مؤسسة الامام الصادق، ١١ ربيع الآخر، ١٤١٧هـ.
٢٥) صحيح البخاري، محمد بن اسماعيل البخاري، تحقيق: محمد زهير، ط١، دار طوق النجاة، ١٤٢٢هـ.

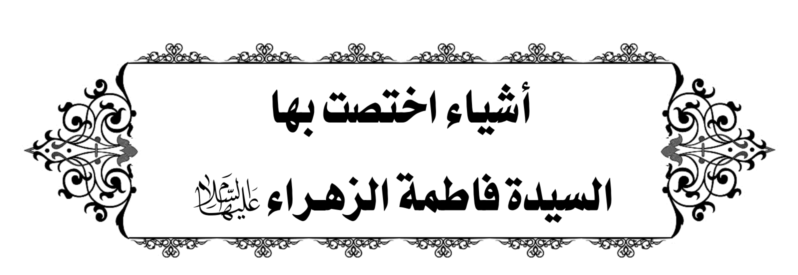


٢٦) الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف، ابن طاووس، مطبعة الخنام، ١٤٠٠هـ، قم - ايران.
٢٧) العدل الالهي، مرتضى مطهري، ط٢، دار الكتب الاسلامية، ١٤٠١هـ، طهران.
٢٨) علل الشرائع، الصدوق، منشورات المكتبة الحيدرية، ١٩٦٦م، النجف الاشرف.
٢٩) الفرق بين الفرق، عبد القادر الاسفرائيني، تحقيق: محمد محيي الدين، ط١، المكتبة العصرية، ١٤١١هـ، بيروت - لبنان.
٣٠) الكافي، الكليني، ط٦، دار الكتب الاسلامية، ١٣٧٥هـ، طهران - ايران.
٣١) كتاب العين، الفراهيدي، تحقيق: د. عبد الحميد الهنداوي، ط١، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٣م، بيروت - لبنان.
٣٢) كشف الغمة في معرفة الأئمة، بهاء الدين الأربلي، ط٢، دار الاضواء للطباعة، ١٩٨٥م، بيروت.
٣٣) كشف الفوائد، العلامة الحلي، تحقيق: حسن مكي العاملي، ط١، دار النسوة، ١٤١٣هـ، بيروت - لبنان.
٣٤) كشف المراد، العلامة الحلي، مؤسسة النشر الاسلامي، ١٤١٩هـ، قم المقدسة.
٣٥) لسان العرب، ابن منظور، تحقيق: أمين محمد عبد الوهاب ومحمد صادق، ط١، دار احياء التراث العربي، ٢٠١٠م، بيروت - لبنان.
٣٦) لمحات من المعاد، علي الحسيني الصدر، ط١، منشورات دليل ما، ١٤٣٥هـ، قم - ايران.
٣٧) اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع، أبو الحسن الاشعري، تقديم حمودة غرابة، المطبعة الميرية، ١٩٢٥م، مصر.
٣٨) مجمع البحرين، فخر الدين الطريحي، تحقيق: احمد الحسيني، مطبعة الآداب، النجف الاشرف.
٣٩) مجمع البيان، الطبرسي، ط١، دار الكتب الاسلامية، ١٣٧٣هـ، طهران.
٤٠) محاضرات في الالهيات، السبحاني، تحقيق: علي الرباني، ط١٠، مؤسسة التراث العربي، ١٤٢٧هـ بيروت - لبنان.
٤١) مرآة الأنوار ومشكاة الأسرار، الشيخ الكازراني، الطبعة القديمة الحجرية، ١٣٠٣هـ.
٤٢) مروج الذهب، المسعودي، تحقيق: أسعد داغر، دار الهجرة، ١٤٠٩هـ، قم - ايران.
٤٣) مساهمة الايرانيين في الحضارة العالمية، حميد نيرنوري.
٤٤) مصباح الهداية في اثبات الولاية، البهباني، ط١، شركة مكتب الالفين، ١٩٩٩م، بنيد القار.
٤٥) معاني الاخبار، الصدوق، تحقيق: على اكبر الغفاري، مؤسسة النشر الاسلامي، ١٣٧٩هـ، قم.

٤٦) المغني في أبواب التوحيد والعدل، عبد الجبار الأسد آبادي، تحقيق: د. محمود هاشم، دار الكتب، ١٣٨٢هـ بيروت - لبنان.
٤٧) المفردات، الراغب الاصفهاني، تحقيق: ابراهيم شمس الدين، ط١، مؤسسة الاعلمي، ٢٠٠٩م، بيروت - لبنان .
٤٨) مقتل الحسين، الخوارزمي، تحقيق: محمد طاهر السماوي، منشورات مكتبة المفيد، قم - ايران.
٤٩) الملل والنحل، الشهرستاني، تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت - لبنان.
٥٠) منال الطالب في شرح طوال الغرائب، ابن الاثير، تحقيق: محمود محمد الطناحي، مكتبة الخافجي، مصر.
٥١) المواقف في علم الكلام، عضد الدين الأيجي، تحقيق: د. عبد الرحمن عمير، ط١، ١٤١٧هـ، دار الجيل، بيروت - لبنان.
٥٢) الميزان، محمد حسين البطاطبائي، ط٥، مؤسسة اسماعيليان، ١٤١٢هـ، قم - ايران.
٥٣) النافع يوم الحشر في شرح الباب الحادي عشر، العلامة الحلي، تحقيق: المقداد السيوري، ط٢، دار الأَضواء، ١٩٩٦م، بيروت.
٥٤) النص والاجتهاد، شرف الدين، ط١، مطبعة سيد الشهداء عليه السلام، ١٤٠٤هـ، قم - ايران.
٥٥) نظريات الجزء الذي لا يتجزأ في التراث العربي الاسلامي، د. عبد الكريم الباقي، بحث مجلة التراث العربي، دمشق، العدد الثامن، تموز ١٩٨٢م.
٥٦) النكت الاعتقادية، الشيخ المفيد، ط١، المؤتمر العالمين لألفية الشيخ المفيد، ١٤١٣هـ.
٥٧) النهاية في غريب الحديث والاثر، ابن الاثير، تحقيق: محمود محمد الطناحي، المكتبة الاسلامية.
٥٨) نهج الحق، العلامة الحلي، تعليق: الشيخ عبد الله الحسيني ، ط١، مؤسسة دار الهجرة، ١٤٠٧هـ، قم - ايران.
٥٩) الوفا بتعريف فضائل المصطفى، ابن الجوزي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.







أشياء اختصت بها السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام

رسول كاظم عبد السادة

المقدمة

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الطيبين الطاهرين وبعد..

انّ الحديث عن الزهراء صلوات الله عليها دائما يرتبط بالمحن والاحزان والرزايا فلو تصفحنا التاريخ والحاضر لم نجد ولن نجد حتى في المستقبل امرأة قد جابهت محناً وبلايا مثل الصديقة الطاهرة هي وولدها صلوات الله عليهم برغم المزايا التي تميزت بها وقربها من رسول الأُمّة صلى الله عليه وآله بوصفها ابنته وثمرة فؤاده وبهجة قلبه وروحه التي بين جنبية كما ورد في الخبر عنه صلى الله عليه وآله بل كان يفتديها روحي فداه بنفسه إذ لم تلق امرأة من نساء بقية المسلمين مثلها، ومع ذلك فقد اجمع علماء المسلمين على جلالتها وعظيم منزلتها في الدنيا والاخرة وانا احب ان استعير الكلمة القيمة التي ذكرها المفكر الاسلامي الدكتور علي سامي النشار في كتابه (نشأة الفكر الفلسفي في الاسلام) مع ما لدي من ملاحظات على بعض فقراتها الا انها ثمينة حيث تصدر عن مثله قال في الجزء الثاني من كتابه :

(إنّ المسلمين أجمعين ـ اللّهُمَّ إلا السلف ـ من الحنابلة المتأخرين رأوا في أهل البيت جميعا ملاذا لهم في أدعيتهم وتوسلاتهم وقد أمروا في أدعيتهم

وتوسلاتهم، وقد أمروا في صلواتهم بالدعاء لهم والصلاة عليهم. ومجد المسلمون جميعا سنة وشيعة فاطمة الزهراء واعتبروها سيدة نساء العالمين ومنها بقي الدم النبوي في آفاق الأرض وفاطمة الزهراء العقب الوحيد الباقي لمحمد صلى الله عليه وآله وقد عاشت في أحضان الرسول صلى الله عليه وآله وذاقت مرار اليتم ـ بعد وفاة أمها وتحمّلت مع أبيها وهي طفلة غضة عذاب قريش والقرشيين واضطهادهم، وكانت مثلا من مثل الفداء ولم تهن على الإطلاق. وقد هاجرت مع ابن عمها علي بن أبي طالب فارس الإسلام العظيم من مكة إلى المدينة، يسيران ليلا ويختفيان نهارا ولما نضر عودها زفت إلى ابن عمها وحواري أبيها، ثم حملت حفيدي محمد صلى الله عليه وآله: الحسن الحسين زهرتي بني هاشم وسيدي شباب أهل الجنة كتب عليهما الموت شهادة في ميلاد .

وحين أتى وفد نجران إلى الرسول صلى الله عليه وآله وسألوه عن حقيقة المسيح نزل في القران: ﴿**إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ**﴾ الزخرف/٥٩ ﴿**إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثِمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ**﴾ آل عمران/٥٩ثم دعا إلى المباهلة :﴿**فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَاءنَا وَأَبْنَاءكُمْ وَنِسَاءنَا وَنِسَاءكُمْ وَأَنفُسَنَا وأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَةَ اللّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ**﴾ آل عمران/٦١.

ورضي الوفد بالمباهلة - فأتى الرسول صلى الله عليه وآله آخذاً بأيدي الحسن والحسين تتبعه فاطمة وعلي بين يديه وألقى عليهم الرسول صلى الله عليه وآله بكسائه وقد عرفت هذه الحادثة بحادثة الكساء وعرف الحديث الواحد فيها بحديث الكساء، ثم جثا الرسول صلى الله عليه وآله على ركبتيه وركع فانسحب الوفد النجراني - هارباً ورفض المباهلة.

وحين مرض الرسول صلى الله عليه وآله - وذهبت لدعوده ملتاعة خرجت ضاحكة لتعلن أن الرسول صلى الله عليه وآله بشرها بأنها ستلحقه في رياض الله قريبا وحين تولى خلافة المسلمين أبو بكر غضبت فاطمة وقد رأت أن لعلى الحق الأكبر في الخلافة، واجتمع جماعة من المهاجرين والأنصار مع علي بن أبي طالب في منزل فاطمة - بعد

تولي أبي بكر الخلافة، فقالت :والله لتخرجن أو لأكشفن شعري ولأعجنَّ إلى الله، خشي الصحابة دعوتها فخرجوا.

وبعد سبعين ليلة من وفاة الرسول ﷺ أحست فاطمة بالموت، فقالت لصديقتها أسماء بنت عميس: ألا ترين إلى ما بلغت أفأحمل على سرير ظاهرا. لقد خشيت فاطمة الزهراء بنت محمد رسول الله ﷺ أن تحمل على سرير يظهر جسدها المسجى للناس فقالت لها أسماء لعمري يا بنت رسول الله ﷺ ولكني أصنع لك شيئا فقالت فاطمة فأرينيه فأرسلت إلى جريد رطب فقطعته ثم جعلتها على السرير نعشا وهو أول ما كنت النعوش وتبسمت الزهراء الطاهرة وما رؤيت متبسمة إلا يومئذ وحضرت نساء من قريش في مرضها وقلن لها كيف أنت يا بنت رسول الله قالت أجدني كارهة لدنياكن مسرورة لفراقكن فما حُفظ لي الحق ولا رُعيت مني الذمة ولا قبلت الوصية ولا عُرفت الحرمة. وبعد سبعين يوماً من وفاة الرسول ﷺ كما قلت أسلمت الروح العظيمة وبين يديها طفلاها الصغيران الحسن والحسين وكان سنها ثلاث وعشرين سنة.

كانت حياة فاطمة الزهراء القصيرة عظة كبرى للمسلمين جميعا المهاجرة الصغيرة في ظلام الليل الدامس، مع ابن عمّها الفتى تسير في دروب جبال مكة متخفية ثم تخرق الصحراء الكبيرة في طريقها إلى يثرب وأعداء أبيها اللدد في أثرها وإثر ابن عمها ثم هجرتها الأخيرة إلى الموت إلى الله ورسوله – أفعم كل هذا المسلمين بالأسى وقد كان أبو بكر يتذكر فاطمة ويبكي بل أعلن حين موته ندمه أن اقتحم منزلها بالرجال وكانت فاطمة الزهراء تؤمن بلا شك بحق علي في الخلافة ولم يكن هذا منبثق عن أمل في مشاركة ابن عمها حكم المسلمين.

لقد كانت تعلم عن يقين أنها تاركة الدنيا سراعا ولكن إيمانها بأحقيته وأهليته للمهمة الكبرى التي تركها الرسول ﷺ.

وإذا كان المسلمون أجمعون قد أعتبروها زهرة الوجود وعطر الحياة والأنثى الخالدة فإن الشيعة من بين المسلمين قد أعتبروها البرهان على عقيدتهم في الحق الألهي لعلي بل يؤمنون بأنها الشهادة الكبرى من رسول الله صلى الله عليه وآله على أحقية علي بن أبي طالب في خلافة الرسول دينا ودنيا ولقد تحرزوا عن دعوتها بالأنوثة ودعوها بفاطم وشغلت أم الإمامين والأئمة في أفكار الشيعة وفي عقائدهم مكاناً قدسياً وحرماً طاهراً مقدساً).

انتهى كلام النشار ولعمري ان اتقن العبارة فقد راوغ في بعض المواطن لاسيما في هجوم القوم على دارها، ونحن في هذه الفقرات المتواضعة سوف نتابع بعض ما اختصت به الصديقة الزهراء عليها السلام، وان هذه الاشياء التي اختصت بها قد صودرت وخولف فيها عن عمد وقصد.

نعم كانت للزهراء بعض الاشياء الخاصة الا انّ لهذه الاشياء معاني في الآخرة غير ما يتبادر اليها في الدنيا وربما ظهرت بعض تلك المعاني لمصلحة خاصة، فلنتابع بعض اشياء الزهراء، بالرواية والنص التاريخي، ونسأل الله التوفيق ونعتذر سلفا عن التقصير والغفلة وصلى الله على محمد واله الطيبين الطاهرين والحمد لله رب العالمين أولاءً وآخراً وظاهراً وباطناً.

- ١ -

بابها عليها السلام

باب فاطمة عليها السلام هو باب الوجود الحقيقي وسر التوحيد لذلك فلا غرابة ان يتعرض هذا الباب للهتك، كما هو شان التوحيد الذي هتكه الشرك، ولذلك كان رسول الله صلى الله عليه وآله يراعي هذا الباب رعاية خاصة، فيقف عنده اربعين ليلة، عن الصادق جعفر بن محمد، عن أبيه، عن آبائه عليهم السلام، قال: كان النبي صلى الله عليه وآله يقف عند

طلوع كل فجر على باب علي وفاطمة عليهما السلام، فيقول: الحمد لله المحسن المجمل المنعم المفضل، الذي بنعمته تتم الصالحات، سمع سامع بحمد الله ونعمته وحسن بلائه عندنا، نعوذ بالله من النار، نعوذ بالله من صباح النار، نعوذ بالله من مساء النار، الصلاة يا أهل البيت ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا**﴾[1] وعن أبي سعيد الخدري قال: لما دخل علي بفاطمة جاء النبي صلى الله عليه وآله أربعين صباحا إلى بابها فيقول: أنا حرب لمن حاربتم وسلم لمن سالمتم [2].

ولابدّ من أن يكون هذا الباب مميزا عن ابواب الاخرين فلا تمثل عليه اثار الدنيا كبقية الابواب ،عن أبي جعفر عليه السلام، قال: رجع رسول الله صلى الله عليه وآله من سفر، فدخل على فاطمة عليها السلام فرأى على بابها سترا، وفي يديها سوارين من فضة، فخرج من بيتها، فدعت فاطمة عليها السلام ابنيها، فنزعت الستر وخلعت السوارين، وأرسلتهما إلى النبي، فدعا النبي صلى الله عليه وآله أهل الصفة، فقسمه بينهم قطعا، ثم جعل يدعو الرجل منهم العاري الذي لا يستر بشيء، وكان ذلك الستر طويلا ليس له عرض، فجعل يوزر الرجل فإذا التقى عليه قطعه، حتى قسمه بينهم أزرا [3].

وكان هذا الباب مفتوحا الى المسجد النبوي واغلقت كل الابواب الشارعة الى المسجد الا هذا الباب اشعارا بكونه جزءاً لا يتجزّأ منه فهو اصل نظام العبادة ومنتهى الطهارة، فقد اكتسب المكان طهارته من المكين

عن عيسى الملائي قال: دخلت على علي بن الحسين فقلت: حدثني عن الابواب سمعت من أبيك فيها شيئا ؟ قال: حدثني أبي الحسين بن علي عن علي أنه قال: أخذ رسول الله صلى الله عليه وآله يدي ثم أرسل إلى أبي بكر أن سد بابك فاسترجع ثم قال: هل فعل بهذا بأحد قبلي ؟ قال: لا. قال: سمعاً وطاعة فسده. ثم أرسل إلى عمر سد بابك فقال: هل فعل بأحد قبلي ؟ قيل: نعم بأبي بكر فقال: إن لي بأبي بكر أسوة فسد بابه ثم أرسل إلى العباس سد بابك فغضب غضبا شديدا ثم قال: ارجع إلى النبي صلى الله عليه وآله فقل: أليس عم الرجل صنو أبيه ؟ قال: بلى ولكن سد بابك. فلما

سمعت فاطمة سد الابواب خرجت فجلست على بابها تنتظر من يرسل إليها بسد الباب فخرج العباس ينتظر هل يسد باب علي فرآى فاطمة جالسة والحسن والحسين معها فقال: قد خرجت وبسطت ذراعيها مثل الاسد وأخرجت جرويها وخاض الناس في سد الابواب وفتح باب علي فلما سمع النبي صلى الله عليه وآله ذلك صعد المنبر فقال: ما الذي تخوضون فيه ما أنا بالذي سددت أبوابكم وفتحت باب علي ولكن الله سد أبوابكم وفتح باب علي (٤)

وهذا الباب الملكوتي المفتوح لأهل الدنيا رحمة للعالمين هتك حجابه واحرق، ولولا حرق هذا الباب وهتكه لما احرقت خيام الحسين بكربلاء وذلك انه:

بـــرقي مـــنبره رقـــي في كـــربلا	صـــدر وضـــرج بالـــدماء جبـــين
لـــولا ســـقوط جنـــين فاطمـــة لمـــا	أودى لـــها فـــي كـــربلاء جنـــين
وبكسر ذاك الضـلع رضـت أضـلع	فـــي طـــيها ســـر الإلـــه مصـــون
وكـــما عـــلى قـــوده بـــنجاده	فلـــه عـــلي بـــالوثاق قـــرين
وكـــما لـــفاطم رنـــة مـــن خلفـــه	لـــبناتها خـــلف الـــعليل رنـــين
وبـــزجرها بســـياط قنفـــذ وشـــحت	بـــالطف مـــن زجـــر لهـــن متـــون
وبـــقطعهم تـــلك الاراكـــة دونهـــا	قـــطعت يـــد فـــي كـــربلا ووتـــين
لـــكنما حـــمل الـــرؤوس عـــلى القنـــا	أدهـــى وان ســـبقت بـــه صـــفين
كـــل كـــتاب الله هـــذا صـــامت	هـــذا وهـــذا نـــاطق ومبـــين

نعم أُشعلت النار على بيت التي بمحبتها تطفى نيران الآخرة!!

عن مروان بن عثمان قال: لما بايع الناس أبا بكر دخل علي عليه السلام والزبير والمقداد بيت فاطمة عليها السلام، وأبوا أن يخرجوا، فقال عمر بن الخطاب: اضرموا عليهم

البيت نارا، فخرج الزبير ومعه سيفه، فقال أبو بكر: عليكم بالكلب، فقصدوا نحوه، فزلت قدمه وسقط إلى الارض ووقع السيف من يده، فقال أبو بكر: اضربوا به الحجر، فضرب بسيفه الحجر حتى انكسر. وخرج علي بن أبي طالب عليه السلام نحو العالية فلقيه ثابت بن قيس بن شماس، فقال: ما شأنك يا أبا الحسن ؟ فقال: أرادوا أن يحرقوا علي بيتي وأبو بكر على المنبر يبايع له ولا يدفع عن ذلك ولا ينكره، فقال له ثابت: ولا تفارق كفي يدك حتى أقتل دونك، فانطلقا جميعا حتى عادا إلى المدينة وإذا فاطمة عليها السلام واقفة على بابها، وقد خلت دارها من أحد من القوم وهي تقول: «لا عهد لي بقوم أسوأ محضراً منكم، تركتم رسول الله صلى الله عليه وآله جنازة بين أيدينا وقطعتم أمركم بينكم لم تستأمرونا وصنعتم بنا ما صنعتم ولم تروا لنا حقا»[٥].

قال شاعر النيل حافظ ابراهيم في قصيدته الملحمية في حياة عمر بن الخطاب :

وقولـة لعـلي قالهـا عمـر أكـرم بسـامعها أعظـم بملقيهـا

حرقـت دارك لا أبقـي عليـك بهـا إن لم تبـايع وبنـت المصـطفى فيهـا

مـا كـان غـير أبي حفـص بقائلها أمـام فـارس عـدنان وحاميهـا

نقل احمد بن يحيى جابر البغدادي البلاذري (المتوفي ٢٧٠) ـ الكاتب الشهير وصاحب التاريخ الكبير ـ هذه الواقعة التاريخية في كتابه انساب الاشراف: إن أبا بكر أرسل إلى علي يريد البيعة فلم يبايع، فجاء عمر ومعه فتيلة! فتلقته فاطمة على الباب.فقالت فاطمة: يا ابن الخطاب، أتراك محرقاً عليّ بابي؟قال نعم، وذلك أقوى فيما جاء به أبوك...!

وكتب المؤرّخ الشهير عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (٢١٢ ـ ٢٧٦) في كتاب الامامة والسياسة:إن أبا بكر تفقد قوماً تخلّفوا عن بيعته عند علي فبعث إليهم عمر فجاء فناداهم وهم في دار علي، فأبوا أن يخرجوا فدعا بالحطب وقال:

والذي نفس عمر بيده لتخرجنّ أو لاحرقنّها على من فيها، فقيل له: يا أبا حفص إنّ فيها فاطمة فقال: وإن، ثم كتب ابن قتيبة بعد هذه القضيّة المؤلمة يقول: ثمّ قام عمر فمشى معه جماعة حتّى أتوا فاطمة فدقّوا الباب فلّما سمعت أصواتهم نادت بأعلى صوتها يا أبتاه يا رسول الله ماذا لقينا بعدك من ابن الخطاب، وابن أبي قحافة فلما سمع القوم صوتها وبكاءها انصرفوا.وبقي عمر ومعه قوم فأخرجوا عليّاً فمضوا به إلى أبي بكر فقالوا له بايع: فقال: إن أنا لم أفعل فمه؟ فقالوا: إذاً والله الذي لا إله إلاّ هو نضرب عنقك(٦)

- ٢ -

بيت احزانها عليها السلام

بيت الأحزان: جمع حزن ضد الفرح: بلد بين دمشق والساحل، سمي بذلك لأنهم زعموا أنه كان مسكن يعقوب عليه السلام، أيام فراقه ليوسف عليه السلام، وكان الإفرنج عمروه وبنوا به حصنا حصينا (٧) ومثلما كان ليعقوب بيت الأحزان، فان لآل النبي كربلاء (٨)ولان كان نوح عليه السلام بكى عليه السلام على هلاك قومه وسوء عاقبتهم حتّى سمّي نوحاً، فقد بكت فاطمة الزهراء عليها السلام أيضاً على ضلالة هذه الأمّة المرحومة وغوايتها وسوء عاقبتها، حتّى صار لها عالم الإمكان بيت الأحزان (٩) ولان خرجتعليها السلام من الدنيا حزينة مظلومة فلعمرك ان الدنيا سجن المؤمن وقد وصف نبي الله يوسف على نبينا وعليه السلام السجن بذلك بان كتب على بابه: هذا قبر الاحياء، و بيت الاحزان، و تجربه الاصدقاء، و شماتة الاعداء !(١٠) .

جاء في حديث ورقة بن عبد اللّه مع فضة قال: قلت لها: يا فضّة أخبريني عن مولاتك فاطمة الزّهراء عليها السلام وما الذي رأيت منها عند وفاتها بعد موت أبيها محمّد صلى الله عليه وآله سلَّم. قال ورقة: فلما سمعت كلامي تغرغرت عيناه بالدّموع ثمّ انتحبت

نادبة وقالت: يا ورقة بن عبد اللّه هيّجت عليّ حزنا ساكنا وأشجانا في فؤادي كانت كامنة فاسمع الان ما شاهدت منها. اعلم أنه لما قبض رسول اللّه ﷺ افتجع له الصغير والكبير وكثر عليه البكاء وقلّ العزاء وعظم رزؤه على الأقرباء والأصحاب والأولياء والأحباب والغرباء والأنساب، ولم تلق إلّا كلّ باك وباكية ونادب ونادبة، ولم يكن في أهل الأرض والأصحاب والأقرباء أشدّ حزنا وأعظم بكاء وانتحابا من مولاتي فاطمة الزهراء، وكان حزنها يتجدّد ويزيد، وبكاؤها يشتدّ فجلست سبعة أيام لا يهدى لها أنين ولا يسكن منها حنين، وكلّ يوم جاء كان بكاؤها أكثر من اليوم الأول. فلما كان في اليوم الثامن أبدت ما كتمت من الحزن فلم تطق صبرا إذ خرجت وصرخت فكأنها من فم رسول اللّه ﷺ تنطق، فتبادرت النسوان وخرجت الولايد والولدان، وضجّ الناس بالبكاء والنحيب، وجاء الناس من كلّ مكان، واطفيت المصابيح لكيلا تتبيّن صفحات النساء، وخيّل إلى النسوان أنّ رسول اللّه ﷺ قد قام من قبره، وصار الناس في دهشة وحيرة لما قد رهقهم، وهى تنادى وتندب وا أباه وا أبتاه وا صفيّاه وا محمّداه وا أبا القاسماه واربيع الأرامل واليتامى اه من للقبلة والمصلَّى، ومن لابنتك الوالهة الثكلى.

ثمّ أقبلت تعثر في أذيالها وهى لا تبصر شيئا من عبرتها ومن تواتر دمعتها حتى دنت من قبر أبيها محمّد ﷺ فلمّا نظرت إلى الحجرة وقع طرفها على المأذنة فقصر خطاها ودام نحيبها وبكاها إلى أن أغمي عليها، فتبادرت النسوان إليها فنضحن الماء عليها وعلى صدرها وجبينها حتّى أفاقت وهى تقول: رفعت قوّتي، وخانني جلدي، وشمت بي عدوّي، والكمد قاتلي، يا أبتاه بقيت والهة وحيدة وحيرانة فريدة فقد انخمد صوتي، وانقطع ظهري، وتنغّص عيشي، وتكدّر دهري، فما أجد يا أبتاه بعدك أنيسا لوحشتي، ولا رادا لدمعتي ولا معينا لضعفي، فقد فنى بعدك محكم التنزيل، ومهبط جبرئيل، ومحلّ ميكائيل انقلبت بعدك يا أبتاه الأسباب، وتغلّقت دوني الأبواب، فأنا للدّنيا بعدك قالية، وعليك ما ترددت أنفاسي باكية، لا

ينفد شوقي إليك، ولا حزني عليك. ثمّ نادت: يا أبتاه والبّاه ثمّ قالت:

إنّ حــزني عليــك حــزن جديــد   وفــؤادي واللهّ صــبّ عنيــد

كــلّ يــوم يزيــد فيــه شــجوني   وا كتئــا بي عليــك لــيس يبيــد

جــلّ خطبــى فبــان عنّــي عزائــي   فبكــائي كــلّ وقــت جديــد

إنّ قلبــا عليــك يــألف   صــبرا أو عــزاء فانّــه لجليــد

ثمّ نادت: يا أبتاه انقطعت بك الدّنيا بأنوارها، وزوت زهرتها وكانت ببهجتك زاهرة فقد اسودّ نهارها، فكان يحكي حنادسها رطبها ويابسها، يا أبتاه لا زالت آسفة عليك إلى التّلاق، يا أبتاه زال غمضي منذ حقّ الفراق، يا أبتاه من للأرامل والمساكين، ومن للأمّة إلى يوم الدّين، يا أبتاه أمسينا بعدك من المستضعفين، يا أبتاه أصبحت النّاس عنّا معرضين، ولقد كنّا بك معظّمين في النّاس غير مستضعفين فأيّ دمعة لفراقك لا تنهمل، وأيّ حزن بعدك عليك لا يتّصل، وأيّ جفن بعدك بالنّوم يكتحل، وأنت ربيع الدين، ونور النبيين، فكيف للجبال لاتمور، وللبحار بعدك لا تغور، والأرض كيف لم تتزلزل، رميت يا أبتاه بالخطب الجليل، ولم يكن الرزيّة بالقليل، وطرقت يا أبتاه بالمصاب العظيم، وبالفادح المهول، بكتك يا أبتاه الأملاك، ووقفت الأفلاك فمنبرك بعدك مستوحش، ومحرابك خال من مناجاتك، وقبرك فرح بمواراتك، والجنّة مشتاقة إليك وإلى دعائك وصلاتك، يا أبتاه ما أعظم ظلمة مجالسك، فوا أسفا عليك إلى أن أقدم عاجلا عليك واثكل أبي الحسن المؤتمن أبي ولديك الحسن والحسين وأخيك ووليك وحبيبك ومن ربّيته صغيرا وآخيته كبيرا وأحلي أحبابك وأصحابك من كان منهم سابقا ومهاجرا وناصرا، والثكل شاملنا، والبكاء قاتلنا، والأسى لازمنا.

ثمّ زفرت زفرة وأنّت أنّة كادت روحها أن تخرج ثمّ قالت :



قلّ صبري وبان عنّي عزائي … بعد فقدى لخاتم الأنبياء

عين يا عين اسكبى الدّمع سحّا … ويك لا تبخلي بفيض الدّماء

يا رسول الا له يا خيرة الله … وكهف الأيتام والضّعفاء

قد بكتك الجبال والوحش جمعا … والطير والأرض بعد بكى السماء

وبكاك الحجون والركن و … المشعر يا سيدي مع البطحاء

وبكاك المحراب والدّرس … للقرآن في الصّبح معلنا والمساء

وبكاك الاسلام إذ صار في … النّاس غريبا من ساير الغرباء

لو ترى المنبر الذي كنت تعلوه … علاه الظلام بعد الضّياء

يا إلهي عجّل وفاتي سريعا … قد نغصت الحياة يا مولائي

قالت: ثمّ رجعت إلى منزلها وأخذت بالبكاء والعويل ليلها ونهارها وهي لاترقى دمعتها، ولا تهدى زفرتها.

واجتمع شيوخ أهل المدينة واقبلوا إلى أمير المؤمنين عليّ عليه السلام فقالوا له يا أبا الحسن إنّ فاطمة تبكى اللّيل والنّهار فلا أحد منّا يتهنأ بالنّوم في اللّيل على فراشنا ولا بالنّهار قرار على أشغالنا وطلب معايشنا، وإنّا نخيّرك أن تسألها إمّا أن تبكى ليلا أو نهارا، فقال حبّا وكرامة فأقبل أمير المؤمنين حتّى دخل على فاطمة عليها السلام وهي لا تفيق من البكاء، ولا ينفع فيها العزاء، فلمّا رأته سكتت هيمنة له فقال لها: يا بنت رسول اللّه صلى الله عليه وآله إنّ شيوخ المدينة يسألوني أن أسألك إمّا أن تبكين أباك ليلا وإمّا نهارا فقالت يا أبا الحسن ما أقلّ مكثي بينهم وما أقرب مغيبتي من بين أظهرهم، فو اللّه لا أسكت ليلا ولا نهارا أو ألحق بأبي رسول اللّه، فقال لها عليّ: افعلي يا بنت رسول اللّه صلى الله عليه وآله ما بدا لك ثمّ إنّه عليه السلام بنى لها بيتا في البقيع نازحا من المدينة يسمّى بيت الأحزان وكانت إذا أصبحت قدّمت الحسن والحسين أمامها وخرجت إلى

البقيع باكية فلا تزال بين القبور باكية، فإذا جاء اللَّيل أقبل أمير المؤمنين إليها وساقها بين يديه إلى منزلها. ولم تزل على ذلك إلى أن مضى لها بعد أبيها سبعة وعشرون يوما واعتلَّت العلَّة الَّتي توفّيت فيها[١١].

قال الفرطوسي:

لم تـــزل بعـــده عليلـــة جســـم	**لقليـــل الســـلوى وطـــول الـــبلاء**
وهـــي يغشـــى مـــن السـقام عليهـــا	**كـــل حـــين مـــن كثـــرة الإغـــماء**
لم تفـــارق فراشـــها مـــن نحـــول	**قـــد براهـــا ضـــعفاً وطـــول عنـــاء**
وهـــي تبكـــي لـــيلا نهـــاراً أباهـــا	**بـــدموع الـــذكرى بغـــير انتهـــاء**
قاتـــل الله قـــوم ســـوء بغـــاة	**منعوهـــا عـــن الأســـى والبكـــاء**
أخرجوهـــا مـــن بيتهـــا حـــين ضـجوا	**لعـــليّ مـــن كثـــرة الإســـتياء**
فاســـتظلت ظـــل الأراكـــة لكـــن	**قطعوهـــا بقســـوة وعـــداء**
فأقـــام الـــوصي بيتـــاً وســـمّا	**ه ببيـــت الأحـــزان والأرزاء**
فهـــي تـــأوي إليـــه كـــل نهـــار	**ثـــم تـــأتي لبيتهـــا في المســـاء**
لم تـــزل دأبـــا النياحـــة حتـــى	**أســـلمتها إلى قسيـــ الفنـــاء**

نعم لقد تنحَّت الزهراء عن البلد في نياحتها على أبيها صلى الله عليه وآله وخرجت بولديها في لمة من نسائها إلى البقيع يندبن رسول الله صلى الله عليه وآله في ظل أراكة كانت هناك فلما قطعت بنى لها علي بيتا في البقيع كانت تأوى إليه للنياحة يدعى بيت الأحزان وكان هذا البيت يزار في كل خلف من هذه الأمة كما تزار المشاهد المقدسة حتى هدم بأمر الملك عبد العزيز بن سعود لما استولى على الحجاز وهدم المقدسات في البقيع عملا بما يقتضيه مذهبه الوهابي وذلك سنة ١٣٤٤ للهجرة [١٢].

لقد دأب آل سعود على محو الآثار الإسلامية في مكة والمدينة: فقد هدم آل سعود :

١ - البيت الذي ولد فيه النبي محمد صَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ بشعب الهواشم بمكة المكرمة .

٢ - هدموا بيت السيدة خديجة أم المؤمنين وأول امرأة آمنت بالرسول صَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ والرسالة الإسلامية وبذلت كل أموالها في سبيل الدعوة الإلهية .

٣ - هدموا البيت الذي ولدت فيه الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء .

٤ - هدم بيت أبي بكر ويقع بمحلة المسفلة بمكة .

٥ - هدم بيت حمزة بن عبد المطلب عم النبي صَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ أسد الله وأسد رسوله ويقع بيته في المسفلة بمكة .

٦ - هدم بيت الأرقم وهو أول بيت تكونت فيه خلايا الثورة الإسلامية وكان الرسول صَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ يجتمع فيه مع أصحابه سرا وهذا البيت يقع بجوار الصفا بمكة. . أما الآن فقد شيد في مكانه قصر أعطى لتاجر الفتاوى السعودية الباطلة عبد الملك بن إبراهيم ليتاجر به وذريته ويفسدون .

٧ - هدم قبور الشهداء الواقعة في المعلى بأعلى مكة وبعثروا رفاتها .

٨ - هدم قبور الشهداء في بدر .

٩ - هدم البيت الذي ولد فيه الحسن والحسين عَلَيْهِمَاالسَّلَامُ في المدينة .

١٠ - سرقوا الذهب الموجود في القبة الخضراء. في المدينة .

١١ - دمروا بقيع الغرقد الذي يرقد فيه الأئمة الأربعة من أهل البيت وهم الحسن بن علي وزين العابدين والإمام الباقر والإمام الصادق عَلَيْهِمُالسَّلَامُ ، وزوجات النبي صَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ وبناته وأولاده وجملة كبيرة من أصحابه .

١٢ - هدموا بيت الأحزان الذي بناه الإمام على لسيدة النساء فاطمة الزهراء لتبكي على أبيها فيه .

١٣ - طموا المكان الذي ربضت فيه ناقة الرسول ﷺ عند قدومه إلى المدينة.

١٤ - مكتبات من أثمن المكتبات في العالم أحرقتها الهمجية السعودية بمكة والمدينة: فقد أحرق آل سعود " المكتبة العربية " الأثرية الإسلامية التاريخية العلمية التي كانت في مكة المكرمة وهي التي تعد من أثمن المكتبات في العالم إذ لا تقدر بالمال أبدا، ولا بمليارات العملات. لقد كان بهذه المكتبة (٦٠,٠٠٠) من الكتب النادرة الوجود الجامعة لمختلف المناهل العلمية والتاريخية. وفيها (٤٠,٠٠٠) مخطوطة نادرة الوجود من مخطوطات "جاهلية" خطت كمعاهدات بين طغات قريش واليهود وتكشف الغدر اليهودي وعدم ارتباط اليهود بالدين والوطن من قديم الزمان وتكشف مؤامرات اليهود على - النبي محمد ﷺ - وفيها وثائق خطت قبل الثورة المحمدية بمئات السنين وفيها ما يعطي فكرة ممتازة عن تلك الحضارات العربية القديمة.

وفي هذه المكتبة وغيرها من مكتبات المدينة بعض المخطوطات المحمدية التي كتبت بخط النبي محمد في أيام كفاحه السري وهناك ما هو بخط علي بن أبي طالب وأبي بكر وعمر وخالد بن الوليد وطارق بن زياد وعدد من الصحابة، ومن هذه المخطوطات ما يسجل العديد من الخطط الحربية التي أرسلها خالد بن الوليد لعمر بن الخطاب والتي أرسلها - عمر - لخالد والتي يظهر بعضها بعض الخلاف الاجتهادي في وجهات النظر.

ومن تلك المخطوطات ما هو مخطوط على جلود الغزلان وعلى فرش من الحجارة وألواح من عظام فخوذ الإبل وغيرها من الوسائل القابلة للكتابة كالألواح الخشبية والفخارية والطين المصهور بالأفران. . والمكتبة العربية التاريخية في مكة المكرمة بالإضافة إلى كونها مكتبة نادرة فهي متحف أيضا يحتوي على مجموعة آثار ما قبل الإسلام وبعده، وأنواع من أسلحة النبي محمد ﷺ وفيها آخر

الأصنام المعبودة التي حطمتها الثورة المحمدية، مثل اللات، والعزى، ومناة، وهبل. . وغيرها.

ويقول ناصر السعيد: ويحدثنا أحد المشايخ المؤرخين المعاصرين فيقول: وكنت أزور هذه المكتبة مع والدي قبل الاحتلال السعودي وكان يرتادها مجاميع من الدارسين، فتقدم بعضهم بشكوى للحسين بن علي يطلبون منه " إحراق بعض المخطوطات النادرة لأن فيها كفريات " فقال لهم: (أي الشريف حسين): "إنني معكم قد لا أؤيد هذه الكفريات وبعض هذه المخطوطات هي ليست من حقي أو حقكم أو حق أي كائن من البشر إحراق التاريخ" !

وقال إن في هذه المكتبة وثائق تكشف أصل آل سعود بأنهم من اليهود الذين أسلموا.. وأن فيها مخطوطات بأقلام مجموعة من الصحابة ومنهم عبد الله بن مسعود سجلوا فيها عددا من الآيات القرآنية الكريمة التي دار الصراع عليها [١٣]

لكنهم أبقوا بعض الآثار مثل دار تميم الداري بالمدينة وهو مشهد يزار حتى اليوم، وكذا دار أبى بكر وعثمان، ولكن انهدم بيت الأحزان في بقيع الغرقد لمجاورته مراقد أئمة الشيعة عليهم السلام ذلك لأجل أنه قد يؤخذ الجار بجرم الجار[١٤].

ذكره الشيخ محمد السماوي في ظرافة الاحلام قال: رأى العلامة الجليل السيد باقر بن الحجة السيد محمد الهندي الإمام المهدي صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين فيما يرى النائم ليلة الغدير وهو كئيب حزين مفكر فقال له السيد بعد ان وقع عليه يقبل يديه وقدمية: مالي اراك مفكراً مهموماً وهذه ايام فرح وسرور بيوم الغدير فأجابه الإمام عليه السلام : ذكرت امي الزهراء وحزنها وما جرى عليها ثم انشأ عليه السلام :

لا تـــــراني اتخـــــذت لا وعلاهـــــا بعـــد بيـــت الاحـــزان بيـــت سرور

فانتبه السيد يحفظ البيت ونظم قصيدة على وزنه تتضمن حادثة الغدير وما جرى على امير المؤمنين عليه السلام والزهراء صلوات الله عليها وضمنها هذا البيت:

كــلُ غـــدرٍ وقـــولِ إفـــكٍ وزورِ ... هــو فــرعٌ عــن جحــدِ نــصّ الغــدير

فتبصّرـــ تُبصرـــ هُـــداكَ الى الحــقِ ... فلـــيسَ الأعمـــى بـــه كالبصـــير

أفصـــبراً يـــا صـــاحبَ الأمـــر والخـــط ... ـــبُ جليـــلٌ يُـــذيبُ قلـــب الصـــبور

كـــم مُصـــابٍ يطـــولُ فيـــه بيـــاني ... قــد عــرا الطُّهــرَ في الزمــانِ القصــير

كيــف مــن بعــدِ حُمــرة العيــنِ منهــا ... يـــا ابـــن طـــه تهنـــا بطـــرفٍ قريـــر

فابـــكِ وازفُرلهـــا فـــإنّ عِـــداها ... منعوهـــا مـــن البكـــاءِ والـــزفير

وكـــأني بـــه يقـــول ويبكـــي ... بِســـلوِّ نَـــزرٍ ودمـــع غزيـــر

(لاتـــراني اتّخـــذتُ لا وعُلاهـــا ... بعــدَ بيــتِ الأحــزانِ بيــتَ سُرور)

فمتــى يــا ابــن أحمــدٍ تنشرُــ الطــاغو ... تَ والجبـــتَ قبـــلَ يـــوم النشـــورَ

فتـــدارك منّـــا بقايـــا قلـــوبٍ ... قــد أُذيبــت بنــارِ غــيظِ الصــدور(١٥)



ـ ٣ ـ

نعشها عليها السلام

لم تشأ الزهراء الا ان تكون مميزة حتى في جنازتها صلوات الله عليها فقد دفنت ليلا ومع ذلك فقد اعدت لنفسها نعشا يستر بدنها عن الناظرين، فهي اول من جعل لها ذلك في الاسلام، عن سليمان بن خالد عن أبي عبد الله عليه السلام قال سألته عن أول من جعل له النعش ؟ قال فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله (١٦).

و عن ابي عبد الله عليه السلام فيما جرى بين فاطمة والظالمين لها إلى أن قال :فلما نعيت إلى فاطمة عليها السلام نفسها، أرسلت إلى أم أيمن وكانت أوثق نسائها عندها وفي نفسها، فقالت: يا أم أيمن إن نفسي نعيت إلي فادعي لي عليا فدعته لها، فلما دخل عليها قالت له: يا ابن العم أريد أن أوصيك بأشياء فاحفظها علي فقال لها: قولي ما أحببت، قالت له: تزوج فلانة تكون لولدي من بعدي مثلي، واعمل نعشي رأيت الملائكة قد صورته لي فقال لها علي: أريني كيف صورته، فأرته ذلك كما وصف لها، وكما أمرت به، ثم قالت فاذا أنا قضيت نحبي فأخرجني من ساعتك أي ساعة كانت من ليل أو نهار، ولا يحضرن من أعداء الله وأعداء رسوله للصلاة علي، قال علي عليه السلام أفعل. فلما قضت نحبها صلى الله عليها وهم في جوف الليل، أخذ علي عليه السلام في جهازها من ساعته كما أوصته، فلما فرغ من جهازها أخرج علي عليه السلام الجنازة وأشعل النار في جريد النخل، ومشى مع الجنازة بالنار، حتى صلى عليها، و دفنها ليلاً.

وعن ابن عباس قال: مرضت فاطمة مرضا شديدا فقالت لأسماء بنت عميس ألا ترين إلى ما بلغت فلا تحمليني على سرير ظاهر فقالت: لا لعمري ولكن أصنع نعشا كما رأيت يصنع بالحبشة قالت: فأرينيها، فأرسلت إلى جرايد رطبة فقطعت من الأسواق ثمّ جعلت على السرير نعشا وهو أوّل ما كان النعش، فتبسّمت وما رأيت متبسّمة إلّا يومئذ ثمّ حملناها ودفناها ليلا وصلَّى عليها العباس بن عبد المطلب ونزل في حفرتها هو وعليّ والفضل بن العباس .

وعن أسماء بنت عميس أنّ فاطمة عليها السلام بنت رسول الله صلى الله عليه وآله قالت انى قد استقبحت ما يصنع بالنساء إنه يطرح على المرأة الثوب فيصفها لمن رأى فقالت أسماء: يا بنت رسول الله صلى الله عليه وآله إني أريك شيئا رأيته بأرض الحبشة قال: فدعت بجريدة رطبة فحسنتها ثمّ طرحت عليها ثوبا فقالت فاطمة: ما أحسن هذا وأجمله لا تعرف به المرأة من الرجل [١٧]

ـ ٤ ـ

لوحها الملكوتي عليها السلام

اختصت الزهراء عليها السلام بان الائمة من ولدها الى يوم القيامة فهي الكوثر المعطى للنبي صلى الله عليه وآله، وهي الليلة المباركة التي فيها يفرق الامر الحكيم امام من بعد امام، وقد انزل عليها من السماء بذلك لوحا ملكوتيا فيه تعداد الأئمة وأسمائهم من ولدها عليهم السلام.

لقد كان لوحا أخضر كأنه كان من عالم الملكوت البرزخي وخضرته كناية عن توسطه بين بياض نور عالم الجبروت وسواد ظلمة عالم الشهادة وإنما كان مكتوبة أبيض لأنه كان من العالم الأعلى النوري المحض.

عن أبي عبد اللّه عليه السلام قال: قال أبي لجابر بن عبد اللّه الأنصاري إن لي إليك حاجة فمتى يخف عليك أن أخلو بك فأسألك عنها فقال له جابر أي الأوقات أحببته فخلا به في بعض الأيام فقال له يا جابر أخبرني عن اللوح الذي رأيته في يد أمي فاطمة بنت رسول اللّه صلى الله عليه وآله وما أخبرتك به أمي إنه في ذلك اللوح مكتوب فقال جابر أشهد بالله أني دخلت على أمك فاطمة عليها السلام في حياة رسول اللّه صلى الله عليه وآله فهنيتها بولادة الحسين فرأيت في يديها لوحا أخضر ظننت أنه من زمرد ورأيت فيه كتابا أبيض شبه لون الشمس فقلت لها بأبي وأمي أنت يا بنت رسول اللّه ما هذا اللوح فقالت هذا لوح أهداه اللّه تعالى إلى رسوله صلى الله عليه وآله فيه اسم أبي واسم بعلي واسم ابني واسم الأوصياء من ولدي وأعطانيه أبي ليبشرني بذلك قال جابر فأعطتنيه أمك فاطمة عليها السلام فقرأته واستنسخته فقال أبي فهل لك يا جابر أن تعرضه علي قال نعم فمشى معه أبي إلى منزل جابر فأخرج صحيفة من رق فقال يا جابر انظر في كتابك لأقرأ عليك فنظر جابر في نسخته فقرأه أبي فما خالف حرف حرفا فقال جابر أشهد بالله أني هكذا رأيته في اللوح مكتوبا. بسم اللّه الرحمن الرحيم هذا كتاب من اللّه العزيز الحكيم لمحمد نبيه ونوره. وسفيره وحجابه ودليله نزل به الروح

الأمين من عند رب العالمين عظم يا محمد أسمائي واشكر نعمائي ولا تجحد آلائي إني أنا الله لا إله إلا أنا قاصم الجبارين ومديل المظلومين وديان الدين إني أنا الله لا إله إلا أنا فمن رجا غير فضلي أو خاف غير عدلي عذبته عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين فإياي فأعبد وعلي فتوكل إني لم أبعث نبيا فأكملت أيامه وانقضت مدته إلا جعلت له وصيا وإني فضلتك على الأنبياء وفضلت وصيك على الأوصياء. وأكرمتك بشبليك وسبطيك حسن وحسين فجعلت حسنا معدن علمي بعد انقضاء مدة أبيه وجعلت حسينا خازن وحيي وأكرمته بالشهادة وختمت له بالسعادة فهو أفضل من استشهد وأرفع الشهداء درجة جعلت كلمتي التامة معه وحجتي البالغة إليك عنده بعترته أثيب وأعاقب، أولهم علي سيد العابدين وزين أوليائي الماضين وابنه شبه جده المحمود محمد الباقر علمي والمعدن لحكمتي سيهلك المرتابون في جعفر الراد عليه كالراد علي، حق القول مني لأكرمن مثوى جعفر ولأسرنه في أشياعه وأنصاره وأوليائه. انتجب بعده موسى فتنة عمياء حندس لأن خيط فرضي لا ينقطع وحجتي لا تخفى وأنّ أوليائي يسقون بالكأس الأوفى من جحد واحدا منهم فقد جحد نعمتي ومن غير آية من كتابي فقد افترى علي ويل للمفترين الجاحدين عند انقضاء مدة موسى عبدي وحبيبي وخيرتي علي وليي وناصري ومن أضع عليه أعباء النبوة وأمتحنه بالاضطلاع بها يقتله عفريت مستكبر يدفن في المدينة التي بناها العبد الصالح إلى جنب شر خلقي. حق القول مني لأسرنه بمحمد ابنه وخليفته من بعده ووارث علمه فهو معدن علمي وموضع سري وحجتي على خلقي لا يؤمن عبد به إلا جعلت الجنة مثواه وشفعته في سبعين من أهل بيته كلهم قد استوجبوا النار وأختم بالسعادة لابنه علي وليي وناصري والشاهد في خلقي وأميني على وحيي أخرج منه الداعي إلى سبيلي والخازن لعلمي الحسن وأكمل ذلك بابنه (م ح م) د رحمة للعالمين عليه كمال موسى وبهاء عيسى وصبر أيوب فتذل أوليائي في زمانه وتتهادى رؤسهم كما تتهادى رؤس الترك

والديلم فيقتلون ويحرقون ويكونون خائفين مرعوبين وجلين تصبغ الأرض بدمائهم ويفشوا الويل والرنة في نسائهم أولئك أوليائي حقا بهم أدفع كل فتنة عمياء حندس وبهم أكشف الزلازل وأدفع الآصار والأغلال أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة. وأولئك هم المهتدون قال عبد الرحمن بن سالم قال أبو بصير لو لم تسمع في دهرك إلا هذا الحديث لكفاك، فصنه إلا عن أهله [١٨].

وعن أبي جعفر عليه السلام عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: دخلت على فاطمة عليها السلام وبين يديها لوح فيه أسماء الأوصياء من ولدها، فعددت اثني عشر آخرهم القائم عليه السلام، ثلاثة منهم محمد وثلاثة منهم علي [١٩].

وعن أبي جعفر عن جابر بن عبدالله الأنصاري قال: دخلت على فاطمةعليها السلام وبين يديها لوح فيه أسماء الأوصياء فعددت اثني عشر آخرهم القائم ثلاثة منهم محمد وأربعة منهم علي عليه السلام [٢٠].

و عن جابر الجعفي عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: دخلت على فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وقدامها لوح يكاد ضوءُه يغشى الابصار وفيه اثنا عشر اسماً ثلاثة في ظاهره وثلاثة في باطنه وثلاثه أسماء في آخره وثلاثة أسماء في طرفه فعددتها فإذا هي اثنا عشر قلت: أسماء من هؤلاء ؟ قالت: هذه أسماء الأوصياء أولهم ابن عمى وأحد عشر من ولدى آخرهم القائم قال جابر: فرأيت فيه محمد محمد محمد في ثلاثة مواضع وعليا عليا عليا عليا في أربعة مواضع [٢١].

- ٥ -

مصحفها عليها السلام

ورد في بصائر الدرجات: حدثنا أحمد بن محمد، عن الحسين بن سعيد الجمال، عن أحمد بن عمر، عن أبي بصير قال: دخلت على أبي عبد الله عليه السلام، فقلت له: إنّي أسألك جعلت فداك عن مسألة، ليس هنا أحد يسمع كلامي، فرفع أبو عبد الله عليه السلام ستراً بيني وبين بيت آخر فاطّلَع فيه، ثم قال: يا أبا محمد سل عما بدا لك.

قلت: جعلت فداك إنّ الشيعة يتحدثون أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله عَلَّمَ علياً عليه السلام باباً يفتح منه ألف باب.

فقال أبو عبد الله عليه السلام: يا أبا محمد عَلَّمَ والله رسول الله علياً الف باب يُفتح له من كل باب الف باب، قلت: جعلت فداك، والله هذا العلم، فنكت ساعة في الأرض، ثم قال: إنّه لعلم وما هو بذلك، قال: ثم قال: يا أبامحمد، وإنّ عندنا الجامعة وما يدريهم ما الجامعة.

قلت: جعلت فداك، وما الجامعة؟

قال: صحيفة طولها سبعون ذراعاً بذراع رسول الله صلى الله عليه وآله وإملائه من: فلق فيه وخط علي بيمينه، فيها كل حلال وحرام وكل شيء يحتاج الناس اليه حتى الارش في الخدش، وضرب بيده إِليَّ فقال: تأذن لي يا أبا محمد؟

قلت: جعلت فداك إنّما أنا لك، فاصنع ماشئت.

قال: فغمزني بيده. فقال: حتى أرش هذا كأنه مغضب.

قلت: جعلت فداك، هذا والله العلم.

قال: إنّه لعلم، وليس بذلك، ثم سكت ساعة، ثم قال: إنّ عندنا الجفر وما يدريهم ما الجفر، مسك شاة أو جلد بعير.

فقلت: جعلت فداك، ما الجفر؟

قال: وعاء أحمر أو أَدم أحمر فيه علم النبيين والوصيين.

قلت: هذا والله هو العلم.

قال: إنّه لعلم وما هو بذلك، ثم سكت ساعة، ثم قال: وإنّ عندنا لمصحف فاطمة عليها السلام وما يدريهم ما مصحف فاطمة!

قلت: وما مصحف فاطمة؟

قال: مصحف فيه مثل قرآنكم هذا ثلاث مرات، والله ما فيه من قرآنكم حرف واحد، إنمّا هو شيء أملاه الله وأُوحِيَ إِليها.

قلت: هذا والله هو العلم.

قال: إنّه العلم وليس بذاك، قال: ثم سكت ساعة ثم قال: إنّ عندنا لعلم ما كان وما هو كائن الى أن تقوم الساعة.

قلت: جعلت فداك، هذا والله هو العلم.

قال: إنّه لعلم وما هو بذاك.

قلت: جعلت فداك، فأي شيء هو العلم.

قال: ما يحدث بالليل والنهار الامر بعد الامر والشيء بعد الشيء الى يوم القيامة(٢٢).

ومن بيان هذا الحديث: إنّ الله تعالى لمّا خلق محمداً وآل محمد من نور عظمته، وهم أول من صدر عن مشيته تشعشع نورهم، فخلق من شعاعه ساير الخلق، وانهى علم ذلك كله إليهم، لأنّ الشعاع لا يغيب عن المنير.

وكان ممّا خلق: أُمور كلية تشتمل على أفراد جزئية وأحكام شخصية تظهر في الكون على التدريج، وَتُسَمّى هذه الكليات باعتبار طبعها ولونها ووضعها واشباه تلك من مشخصاتها بأَسماء مختلفة، فبعض منها يسمى: الجفر الاحمر، وبعض منها: الجفر الأبيض، وبعض: مصحف فاطمة، وبعضها: الناموس، وبعضها: كتاب علي عليه السلام وهكذا.

وينسب كتابة بعض ذلك أو إملائه الى: جبرئيل، وبعضها: الى ملك آخر وبعضها: الى إملاء رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه وخط علي عَلَيْهِ السَّلَامُ، وعلى هذا القياس.

لإنّ هؤلاء اياديه وأسبابه تعالى في إجراء تلك الأُمور، ووضع كل منها في موضعها اللايق بها، والله تعالى جعل محمداً وآله عليه وعليهم السلام: خزّان تلك الكتب وَحَفَظَتِها، فهي كلها بعين منهم دائماً.

فاذا أرادوا عَلَيْهِمُ السَّلَامُ: الإخبار عن حكم أو وقوع أمر في العالم أو: لا وقوعه أخبروا عن كتابه الجامع الذي ذلك الحكم أو الامر مذكور فيه بما هو عليه، لأنّه هو محل بيان ذلك الشيء المخبر عنه، فيقولون الحكم الفلاني في الجفر كذا، أو في الجامعة كذا، وهكذا.

وربما يُظهِرُونَ بعض تلك الكتب الكونية لبعض الناس في صورة الكتاب التدويني إذا شاءوا ذلك، من باب ظهور جبرئيل في صورة البشر ومشاهدة بعض الناس له مع عدم تخليته لمقامه الذي هو فيه، وعدم خروجه عن صورته الأصلية، فإنّ للشيء الواحد مراتب ومقامات يظهر في كل منها بلباس ذلك المقام، وتلك المرتبة ألاّ ترى الشيء الواحد كيف يوجد في عالم التعقلات بكسوة المعاني، وفي عالم النفوس بكسوة الصور النفسانية وفي عالم القوى الباطنية: بكسوة الصور الظلية المثالية الشبحية وفي عالم الظاهر بكسوة الاجسام والجسمانيات وهو حقيقة واحدة في حدّ نفسه. فعلى هذا القياس تلك الكتب المذكورة، فإن كونها في صورة الأعيان: لا ينافي كونها في صورة الالفاظ والنقوش المكتوبة، فافهم.

وبالجملة: كليات العالم كتب جامعة مملوءة علماً والائمة عَلَيْهِمُ السَّلَامُ حفظتها يخبرون عنها بما شاءوا، كما كانوا يخبرون عن الكتاب التدويني، اعني: القرآن وينسبون علمهم إليه، ومثال ذلك: إنّك تكون لك دراهم ودنانير وجواهر مختلفة تضعها في خزائنها اللائقة بها، فإذا أردت استعمال شيء منها مددت يدك واخذتها من تلك الخزينة وانفقتها في الوجه الذي تريد.

وأنت إن اتقنت هذه القاعدة، عرفت وجه نزول جبرئيل على النبي صلى الله عليه وآله وإتيانه بالأخبار.

فإنّ من تلك الخزائن ما جعل الله خازنه جبرئيل الذي هو أحد خدام النبي صلى الله عليه وآله فاذا اراد الاخبار عما في تلك الخزينة أمر الله جبرئيل بواسطة حقيقة النبي صلى الله عليه وآله بفتح باب تلك الخزينة وإتيان ما فيها وإنزاله الى مقام الإخبار والإعلام، وابطائه احياناً إنّما هو لعدم وقوع وقت الإظهار والإخبار، وحزن النبي صلى الله عليه وآله بذلك لخوف وقوع البداء من الله تعالى. فخذه قصيرة من طويلة، فقد والله كشفت لك في هذه الكلمات القلائل باباً ينفتح منه ألف باب.

والى هذا الذي ذكرنا أشاروا عليهم السلام بقولهم: مايتقلب جناح طائر في الهواء: إلاّ ولنا فيه علم.

وذلك بأنّه ما من شيء في الوجود: إلاّ هو دليل لشيء، ومدلول عليه لشيء، وأصل الشيء، وفرع عن شيء، وسبب لشيء، ومسبب عن شيء، وهكذا فما من شيء: إلاّ ويدل على شيء، وهو العلم المودوع فيه، فافهم أسرار أئمتك وحكمتهم إن شاءَ الله تعالى، تكن من الحكماء السابقين والعلماء الراسخين.

وأمّا قوله عليه السلام في مصحف فاطمة: إنّه ما فيه من قرآنكم حرف واحد؛ مع كون القرآن فيه تبيان كل شيء، فقد قيل فيه توجيهات ركيكة، والذي يليق بلحن كلماتهم عليهم السلام: هو إنّ المراد به إنّه ليس فيه من القرآن من حيث أنه قرآن حرف واحد، بمعنى: انّه ليس من الكلمات القرآنية، وإنّما هي كلمات: أملاها جبرئيل لفاطمة عليها السلام كما في الحديث.

ومثال ذلك: إنّك تقول لصاحبك في كتاب لك، إنّ كتابي هذا ليس فيه من كتابك حرف واحد، وتريد به انّه ليس بمنقول ومكتسب وملتقط من كتابك وإنّما هو من إملائي.

وهذا لا ينافي كون معنى ما في الكتابين متحداً، بل ولفظه كذلك وله توجيهات أُخر، عدلنا عن ذكرها لإدائها الى التطويل.

وأما قوله عليه السلام العلم ما يحدث بالليل والنهار، لنشير هنا الى بيانه على سبيل الإجمال.

وهو: إنّ الله تعالى حيث انهى علم جميع الاشياء ممّا كان وممّا سيكون الى الائمة عليهم السلام، لم يكونوا ليستغنوا بذلك عن الله عزوجل، بل هم مع ذلك محتاجون دائماً الى إمداد جديد من مُبدِئ الفيض، بحيث لو لم يصل إليهم هذا المدد، لم يبق لأنفسهم ذكر في الوجود، فضلاً عن علمهم المفاض إليهم، فعلومهم محتاجة في البقاء دائماً الى إحداث من الله جديد، وهو معنى الزيادة التي وردت في الاخبار، وليست زيادة عن نقصان، وإنّما هو بقاء كمال على ما هو عليه، فهم عليهم السلام كاملون في كل حين، وإنَّ كمالهم لا يتناهى، ولا يمكن في الإمكان: كمال فوق ذلك؛ لكن بإحداث جديد منه تعالى له في كل آن، وهو معنى العلم الذي يحدث بالليل والنهار الامر بعد الامر، والشيء بعد الشيء، ولا ينافي ذلك علمهم بما كان وبما يكون فافهم ثم فافهم.

ومن تأمل في شأن هذا العلم الجديد عرف انه هو الذي ينبغي أن يعدّ علماً ويعتنى بشانه كما قال عليه السلام للراوي

هذا خلاصة حقيقة امر مصحف فاطمة عليها السلام ولابد من أن نذكر تمام الاخبار المتعلقة بهذا المصحف.

ومنها عن عن حماد بن عثمان قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: تظهر الزنادقة في سنة ثمان وعشرين ومائة وذلك أني نظرت في مصحف فاطمة عليها السلام، قال: قلت: وما مصحف فاطمة ؟ قال: إن الله تعالى لما قبض نبيه صلى الله عليه وآله دخل على فاطمة عليها السلام من وفاته من الحزن ما لا يعلمه إلا الله عزوجل فأرسل الله إليها ملكا

يسلي غمها ويحدثها، فشكت ذلك إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال: إذا أحسست بذلك وسمعت الصوت قولي لي فأعلمته بذلك فجعل أمير المؤمنين عليه السلام يكتب كلما سمع حتى أثبت من ذلك مصحفا قال: ثم قال: أما إنه ليس فيه شئ من الحلال.

منها ما في روضة الكافي عن أبي بصير قال: بينا رسول الله صلى الله عليه وآله جالسا إذ أقبل أمير المؤمنين عليه السلام فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: ان فيك شبها من عيسى بن مريم إلى قوله: قال: فغضب الحارث بن عمرو الفهدى فقال اللّهُمَّ ان كان هذا هو الحق من عندك ان بنى هاشم يتوارثون هرقلا بعد هرقل فأرسل علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب اليم " فأنزل الله عليه مقالة الحارث ونزلت هذه الاية **﴿وَمَا كَانَ اللَّه لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّه مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾** ثم قال له: يا عمرو أما تبت واما رحلت، فقال: يا محمد بل تجعل لساير قريش شيئا مما في يديك فقد ذهبت بنو هاشم بمكرمة العرب والعجم، فقال النبي صلى الله عليه وآله ليس ذلك إلي، ذلك إلى الله تبارك وتعالى فقال: يا محمد قلبى ما يتابعني على التوبة ولكن ارحل عنك فدعا براحلته فركبها فلما صار بظهر المدينة أتته جندلة فرضّت هامته ثم اتى الوحى إلى النبي صلى الله عليه وآله فقال: **﴿سَأَلَ سائِلٌ بِعَذابٍ واقِعٍ * لِلْكافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دافِعٌ * مِنَ اللهِ ذِي الْمَعارِجِ﴾** قال: قلت: جعلت فداك انا لا نقرءها هكذا ؟ فقال: هكذا والله نزل بها جبرئيل على محمد صلى الله عليه وآله وهكذا هو والله مثبت في مصحف فاطمة عليها السلام فقال رسول الله صلى الله عليه وآله لمن حوله من المنافقين: انطلقوا إلى صاحبكم فقد اتاه ما استفتح به [٢٣].

وفي خبر فقال: قال له: فمصحف فاطمة ؟ فسكت طويلا ثم قال: إنكم لتبحثون عما تريدون وعما لا تريدون، إن فاطمة مكثت بعد رسول الله صلى الله عليه وآله خمسة وسبعين يوما وقد كان دخلها حزن شديد على أبيها، وكان جبرئيل يأتيها فيحسن عزاءها على أبيها ويطيب نفسها ويخبرها عن أبيها ومكانه ويخبرها بما يكون بعدها في ذريتها، وكا ن علي عليه السلام يكتب ذلك، فهذا مصحف فاطمة.

وعن حماد بن عثمان قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: تظهر زنادقة سنة ثمانية وعشرين ومائة وذلك لاني نظرت في مصحف فاطمة، قال: فقلت: وما مصحف فاطمة ؟ فقال: إن الله تبارك وتعالى لما قبض نبيه صلى الله عليه وآله دخل على فاطمة من وفاته من الحزن ما لا يعلمه إلا الله عزوجل، فأرسل إليها ملكا يسلي عنها غمها ويحدثها، فشكت ذلك إلى أميرالمؤمنين عليه السلام فقال لها: إذا أحسست بذلك وسمعت الصوت قولي لي، فأعلمته فجعل يكتب كلما سمع حتى أثبت من ذلك مصحفا، قال: ثم قال: أما إنه ليس من الحلال والحرام، ولكن فيه علم ما يكون.

وعن الحسين بن أبي العلا عن الصادق عليه السلام قال ان عندي الجفر الابيض قال قلت فاي شئ فيه قال زبور داود وتوراة موسى وانجيل عيسى وصحف ابراهيم والحلال والحرام ومصحف فاطمة ما أزعم ان فيه قرآنا وفيه ما يحتاج الناس فيه الينا ولا نحتاج إلى أحد حتى فيه الجلدة ونصف الجلدة وربع الجلدة وأرش الخدش وعندي الجفر الاحمر قال قلت وأي شئ في الجفر الاحمر قال السلاح وذلك انما يفتح للدم يفتحه صاحب السيف للقتل (٢٤)

و كان الامام الصادق عليه السلام يقول: علمنا غابر ومزبور ونكت في القلوب و نقر في الاسماع وإن عندنا الجفر الاحمر والجفر الابيض ومصحف فاطمة عليها السلام وعندنا الجامعة فيها جميع ما تحتاج الناس إليه، فسئل عن تفسير هذا الكلام فقال: أما الغابر فالعلم بما يكون، وأما المزبور فالعلم بما كان، وأما النكت في القلوب فهو الالهام. وأما النقر في الاسماع فحديث الملائكة عليهم السلام نسمع كلامهم ولا نرى أشخاصهم. وأما الجفر الاحمر فوعاء فيه سلاح رسول الله صلى الله عليه وآله ولن يخرج حتى يقوم قائمنا أهل البيت، وأما الجفر الابيض فوعاء فيه توراة موسى وإنجيل عيسى وزبور داود وكتب الله الاولى. وأما مصحف فاطمة عليها السلام ففيه ما يكون من حادث وأسماء من يملك إلى أن تقوم الساعة، وأما الجامعة فهو كتاب طوله سبعون ذراعا إملاء رسول الله صلى الله عليه وآله من فلق فيه وخط علي ابن أبي طالب عليه السلام بيده، فيه والله

جميع ما تحتاج إليه الناس إلى يوم القيامة حتى أن فيه أرش الخدش والجلدة ونصف الجلدة[٢٥].

وقال محمد بن عبد: كنا عند ابى عبد الله عليه السلام نحوا من ستين رجلا وهو وسطنا فجاء عبد الخالق بن عبد ربه فقال له كنت مع ابراهيم بن محمد جالسا فذكروا انك تقول ان عندنا كتاب علي عليه السلام فقال لا والله ما ترك علي كتابا وان كان ترك علي كتابا ما هو الا اهابين ولوددت انه عند غلامي هذا فما ابالى عليه قال فجلس أبو عبد الله عليه السلام ثم اقبل علينا فقال ما هو والله كما يقولون انهما جفران مكتوب فيهما لا والله انهما لأهابان عليهما اصوافهما واشعارهما مد حوسين كتبنا في احدهما وفى الاخر سلاح رسول الله صلى الله عليه وآله وعندنا والله صحيفة طولها سبعون ذراعا ما خلق الله من حلال وحرام الا وهو فيها حتى ان فيها ارش الخدش وقام بظفره على ذراعه فخط به وعندنا مصحف فاطمة اما والله ما هو بالقرآن[٢٦].

و عن سليمان بن خالد قال قال أبو عبد الله عليه السلام ان في الجفر الذى يذكرونه لما يسوءهم لانهم لا يقولون الحق والحق فيه فليخرجوا قضايا علي عليه السلام وفرائضه ان كانوا صادقين وسلوهم عن الخالات والعمات وليخرجوا مصحف فاطمة فان فيه وصية فاطمة ومعه سلاح رسول الله صلى الله عليه وآله ان الله يقول أيتونى بكتاب من قبل هذا أو اثارة من علم ان كنتم صادقين[٢٧].

و عن ابى عبد الله عليه السلام قال ان عبد الله بن الحسن بزعم انه ليس عنده من العلم الا ما عند الناس فقال صدق والله وعبد الله بن الحسن ما عنده من العلم الا ما عند الناس ولكن عندنا والله الجامعة فيها الحلال والحرام وعندنا الجفر أيدرى عبدالله بن الحسن ما الجفر مسك معز ام مسك شاة وعندنا مصحف فاطمة عليها السلام أما والله ما فيه حرف من القرآن ولكنه املاء رسول الله وخط علي كيف يصنع عبد الله إذا جاء الناس من كل افق ويسألونه [٢٨].

-٦-

تسبيحها عليها السلام

كان السبب في تشريع هذا التسبيح حسبما ورد في الروايات من طرق الخاصة والعامة: أن أمير المؤمنين عليه السلام اقترح على فاطمة الزهراء عليها السلام أن تسأل أباها رسول الله صلى الله عليه وآله خادماً لكي تعينها على أعمال المنزل بعدما لاحظ الإمام عليه السلام على زوجته الطاهرة عليها السلام أمارات التعب والضرر. وقد نقلت هذهِ القصة بطرق عدّة باختلافات.

روى الشيخ الصدوق في كتاب علل الشرائع عن أبي الورد بن ثمامة عن علي (صلوات الله عليه) أنه قال لرجل من بني سعد: « ألا أحدِّثك عني وعن فاطمة؟ إنّه كانت عندي وكانت من أحب أهله إليه، وإنّها استقت بالقربة حتى أثّر في صدرها، وطحنت بالرحى حتى مَجُلت[٢٩] يداها، وكسحت البيت حتى اغبرت ثيابها، وأوقدت النار تحت القدر حتى دكنت ثيابها، فأصابها من ذلك ضررٌ شديد، فقلتُ لها: لو أتيت أباك فسألتيه خادماً يكفيك حرَّ ما أنت فيه من هذا العمل؟ فأتت النبي صلى الله عليه وآله فوجدت عنده حُدّاثاً فاستحت فانصرفت، قال: فعلم النبي صلى الله عليه وآله أنها جاءت لحاجة، قال: فغدا علينا ونحن في لفاعنا[٣٠]، فقال: السلام عليكم، فسكتنا واستحيينا لمكاننا، ثم قال: السلام عليكم فسكتنا، ثم قال: السلام عليكم، فخشينا إن لم نرد عليه ان ينصرف. وقد كان يفعل ذلك: يسلّم ثلاثاً فإن أُذن له وإلا انصرف. فقلت: وعليك السلام يا رسول الله أُدخل. فلم يعد ان جلس عند رؤوسنا فقال: يا فاطمة ما كانت حاجتك أمس عند محمد، قال: فخشيتُ إن لم تجبه أن يقوم، قال: فأخرجت رأسي فقلتُ: أنا والله أخبرك يا رسول الله: انها استقت بالقربة حتى أثّر في صدرها، وجرّت بالرّحى حتى مجلت يداها، وكسحت البيت حتى اغبرت ثيابها، واوقدت تحت القدر حتى دكنت ثيابها، فقلتُ لها: لو أتيت أباك فسألتيه خادماً يكفيك حرّما أنت فيه من هذا العمل.

قال ﷺ: أفلا أعلّمكما ما هو خير لكما من الخادم؟ إذا أخذتما منامكما فسبحا ثلاثاً وثلاثين، واحمدا ثلاثاً وثلاثين، وكبّرا أربعاً وثلاثين، قال: فأخرجت رأسها فقالت: رضيت عن الله ورسوله، رضيت عن الله ورسوله، رضيت عن الله ورسوله»(٣١).

وروى الشيخ النعمان بن محمد بن منصور في كتابه دعائم الإسلام عن عليعليه السلام قال: «أهدى بعض ملوك الأعاجم إلى رسول الله ﷺ رقيقاً(٣٢)، فقلتُ لفاطمة: استخدمي من رسول الله خادماً. فأتته، فسألته ذلك، فقال لها رسول اللهﷺ: يا فاطمة، أعطيك ما هو خيرٌ من ذلك: تكبرين الله بعد كل صلاة ثلاثاً وثلاثين تكبيرة، وتحمدين الله ثلاثاً وثلاثين تحميدة، وتسبحين الله ثلاثاً وثلاثين تسبيحة، ثم تختمين ذلك بلا إله إلاّ الله، فذلك خيرٌ من الدنيا وما فيها ومن الذي أردت فلزمت صلوات الله عليها هذا التسبيح بعقب كل صلاة ونسب إليها»(٣٣).

وذكر ابن شهر آشوب في مناقب آل أبي طالب: ان النبي ﷺ كان عنده أسارى، فأمر عليٌ عليه السلام فاطمة عليها السلام ان تطلب من النبي خادماً، فدخلت على النبي وسلمت عليه ورجعت، فقال أمير المؤمنين عليه السلام « مالكِ؟ قالت: والله ما استطعت أن أكلّم رسول الله ﷺمن هيبته» فانطلق علي معها إلى النبي ﷺ فقال لهما: «جاءت بكما حاجة؟ فقال علي: مجاراتها، فقال: لا، ولكني أبيعهم وانفق أثمانهم على أهل الصفّة» وعلّمها تسبيح الزهراء. (ثم قال ابن شهر آشوب):

«إنها لما ذكرت حالها وسألت الجارية بكى رسول الله ﷺ قال: « يا فاطمة، والذي بعثني بالحق إنّ في المسجد أربعمائة رجل مالهم طعام ولا ثياب ولولا خشيتي خصلةً لأعطيتك ما سألت: يا فاطمة إني لا أريد ان يَنْفَكَّ عنكِ أجرُك إلى الجارية، واني أخاف ان يخصمك علي بن أبي طالب يوم القيامة بين يدي الله إذا طلب حقه منك، ثم علّمها صلاة التسبيح، فقال أمير المؤمنين عليه السلام مضيت تريدين من رسول الله الدنيا، فأعطانا الله ثواب الآخرة»(٣٤).

وقد نقل العامة هذهِ القصة بعبارات متفاوتة إجمالاً وتفصيلاً مع اختلاف ظاهر في تعيين كيفية التسبيح المزبور ووقته، ولا بأس -من باب إتمام الفائدة- في سرد جملة من الروايات المنقولة من طرقهم بصدد هذا التسبيح.

ذكر العلامة سبط بن الجوزي في كتابه (تذكرة الخواص) هذا الخبر بإسناده عن عطاء بن السائب عن أبيه عن علي عليه السلام قال: « لم يكن لنا خادم، فقلت لفاطمة: والله لقد سنوتُ[٣٥] حتى اشتكيت صدري، وقد جاء الله أباك بسبي فاذهبي فاستخدميه خادماً. فقالت: والله وأنا قد طحنت حتى مجلت يداي. ثم أتت النبي صلى الله عليه وآله فاستحيت ان تطلب منه شيئاً فرجعت. فأخذها علي عليه السلام وجاء إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فذكرا له ما لقيا فقال: إلاّ تحبان ان أعطيكما ما هو أفضل مما سألتما؟ قلنا: بلى. قال: تسبحان الله ثلاثاً وثلاثين وتحمدان ثلاثاً وثلاثين وتكبران أربعاً وثلاثين دبر كل صلاة، وإذا أويتما إلى فراشكما تسبحان.» [٣٦]

ونقل ابن حجر العسقلاني الخبر بنفس الاسناد المتقدم هكذا: عن عطاء بن السائب عن ابيه عن علي عليه السلام: ان رسول الله صلى الله عليه وآله لما زوّجه فاطمة بعث معها بخميلة ووسادة ادم حشوها ليف، ورداءين وسقاءين. قال: فقال علي لفاطمة يوماً: «لقد سنوت حتى اشتكيت صدري، وقد جاء الله بسبي فاذهبي فاستخدمي: فقالت: وأنا والله قد طحنت حتى مجلت يداي، فاتت النبي صلى الله عليه وآله فقال: ما جاء بك أي بنية؟ فقالت جئت لأسلّم عليك، واستحيت ان تسأله ورجعت. فاتياه جميعاً، فذكر له علي حالهما. قال: لا والله لا أعطيكما وأدع أهل الصفة[٣٧] تتلوى بطونهم لا أجد ما أنفق عليهم. ولكن أبيع وأنفق عليهم أثمانهم. فرجعا فأتاهما وقد دخلا في قطيفتيهما[٣٨]، إذا غطّيا رؤسهما بدت أقدامهما، وإذا غطيا اقدامهما انكشفت رؤوسهما فثارا[٣٩]، فقال: مكانكما! ألا أخبركما بخير مما سألتماني؟ فقالا: بلى. فقال: كلمات علمنيهن جبريل: تسبحان في دبر كل صلاة عشراً وتحمدان عشراً وتكبران عشراً، وإذا اويتما إلى فراشكما تسبحان ثلاثاً وثلاثين

واحمدا ثلاثاً وثلاثين وكبرا أربعاً وثلاثين. قال علي: فوالله ما تركتهن منذ علمنيهن، وقال له ابن الكواء[٤٠] ولا ليلة صفين. فقال: قاتلكم الله يا أهل الطروق، ولا ليلة صفين»[٤١].

ونقل هذا الخبر أيضاً مع اختلاف طفيف أحمد زيني دحلان في السيرة النبوية[٤٢].

ونقل الشيخ ولي الدين الخطيب في مصابيح الانوار القصة عن كل من عليعليه السلام وأبي هريرة هكذا:

عن علي: « ان فاطمة أتت النبي صلى الله عليه وآله تشكو إليه ما تلقى في يدها من الرحى، وبلغها انَّهُ جاءه رقيق فلم تصادفه، فذكرت ذلك لعائشة، فلما جاء أخبرته عائشة، قال: فجاءنا وقد أخذنا مضاجعنا، فذهبنا نقوم، فقال: على مكانكما، فجاء فقعد بيني وبينها حتى وجدتُ برد قدمه على بطني، فقال: ألا أدلكما على خير مما سألتما؟ إذا أخذتما مضجعكما فسبحا ثلاثاً وثلاثين واحمدا ثلاثاً وثلاثين وكبرا أربعاً وثلاثين، فهو خير لكما من خادم.(متفق عليه)»[٤٣].

وعن أبي هريرة قال: جاءت فاطمة إلى النبي صلى الله عليه وآله تسأله خادماً فقال: «ألا أدلّكِ على ما هو خير من خادم؟ تسبحين الله ثلاثاً وثلاثين وتحمدين الله ثلاثاً وثلاثين وتكبرين الله أربعاً وثلاثين عند كل صلاة، وعند منامك - رواه مسلم»[٤٤].

وأورد القصة كذلك أبو نعيم الأصبهاني بطريقين في كتابه حلية الأولياء:

عن عطاء بن السائب عن ابيه عن علي عليه السلام: « ان فاطمة كانت حاملاً، فكانت إذا خبزت أصاب حرف التنور بطنها، فأتت النبي صلى الله عليه وآله تسأله خادماً، فقال: لا أعطيك وأدع أهل الصفة تطوى بطونهم من الجوع، أوَ لا أدلك على خير من ذلك؟ إذا أويت إلى فراشك تسبحين الله تعالى ثلاثاً وثلاثين وتحمدينه ثلاثاً

وثلاثين وتكبرينه أربعاً وثلاثين»[٤٥].

وفيه كذلك عن ابن أعبد قال: قال علي: يا ابن أعبد ألا أخبرك عني وعن فاطمة: كانت ابنة رسول الله صلى الله عليه وآله وأكرم أهله عليه، وكانت زوجتي، فجرّت بالرحاء حتى أثرت الرحاء بيدها، واستقت بالقربة حتى أثرت القربة بنحرها، وقمّت البيت حتى أغبرت ثيابها، وأوقدت القدر حتى دنّست ثيابها وأصابها من ذلك ضر»[٤٦].

والخبر الأخير غير تام، ويدل عليه خبر علل الشرائع الذي ذكرناه أولاً، ومنه يتبين ان الرجل الذي من بني سعد يدعى بابن أعبد، وفيه نظر: لأن ابن أعبد هذا تصحيف ابن أغيد، ولقد أخطأ الذهبي إذْ اعتبره غير معروف نقلاً عن ابن المديني، والصواب هو ما ذكره العسقلاني في تهذيب التهذيب، حيث صرّح بأن اسمه علي بن أغيد، وهو من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام.

ونقل القسطلاني في كتابه إرشاد الساري القصة عن الحكم بن عتيبة، قال: «حدثنا علي: ان فاطمة عليها السلام شكت ما تلقى من أثر الرحى، فأتى النبي صلى الله عليه وآله فانطلقت فلم تجده، فوجدت عائشة فأخبرتها، فلما جاء النبي صلى الله عليه وآله أخبرته عائشة بمجيء فاطمة، فجاء النبي صلى الله عليه وآله وقد أخذنا مضاجعنا فذهبتُ لأقوم فقال: على مكانكما، فقعد بيننا حتى وجدت برد قدميه على صدري، وقال: ألا أعلمكما خير مما سألتماني: إذا أخذتما مضاجعكما تكبرا أربعاً وثلاثين وتسبحا ثلاثاً وثلاثين وتحمدا ثلاثاً وثلاثين، فهو خيرٌ لكما من خادم»[٤٧].

ـ ٧ ـ

جهاز عرسها عليها السلام

في خبر زواج الزهراء ،قال علي: فأقبل رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: يا أبا الحسن انطلق الان فبع درعك وائتني بثمنه حتى اهيئ لك ولا بنتي فاطمة ما يصلحكما.

قال علي: فانطلقت فبعته بأربعمائة درهم سود هجرية. وقبض رسول الله ﷺ قبضة من الدراهم، ودعا بأبي بكر فدفعها إليه، وقال: يا أبابكر اشتر بهذه الدراهم لابنتي ما يصلح لها في بيتها، وبعث معه سلمان وبلالا ليعيناه على حمل مايشتريه.

قال أبوبكر: وكانت الدراهم التي أعطانيها ثلاثة وستين درهما فانطلقت واشتريت فراشا من خيش مصر محشوا بالصوف، ونطعا من أدم، ووسادة من أدم حشوها من ليف النخل، وعباءة خيبرية، وقربة للماء وكيزانا، وجرارا، ومطهرة للماء، وستر صوف رقيقا، وحملناه جميعا حتى وضعناه بين يدي رسول الله ﷺ فلما نظر إليه بكى وجرت دموعه، ثم رفع رأسه إلى السماء وقال: اللّٰهُمَّ بارك لقوم جل آنيتهم الخزف قال علي: ودفع رسول الله ﷺ باقي ثمن الدرع إلى ام سلمة فقال: اتركي هذه الدراهم عندك، ومكثت بعد ذلك شهرا لا اعاود رسول الله ﷺ في أمر فاطمة بشيء استحياء من رسول الله ﷺ، غير أني كنت إذا خلوت برسول الله يقول لي: يا أبا الحسن ما أحسن زوجتك وأجملها، ابشر يا أبا الحسن فقد زوجتك سيدة نساء العالمين. قال علي: فلما كان بعد شهر دخل علي أخي عقيل بن أبي طالب فقال: يا أخي ما فرحت بشيء كفرحتي بتزويجك فاطمة بنت محمد ﷺ، يا أخي فما بالك لا تسأل رسول الله ﷺ يدخلها عليك فنقر عينا باجتماع شملكما، قال علي: والله يا أخي إني لاحب ذلك وما يمنعني من مسألته إلا الحياء منه فقال: أقسمت عليك إلا قمت معي. فقمنا نريد رسول الله ﷺ فلقينا في طريقنا ام أيمن مولاة رسول الله ﷺ فذكرنا ذلك لها فقالت: لا تفعل ودعنا نحن نكلمه فإن كلام النساء في هذا الامر أحسن وأوقع بقلوب الرجال. ثم انثنت راجعة فدخلت إلى ام سلمة فأعلمتها بذلك وأعلمت نساء النبي ﷺ فاجتمعن عند رسول الله ﷺ وكان في بيت عائشة، فأحدقن به وقلن: فديناك بآبائنا وامهاتنا يارسول الله قد اجتمعنا لأمر لو أن خديجة في الاحياء لقرت بذلك عينها.

قالت ام سلمة: فلما ذكرنا خديجة بكى رسول الله صلى الله عليه وآله ثم قال: خديجة وأين مثل خديجة، صدقتني حين كذبني الناس وآزرتنى على دين الله وأعانتني عليه بمالها، إن الله عزوجل أمرني أن ابشر خديجة ببيت في الجنة من قصب الزمرد لا صخب فيه ولا نصب.

قالت ام سلمة: فقلنا بآبائنا وامهاتنا يا رسول الله إنك لم تذكر من خديجة أمرا إلا وقد كانت كذلك غير أنها قد مضت إلى ربها. فهناها الله بذلك وجمع بيننا وبينها في درجات جنته ورضوانه ورحمته، يا رسول الله وهذا أخوك في الدنيا وابن عمك في النسب علي بن أبي طالب يحب أن تدخل عليه زوجته فاطمة عليها السلام، وتجمع بها شملة، فقال: ياام سلمة فما بال علي لايسألني ذلك ؟ فقلت: يمنعه الحياء منك يارسول الله. قالت ام أيمن: فقال لي رسول الله صلى الله عليه وآله: انطلقي إلى علي فائتيني به فخرجت من عند رسول الله صلى الله عليه وآله فاذا علي ينتظرني ليسأني عن جواب رسول الله صلى الله عليه وآله، فلما رآني قال: ما وراك يا ام أيمن قلت: أجب رسول الله صلى الله عليه وآله.

قال عليه السلام: فدخلت عليه وقمن أزواجه فدخلن البيت وجلست بين يديه مطرقا نحو الارض حياء منه، فقال أتحب أن تدخل عليك زوجتك ؟ فقلت وأنا مطرق: نعم فداك أبي وامي فقال: نعم وكرامة يا أبا الحسن أدخلها عليك في ليلتنا هذه أو في ليلة غد إن شاء الله، فقمت فرحا مسرورا وأمر صلى الله عليه وآله أزواجه أن يزين فاطمة عليها السلام ويطيبنها ويفرشن لها بيتا ليدخلنها على بعلها، ففعلن ذلك. وأخذ رسول الله صلى الله عليه وآله من الدراهم التي سلمها إلى ام سلمة عشرة دراهم فدفعها إلي وقال: اشتر سمنا وتمرا وأقطا، فاشتريت وأقبلت به إلى رسول اله صلى الله عليه وآله، فحسر عن ذراعيه ودعا بسفرة من أدم وجعل يشدخ التمر والسمن ويخلطهما بالاقط حتى اتخذه حيسا. ثم قال يا علي ادع من أحببت، فخرجت إلى المسجد وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله متوافرون، فقلت: أجيبوا رسول الله صلى الله عليه وآله، فقاموا جميعا وأقبلوا نحو النبي صلى الله عليه وآله، فأخبرته أن القوم كثير، فجلل السفرة بمنديل وقال: أدخل علي عشرة

بعد عشرة، ففعلت وجعلوا يأكلون ويخرجون ولا ينقص الطعام، حتى لقد أكل من ذلك الحيس سبع مائة رجل وامرأة ببركة النبي صلى الله عليه وآله .

قالت ام سلمة: ثم دعا بابنته فاطمة، ودعا بعلي عليه السلام، فأخذ عليا بيمينه وفاطمة بشماله، وجمعهما إلى صدره، فقبل بين أعينهما، ودفع فاطمة إلى علي وقال: يا علي نعم الزوجة زوجتك، ثم أقبل على فاطمة وقال: يا فاطمة نعم البعل بعلك، ثم قام يمشي بينهما حتى أدخلهما بيتهما الذي هيئ لهما، ثم خرج من عندهما فأخذ بعضادتي الباب فقال: طهر كما الله وطهر نسلكما أنا سلم لمن سالمكما وحرب لمن حاربكما، أستودعكما الله واستخلفه عليكما. قال علي: ومكث رسول الله صلى الله عليه وآله بعد ذلك ثلاثا لا يدخل علينا فلما كان في صبيحة اليوم الرابع جاءنا ليدخل علينا، فصادف في حجرتنا أسماء بنت عميس الخثعمية، فقال لها: ما يقفك ها هنا وفي الحجرة رجل ؟ فقالت: فداك أبي وامي إن الفتاة إذا زفت إلى زوجها تحتاج إلى امرأة تتعاهدها وتقوم بحوائجها فأقمت ههنا لأقضي حوائج فاطمة عليها السلام، قال صلى الله عليه وآله: يا أسماء قضى الله لك حوائج الدنيا والآخرة.

قال علي عليه السلام: وكانت غداة قرة وكنت أنا وفاطمة تحت العباء فلما سمعنا كلام رسول الله صلى الله عليه وآله لأسماء ذهبنا لنقوم فقال: بحقي عليكما لا تفترقا حتى أدخل عليكما، فرجعنا إلى حالنا ودخل صلى الله عليه وآله وجلس عند رؤوسنا، وأدخل رجليه فيما بيننا، وأخذت رجله اليمنى فضممتها إلى صدري، وأخذت فاطمة رجله اليسرى ضمتها إلى صدرها، وجعلنا ندفئ رجليه من القر. حتى إذا دفئتا قال: يا علي ائتني بكوز من ماء فأتيته، فتفل فيه ثلاثا وقرأ فيه آيات من كتاب الله تعالى، ثم قال: يا علي اشربه، واترك فيه قليلا ففعلت ذلك فرش باقي الماء على رأسي وصدري، وقال: أذهب الله عنك الرجس يا أبا الحسن وطهرك تطهيرا. وقال: ائتني بماء جديد، فأتيته به، ففعل كما فعل وسلمه إلى ابنته عليها السلام وقال لها: اشربي واتركي منه قليلا، ففعلت فرشه على رأسها وصدرها، وقال صلى الله عليه وآله: أذهب الله عنك الرجس

وطهرك تطهيرا، وأمرني بالخروج من البيت. وخلا بابنته، وقال: كيف أنت يا بنية وكيف رأيت زوجك ؟ قالت له: يا أبه خير زوج إلا أنه دخل علي نساء من قريش وقلن لي: زوجك رسول الله صلى الله عليه وآله من فقير لا مال له فقال لها: يا بنية ما أبوك بفقير ولا بعلك بفقير، ولقد عرضت علي خزائن الارض من الذهب والفضة فاخترت ما عند ربي عز جل. يابنية لو تعلمين ما علم أبوك لسمجت الدنيا في عينيك. يا بنية ما ألوتك نصحا أن زوجتك أقدمهم سلما، وأكثرهم علما وأعظمهم حلما. يا بنية إن الله عز وجل اطلع إلى الارض اطلاعة فاختار من أهلها رجلين: فجعل أحدهما أباك والآخر بعلك، يا بنية نعم الزوج زوجك لا تعصي له أمرا. ثم صاح بي رسول الله صلى الله عليه وآله: ياعلي، فقلت لبيك يا رسول الله: قال: ادخل بيت، والطف بزوجتك، وارفق بها فان فاطمة بضعة مني، يؤلمني ما يؤلمها ويسرني ايسرها، أستودعكما الله واستخلفه عليكما. قال علي عليه السلام: فوالله ما أغضبتها، ولا أكرهتها على أمر حتى قبضها الله عزوجل، ولا أغضبتني، ولا عصت لي أمرا، ولقد كنت أنظر إليها فتنكشف عني الهموم والاحزان (٤٨).

- ٨ -

نحلتها عليها السلام

قال الامام الرضا عليه السلام في كلام له مع المأمون والعلماء في فضل اهل البيت من القران: وأما الخامسة: فقول الله عزوجل: " وآت ذا القربى حقه " خصوصية خصهم الله العزيز الجبار بها واصطفاهم على الامة. فلما نزلت هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وآله قال: ادعوا لي فاطمة فدعوها له. فقال: يا فاطمة. قالت: لبيك يا رسول الله. فقال: إن فدك لم يوجف عليها بخيل ولا ركاب وهي لي خاصة دون المسلمين. وقد جعلتها لك لما أمرني الله به فخذيها لك ولولدك .

عن جميل بن دراج عن ابي عبد الله عليه السلام قال: اتت فاطمة ابا بكر تريد فدكا، قال: هات اسود او احمر يشهد بذلك ؟ قالت فأتت بام ايمن فقال لها بم تشهدين قالت: اشهد ان جبرائيل اتى محمدا فقال: ان الله يقول «وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ» فلم يدر محمد صلى الله عليه وآله من هم فقال: يا جبرائيل سل ربك من هم؟ فقال: فاطمة ذو القربى فأعطاها فدكا، فزعموا ان عمر محا الصحيفة وقد كان كتبها ابو بكر(٤٩).

عن ابي عبد الله عليه السلام قال: لما قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وجلس ابو بكر مجلسه بعث الى وكيل فاطمة صلوات الله عليها فأخرجه من فدك فاتت فاطمة عليها السلام فقالت: يا ابا بكر ادعيت انك خليفة ابي وجلست مجلسه وانك بعثت الى وكيلي فأخرجته من فدك وقد تعلم ان رسول الله صلى الله عليه وآله صدق بها علي وان لي بذلك شهودا فقال لها: ان النبي صلى الله عليه وآله لا يورث، فرجعت الى علي عليه السلام فأخبرته فقال: ارجعي اليه وقولي له: زعمت ان النبي لا يورث وان سليمان بن داود ورث يحيى بن زكريا وكيف لا ارث انا ابي. فقال عمر انك معلمة، قالت: وان كنت معلمة فإنّما علمني ابن عمي وبعلي فقال ابو بكر: فان عائشة تشهد وعمر ايضا سمعا رسول الله صلى الله عليه وآله وهو يقول ان النبي لا يورث ؟ فقالت: هذا اول شهادة زور شهدا بها في الاسلام، ثم قالت: فان فدكاً إنّما هي صدق بها علي رسول الله صلى الله عليه وآله ولي شاهد بذلك بينه فقال لها: هلمي بينتك ؟ قال فجاءت بأمّ ايمن وعلي عليه السلام فقال ابو بكر يا ام ايمن انك سمعت من رسول الله صلى الله عليه وآله يقول في فاطمة ؟ فقالا سمعنا رسول الله صلى الله عليه وآله يقول ان فاطمة سيدة نساء اهل الجنة، ثم قالت ام ايمن: فمن كانت سيدة نساء اهل الجنة تدعي ما ليس لها ؟ وانا امرأة من اهل الجنة ما كنت اشهد الا بما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وآله فقال عمر: دعينا يا ام ايمن من هذه القصص باي شيء تشهدين، فقالت: كنت جالسة في بيت فاطمة عليها السلام ورسول الله صلى الله عليه وآله جالس حتى نزل عليه جبرائيل فقال: يا محمد قم فان الله تبارك وتعالى امرني ان اخط اليك فدكا بجناحي،

فقام رسول الله صلى الله عليه وآله مع جبرائيل فما لبث ان رجع، فقالت فاطمة يا ابه اين ذهبت ؟ فقال خط جبرائيل لي فدكا بجناحه وحد لي حدودها، فقلت: يا ابه اني اخاف العيلة والحاجة من بعدك فتصدق بها علي، فقال هي صدقة عليك، فقبضتها، قالت: نعم، فقال رسول الله: يا ام ايمن اشهدي ويا علي اشهد، فقال عمر: انت امرأة ولا نجيز شهادة امرأة وحدها، واما علي فيجر الى نفسه، فقامت مغضبة وقالت: اللّهُمَّ انهما ظلما ابنة محمد نبيك حقها فاشدد وطأتك عليهما، ثم خرجت، وحملها علي على اتان عليه كساء له مخمل فدار بها اربعين صباحا في بيوت المهاجرين والانصار، والحسن والحسين عليهما السلام معها وهي تقول: يا معشر المهاجرين والانصار انصروا الله فاني ابنة نبيكم، وقد بايعتم رسول الله صلى الله عليه وآله يوم بايعتموه ان تمنعوا ذريته ما تمنعون منه انفسكم وذراريكم، ففوا لرسول الله بيعتكم، قال فما اعانها ولا اجابها ولا نصرها، فقال فانتهت الى معاذ بن جبل فقالت: يا معاذ اني جئتك متنصرة وقد بايعت رسول الله صلى الله عليه وآله على ان تنصره وذريته وتمنعه ما تمنع منه نفسك وذريتك، وان ابا بكر قد غصبني على فدك واخرج وكيلي منها، قال فمعي غيري، قالت لا ما اجابني احد قال: فاين ابلغ انا من نصرتك، قال فخرجت من عنده ودخل ابنه فقال: ما جاء بابنة محمّد إليك؟ قال جاءت تطلب نصرتي على ابي بكر فانه اخذ منها فدكا، قال فما اجبتها به؟ قال: قلت وما يبلغ من نصرتي انا وحدي، قال فأبيت ان تنصرها؟ قال: نعم: فأيّ شيء قالت لك ؟ قال: قالت لي: والله لا نازعتك الفصيح من رأسي حتى ارد على رسول الله صلى الله عليه وآله قال فقال: انا والله لا نازعتك الفصيح من رأسي حتى ارد على رسول الله اذ لم تجب ابنة محمد صلى الله عليه وآله ، قال وخرجت فاطمة عليها السلام من عنده وهي تقول: والله لا اكلمك كلمه، حتى اجتمع انا وانت عند رسول الله صلى الله عليه وآله ثم انصرفت فقال لها علي: ائت ابا بكر وحده فانه ارق من الآخر، وقولي له ادعيت مجلس ابي وانك خليفته وجلست مجلسه ولو كانت فدك لك ثم استوهبتها منك لوجب ردها علي، فلما اتته وقالت له ذلك قال:

صدقت، قال فدعا بكتاب فكتبه لها بفدك فقال فخرجت والكتاب معها، فلقيها عمر فقال: يا بنت محمد ما هذا الكتاب الذي معك ؟

قالت كتاب كتبه لي ابو بكر بفدك، فقال هلمي الي ؟ فأبت ان تدفعه اليه... فمزقه (٥٠).

قال الشيخ صالح الكوّاز:

الواثبيـــن لظلـــم آل مـــحمّد	ومـــحمّد ملقـــى بـغيـــر تكفـــينِ
والقائـليـــن لفـاطـــم آذيتـــنا	فـــي طـــول نـــوح دائـم وحنيـــن
والقـــاطعين إراكـــةً كـيما تــقيل	بظـــل أوراق لـهـــا وغصـــون
ومجمّـعي حطبٍ علـــى البيت الـذي	لم يجتـــمع لــولاه شمـل الـديـــن
والداخـلين علــى البتـــولة بيتـها	والمسقـطيـــن لهـــا أعـــزّ جنيـــن
والقائـديـــن إمامهـــم بـنـجـــاده	والطـهـــر تـــدعو خلفهـم بـرنيـــن
خلّوا ابـن عمّي أو لأكشف للدعـــا	رأسـي وأشكـــو للإلـه شجونـــي
مـــا كـــان ناقـــة وفـصيلهـــا	بـالفـضـــل عنـــدالله إلاّ دونـــي
أيّ الـرزايـــا اتـقـــي بتـجـــلّد	هـو في النوائـب مـا حييـت قرينـي
فقـدي أبي أم غصـــب بعلـي حقّـه	أم كسر ضلعـــي أم سقـوط جنيـني
أم أخذهم إرثـي وفـاضـل نحلتـــي	أم جهلهم قـــدري وقـــد عـرفـوني
قهـروا يتيمـيك الحسيـن وصنـــوه	وسـألتهم حقّـــي وقـــد نهـرونـــي

وعن أبي عبدالله عليه السلام قال: لما بويع لابي بكر واستقام له الامر على جميع المهاجرين والانصار بعث إلى فدك فاخرج وكيل فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله منها

فجاءت فاطمة عليها السلام إلى ابي بكر، فقالت يا أبا بكر منعتني عن ميراثي من رسول الله وأخرجت وكيلي من فدك وقد جعلها لي رسول الله صلى الله عليه وآله بأمر الله، فقال لها هاتي على ذلك شهودا فجاءت بأم أيمن فقالت لا اشهد حتى احتج يا ابا بكر عليك بما قال رسول الله صلى الله عليه وآله فقالت أنشدك الله، ألست تعلم ان رسول الله صلى الله عليه وآله قال إن أم أيمن من اهل الجنة ؟ قال بلى، قالت فاشهد انّ الله أوحى إلى رسول الله صلى الله عليه وآله ﴿وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ﴾ فجعل فدك لفاطمة بأمر الله وجاء علي عليه السلام فشهد بمثل ذلك فكتب لها كتابا بفدك ودفعه اليها فدخل عمر فقال ما هذا الكتاب ؟ فقال أبوبكر: إن فاطمة ادعت في فدك وشهدت لها أم أيمن وعلي فكتبت لها بفدك، فأخذ عمر الكتاب من فاطمة فمزقه وقال هذا فيء المسلمين وقال اوس ابن الحدثان وعائشة وحفصة يشهدون على رسول الله صلى الله عليه وآله بانه قال: إنا معاشر الانبياء لا نورث ما تركناه صدقة فان عليا زوجها يجر إلى نفسه، وأم أيمن فهي امرأة صالحة لو كان معها غيرها لنظرنا فيه، فخرجت فاطمة عليها السلام من عندهما باكية حزينة فلما كان بعد هذا جاء علي عليه السلام إلى أبي بكر وهو في المسجد وحوله المهاجرون والانصار، فقال :

يا ابا بكر ! لم منعت فاطمة ميراثها من رسول الله ؟ وقد ملكته في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال ابو بكر: هذا فيء المسلمين فان أقامت شهودا ان رسول الله صلى الله عليه وآله جعله لها وإلا فلا حق لها فيه، فقال أمير المؤمنين عليه السلام يا ابا بكر تحكم فينا بخلاف حكم الله في المسلمين ؟ قال لا قال فان كان في يد المسلمين شئ يملكونه ادعيت أنا فيه من تسأل البينة ؟ قال: إياك كنت أسأل البينة على ما تدعيه على المسلمين، قال فاذا كان في يدي شيء وادعى فيه المسلمون فتسألني البينة على ما في يدي! وقد ملكته في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله وبعده ولم تسأل المسلمين البينة على ما ادعوا علي شهودا كما سألتني على ما ادعيت عليهم ! فسكت أبو بكر ثم قال عمر يا علي دعنا من كلامك فانا لا نقوى على حججك

فان أتيت بشهود عدول وإلا فهو فيء المسلمين لا حق لك ولا لفاطمة فيه .فقال أمير المؤمنين عليه السلام يا ابا بكر تقرأ كتاب الله ؟ قال نعم قال فاخبرني عن قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ فيمن نزلت أفينا أم في غيرنا ؟ قال بل فيكم قال فلو أن شاهدين شهدا على فاطمة بفاحشة ما كنت صانعا ؟ قال كنت اقيم عليها الحد كما اقيم على سائر المسلمين قال كنت إذا عند الله من الكافرين، قال: ولم ؟ قال: لأنك رددت شهادة الله لها بالطهارة وقبلت شهادة الناس عليها كما رددت حكم الله وحكم رسوله ان جعل رسول الله صلى الله عليه وآله لها فدكاً وقبضته في حياته ثم قبلت شهادة أعرابي بايل على عقبه عليها فأخذت منها فدك وزعمت انه فيء المسلمين وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله البينة على من ادعى واليمين على من ادعي عليه!!

قال: فدمدم الناس وبكى بعضهم فقالوا صدق والله علي ورجع علي عليه السلام إلى منزله [٥١].

قال الشيخ عبد المنعم الفرطوسي:

شجونٌ تستهل لها الدموعُ	وتحرق من لواعجها الضلوعُ
وقفتُ على البقيع فسال طرفي	وقلبي فالدموع هي النجيع
كأنّ مصيبة الزهراء بيتٌ	بقلبي للأسى وهو البقيع
أمثلُ البضعة الزهراء تُجفى	ويعفا قبرها وهو الرفيع
ويغصب حقها جهراً وتؤذى	بحيث وصية الهادي تضيع
تُصدّ عن البكاء على أبيها	فتحبس في محاجرها الدموع
وتقتطع الاراكة حين تأوي	لظل غصونها كفٌ قطيع
ويحرق بيتها بالنار حقداً	ويُهتك سترها وهو المنيع

ويُكسر ضلعها بالباب عصراً	فيسقط حملها وهو الشفيع
ويدمي صدرها المسمار كسراً	فينبغ بين ثديها النجيع
وحمرة عينها للحشر تبقى	بها من كفّ لاطمها تشيع
تنوح فتسمع الشكوى وتدعو	وما في المسلمين لها سميع
مصائب بالفظاعة قد تناهت	وكل مصيبة خطب فظيع
قضت ألماً من الزهراء فيها	حشاشة قلبها وهو المروع

لقد كانت فدك حدود الولاية لاهل البيت ولم تكن كما يتصور بعضهم ضيعة زراعية صغيرة، عن علي بن أسباط قال: لما ورد أبو الحسن موسى عليه السلام على المهدي رآه يرد المظالم فقال: يا أمير المؤمنين ما بال مظلمتنا لا ترد ؟ فقال له: وما ذاك يا أبا الحسن ؟ قال: إن الله تبارك وتعالى لما فتح على نبيه صلى الله عليه وآله فدكاً وما والاها، لم يوجف عليه بخيل ولا ركاب فأنزل الله على نبيه صلى الله عليه وآله ﴿وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ﴾ فلم يدر رسول الله صلى الله عليه وآله من هم، فراجع في ذلك جبرئيل وراجع جبرئيل عليه السلام ربه فأوحى الله إليه أن ادفع فدك إلى فاطمة عليها السلام، فدعاها رسول الله صلى الله عليه وآله فقال لها: يا فاطمة إن الله أمرني أن أدفع إليك فدك، فقالت: قد قبلت يا رسول الله من الله ومنك. فلم يزل وكلاؤها فيها حياة رسول الله صلى الله عليه فلما ولي أبو بكر أخرج عنها وكلاء ها، فأتته فسألته أن يردها عليها، فقال لها: ائتيني بأسود أو أحمر يشهد لك بذلك، فجاءت بأمير المؤمنين عليه السلام وأم أيمن فشهدا لها فكتب لها بترك التعرض، فخرجت والكتاب معها فلقيها عمر فقال: ما هذا معك يا بنت محمد ؟ قالت كتاب كتبه لي ابن أبي قحافة، قال: أرينيه فأبت، فانتزعه من يدها ونظر فيه، ثم تفل فيه ومحاه و خرقه، فقال لها: هذا لم يوجف عليه أبوك بخيل ولا ركاب ؟ فضعي الحبال في رقابنا [٥٢].فقال له المهدي: يا أبا الحسن حدها لي، فقال: حد منها جبل أحد، وحد منها عريش مصر، وحد منها سيف البحر وحد منها دومة الجندل،

فقال له، كل هذا ؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين هذا كله، إن هذا كله مما لم يوجف على أهله رسول الله صلى الله عليه وآله بخيل ولا ركاب، فقال كثير، وأنظر فيه (٥٣).

وفي كتاب أخبار الخلفاء أن هارون الرشيد كان يقول لموسى بن جعفر: خذ فدكا حتى أردها إليك، فيأبى حتى ألح عليه فقال عليه السلام لا آخذه إلا بحدودها قال: وما حدودها ؟ قال: إن حددتها لم تردها قال: بحق جدك إلا فعلت ؟ قال: أما الحد الاول فعدن، فتغير وجه الرشيد وقال: ايها، قال: والحد الثاني سمرقند، فاربد وجهه قال: والحد الثالث افريقية فاسود وجهه وقال: هيه(٥٤) قال: والرابع سيف البحر مما يلي الجزر وارمينة قال الرشيد: فلم يبق لنا شئ، فتحول إلى مجلسي، قال موسى: قد أعلمتك أنني إن حددتها لم تردها فعند ذلك عزم على قتله

وفي رواية ابن أسباط أنه قال: أما الحد الاول: فعريش مصر، والثاني دومة الجندل، والثالث: احد والرابع: سيف البحر، فقال هذا كله، هذه الدنيا فقال عليه السلام هذا كان في أيدي اليهود بعد موت أبي هالة فأفاءه الله على رسوله، بلا خيل ولا ركاب، فأمره الله أن يدفعه إلى فاطمة عليها السلام (٥٥).

ـ ٩ ـ

بيتها عليها السلام

كان النبي صلى الله عليه وآله قد بنى لنفسه بيتا شرقي المسجد ملاصقا له سكنه مع ابنته فاطمة وبنى هناك أيضا بيوتا اسكنها أزواجه وبنى لعلي عليه السلام بيتا بجنب البيت الذي تسكنه عائشة وهو الذي دفن فيه النبي صلى الله ثم عاد إلى ذلك البيت وسكنته فاطمة معه حتى توفيت وفيه ولد الحسن والحسين وسائر أولاد علي من فاطمة عليهم جميعا السلام وبقيت الصخرة التي ولدت عليها الحسنين ظاهرة بعد

الحاق بيتها بالمسجد يعرفها أهل البيت.

وفي كتاب وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى: أسند يحي عن عيسى بن عبد الله عن أبيه ان بيت فاطمة في الزور الذي في القبر بينه وبين بيت النبي خوخة. والزور الموضع المزور شبه المثلث في جهة الشام قال واسند عن عمر بن علي بن عمر بن علي بن الحسين ان بيت فاطمة في موضع الزور مخرج النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وكانت فيه كوة إلى بيت عائشة فكان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ إذ قام إلى المخرج اطلع من الكوة إلى فاطمة فعلم خبرهم فدخلت عائشة المخرج في جوف الليل فأبصرت المصباح عندهم وذكر كلاما وقع بينهما فلما أصبحوا سالت فاطمة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ان يسد الكوة فسدها

إلى أن قال: ويشهد لذلك اي كون موضع بيت فاطمة في الزور ما أسنده يحي عن مسلم عن ابن أبي مريم ان عرض بيت فاطمة إلى الأسطوانة التي خلف الأسطوانة المواجهة للزور وكان بابه في المربعة التي في القبر

قال: وقد أسند أبو غسان عن مسلم بن سالم قال عرس علي بفاطمة إلى الأسطوانة التي خلف الأسطوانة المواجهة الزور وكانت داره في المربعة التي في القبر قال سليمان وقال مسلم لا تنس حظك من الصلاة إليها فإنه باب فاطمة التي كان علي يدخل إليها منه وقد رأيت حسن بن زيد يصلي إليها.

ثم حكى عن ابن شبة ان عليا عَلَيْهِ السَّلَامُ اتخذ بالمدينة دارين أحدهما دخلت في مسجد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ والأخرى دار علي التي بالبقيع .

ثم حكي عن رزين انه لما كان زمن الوليد بن عبد الملك وعمر بن عبد العزيز عامله على المدينة ومكة بعث الوليد إليه بمال وقال له من باعك فأعطه ثمنه ومن أبى فاهدم عليه واعطه المال فان أبى ان يأخذه فاصرفه إلى الفقراء. ثم ذكر عدة روايات انه بينما الوليد بن عبد الملك يخطب على منبر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ إذ انكشف الكلة عن بيت فاطمة عَلَيْهَا السَّلَامُ وإذا حسن بن حسن يسرح لحيته فلما نزل

أمر بهدم بيت فاطمة اخذه الغضب لكونه لم يسمع خطبته بل جلس في بيته يسرح لحيته فامر بهدمه فأبى حسن بن حسن وفاطمة بنت الحسين وهي زوجته زوجه إياها عمه الحسين عليه السلام ان يخرجوا منه فامر بهدمه عليهم وهما فيه وولدهما فنزع أساس البيت وهم فيه فلما نزع أساس البيت قالوا لهم ان لم تخرجوا قوضناه عليكم فخرجوا منه .

وفي رواية أخرى إن الوليد كان يبعث كل عام رجلا إلى المدينة فيأتيه بأخبارها فقال له مرة لقد رأيت أمرا لا والله ما لك معه سلطان كنت في مسجد النبي صلى الله عليه وآله فإذا منزل عليه كلة فلما أقيمت الصلاة رفعت الكلة وصلى صاحبه فيه بصلاة الامام وهو ومن معه ثم أرخيت الكلة واتي بالغداء فتغدوا وإذا هو يأخذ المرآة والكحل فسالت فقيل إن هذا حسن بن حسن قال ويحك فما اصنع هو بيته وبيت امه فما الحيلة قال تزيد في المسجد وتشتري هذا المنزل فكتب إلى عمر بن عبد العزيز بذلك فأبوا أن يخرجوا منه، فأرسل إليهم الوليد بن عبد الملك: إن لم تخرجوا منه هدمته عليكم فأبوا أن يخرجوا، فأمر بهدمه عليهم. .. فخرجوا منه حتى أتوا دار علي نهاراً .

وقال حسن والله لا نأكل له ثمنا ابدا وأعطاهم به سبعة آلاف أو ثمانية آلاف دينار فكتب إلى الوليد بذلك فامره بهدمه وإدخاله وطرح الثمن في بيت المال ففعل وانتقلت منه فاطمة بنت الحسين بن علي (٥٦)

وروى ما حاصله أن بيت فاطمة الزهراء لما أخرجوا منه فاطمة بنت حسين وزوجها حسن بن حسن وهدموا البيت بعث حسن بن حسن ابنه جعفرا وكان أسن ولده فقال له: اذهب ولا تبرحن حتى يبنوا فتنظر الحجر الذي من صفته كذا وكذا... فجاء جعفر إلى أبيه فأخبره فخر ساجدا وقال: ذلك حجر كان النبي صلى الله عليه وآله إذا دخل إلى فاطمة. . أو كانت فاطمة تصلي إليه.

قال يحي: ورأيت الحسين بن عبد الله بن عبد الله بن الحسين ولم أر فينا رجلا أفضل منه إذا اشتكى شيئا من جسده كشف الحصى عن الحجر فيمسح به ذلك الموضع، ولم يزل ذلك الحجر تراه [٥٧]

ان هذا البيت له صورة في الملكوت تبين عظمة النازلين به وعلو شأنهم وعجيب مقامهم في العوالم.

عن بشير الدهان قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: جعلت فداك أي الفصوص أفضل لأركبه على خاتمي؟ قال: يا بشير أين أنت عن العقيق الأحمر والعقيق الأصفر والعقيق الأبيض فإنها ثلاثة جبال في الجنة، أما الأحمر فمطل على دار رسول الله، وأما الأصفر فمطل على دار فاطمة، وأما الأبيض فمطل على دار أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام الدور كلها واحدة تخرج منها ثلاثة أنهار من تحت كل جبل نهر أشد بردا من الثلج وأحلى من العسل وأشد بياضا من اللبن، لا يشرب منها إلا محمد وآله وشيعتهم، ومصبها كلها واحد ومجراها من الكوثر. وان هذه الثلاثة جبال تسبح الله وتقدسه وتمجده وتحمده وتستغفر لمحبي آل محمد، فمن تختم بشئ منها من شيعة آل محمد لم ير إلا الخير والحسنى والسعة في الرزق والسلامة من جميع أنواع البلاء، وهو أمان من السلطان الجائر ومن كل ما يخافه الانسان ويحذره[٥٨].

وما عرف من باب فاطمة من جهة الشرق والموجود إلى يومنا هذا في المسجد النبوي فهو الباب الشرقي للمقصورة النبوية الشريفة وإنما سمي فيما بعد بباب فاطمة لجواره لبيت فاطمة. ولعل الباب الجنوبي لبيت فاطمة كان باباً داخلياً تطل منه إلى بيت أبيها هو البيت الذي خصصه صلى الله عليه وآله لعائشة.

وأما الباب الرئيسي لبيت علي وفاطمة فهو الباب الغربي المطل على المسجد كان موقعه قرب الزاوية الجنوبية الغربية للبيت حيث حدد أن باب بيتهما يقع

عند مربعة القبر والتي فيها أسطوانة جبرئيل عليه السلام وهي في الحائز الذي أقامه عمر بن عبد العزيز عند منحرف الصفحة الغربية ويقال لها ايضا: اسطوانة مربعة القبر لأنها في ركن المربعة الغربية الشمالية عند منحرف الصفحة الغربية من الحائز الذي بناه عمر بن عبد العزيز إلى جهة الشمال في صف أسطوانة الوفود بينهما الأسطوانة اللاصقة بالشباك

وأما عن حدود بيت علي وفاطمة فقال السمهودي: إن بيت فاطمة عليها السلام كان فيما بين مربعة القبر واسطوانة التهجد، وقالوا أيضاً: شمالي بيت عائشة، وذكرت الروايات السابقة: أن باب بيت علي عليه السلام كان شارعاً في المسجد، وقيل أن حجرة أم سلمة كانت على جهة الشـرق من بيت علي وفاطمة ، فعلم من هذا كله أن بيت علي وفاطمة يحده من الغرب المسجد النبوي، ومن الشرق حجرة أم سلمة، ومن الشمال الخوخة الفاصلة بينه وبين حجرة عائشة ، ومن الشمال الطريق المؤدي إلى باب جبرائيل، وينتهي جدار بيتهما عند أسطوانة التهجد وهو المحراب الذي كان يتهجد ويصلي النبي صلى الله عليه وآله فيه.

ومن ناحية أخرى فإن الزاوية الجنوبية الغربية من هذا البيت تقع عند أسطوانة مقام جبرئيل، كما أن البيت من جهة الشرق يوازي الباب الثاني للمسجد والذي أحدثه عمر بن عبد العزيز عام ٩١ هوسمي بباب علي ثم أبدل فيما بعد بشباك وهو الآن أول شباك على يمين الخارج من باب جبرئيل.

ـ ١٠ ـ

أولاد ها عليها السلام

لقد شرف الله الزهراء بذرية طاهرة عجيبة فكل الخلق تنسب الى ابائهم الا ولدها فانهم ينسبون الى جدهم تشريفا وتعظيما لهم ولامهم

عن المنصور يعني الدوانيقي قال: حدثني أبي عن أبيه علي عن جده قال: كنت أنا وأبي العباس عند رسول الله صلى الله عليه وآله إذ دخل علي فقال النبي صلى الله عليه وآله : ان الله أشد حبا لهذا مني إن الله جعل ذرية كل نبي من صلبه وجعل ذريتي في صلب علي(٥٩).

وذكر في الميزان أيضا في ترجمة عثمان بن أبي شيبة أحاديث عنه من جملتها حديث: لكل بني أب عصبة ينتمون إليه إلا ولد فاطمة أنا عصبتهم (٦٠).

وعن عمر، قال: سمعت النبي صلى الله عليه وآله يقول: كل قوم عصبتهم لأبيهم الا أولاد فاطمة، فاني أنا عصبتهم وأنا أبوهم (٦١).

وعن عمر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول كل بنى أنثى فان عصبتهم لأبيهم ما خلا بنى فاطمة فإني أنا عصبتهم وأنا أبوهم (٦٢).

لكن الامة ابت الا ان تدفع هذه الميزة لفاطمة عليها السلام في ولدها، ففي حديث طويل للامام الكاظم عليه السلام مع هارون العباسي قال له: ما لكم لا تنسبون إلى علي هو أبوكم وتنسبون إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وهو جدكم ؟ فقال موسى عليه السلام: إن الله نسب المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام إلى خليله إبراهيم عليه السلام بأمه مريم البكر البتول التي لم يمسها بشر في قوله: ﴿**وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ**﴾ فنسبه بأمه وحدها إلى خليله إبراهيم عليه السلام، كما نسب داود وسليمان وأيوب وموسى وهارون عليهم السلام بآبائهم وأمهاتهم فضيلة لعيسى عليه السلام ومنزلة رفيعة بأمه وحدها. ودلك قوله في قصة مريم عليها السلام : ﴿**إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاء الْعَالَمِينَ**﴾ بالمسيح من غير بشر. وكذلك اصطفى ربنا فاطمة عليها السلام وطهرها وفضلها على نساء العالمين بالحسن والحسين سيدي شباب أهل الجنة(٦٣).

حدث عاصم بن بهدلة قال: اجتمعوا عند الحجاج فذكر الحسين بن علي عليه السلام، فقال الحجاج: لم يكن من ذرية رسول الله صلى الله عليه وآله، وعنده يحي بن يعمر فقال

له: كذبت أيها الأمير، فقال: لتأتيني على ما قلت بينة ومصداق من كتاب الله تعالى أو لأقتلنك، فقال: ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ داوُدَ وَسُلَيْمانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسى﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحْيى وَعِيسى﴾ فأقر الله تعالى أن عيسى من ذرية إبراهيم بأمه، والحسن بن علي من ذرية محمد صلى الله عليه وآله بأمه، قال: صدقت، فما حملك على تكذيبي في مجلسي ؟ قال : ما أخذ الله على الأنبياء ليبيننه للناس ولا يكتمونه، قال الله تعالى: ﴿فَنَبَذُوهُ وَرَاء ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْاْ بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً﴾، قال: فنفاه إلى خراسان(٦٤).

عن أبي حرب بن أبي الأسود قال: أرسل الحجاج إلى يحي بن يعمر فقال: بلغني أنك تزعم أن الحسن والحسين من ذرية النبي صلى الله عليه وآله تجده في كتاب الله، وقد قرأته من أوله إلى آخره فلم أجده ؟ قال: أليس تقرأ سورة الأنعام ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ داوُدَ وَسُلَيْمانَ﴾ حتى بلغ ﴿وَيَحْيى وَعِيسى﴾ قال: بلى، قال: أليس عيسى من ذرية إبراهيم وليس له أب؟ قال: صدقت(٦٥).

كان سعيد بن سرح مولى كريز بن حبيب بن عبد شمس من شيعة علي بن أبي - طالب عليه السلام فلما قدم زياد بن أبيه الكوفة واليا " عليها أضافه وطلبه فأتى المدينة فنزل على الحسن بن علي عليه السلام فقال له الحسن: ما السبب الذي أشخصك وأزعجك ؟ فذكر له قصته وصنيع زياد به فكتب إليه الحسن: أما بعد فإنك عمدت إلى رجل من المسلمين له ما لهم وعليه ما عليهم فهدمت عليه داره وأخذت ماله وعياله فإذا أتاك كتابي هذا فابن له داره واردد عليه ماله وعياله فإني قد أجرته فشفعني فيه، فكتب إليه زياد: من زياد بن أبي سفيان إلى الحسن بن فاطمة، أما بعد فقد أتاني كتابك تبدأ فيه باسمك قبل اسمي وأنت طالب للحاجة وأنا سلطان وأنت سوقة وكتابك إلي في فاسق لا يأويه إلا فاسق مثله وشر من ذلك توليه أباك وقد آويته إقامة منك على سوء الرأي ورضى بذلك وأيم الله لا يسبقني إليه ولو كان بين جلدك ولحمك فإن أحب لحم إلي أن آكله للحم أنت منه فأسلمه بجريرته إلى

من هو أولى به منك فإن عفوت عنه لم أكن شفعتك وإن قتلته لم أقتله إلا بحبه أباك، فلما قرأ الحسن عليه السلام الكتاب كتب إلى معاوية يذكر له حال ابن سرح وكتابه إلى زياد فيه وإجابة زياد إياه ولف كتابه في كتابه وبعث به إليه.

وكتب الحسن إلى زياد: من الحسن بن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله إلى زياد بن سمية عبد بني ثقيف الولد للفراش وللعاهر الحجر ، فلما قرأ معاوية كتاب الحسن عليه السلام ضاقت به الشام وكتب إلى زياد: أما بعد فإن الحسن بن علي بن أبي طالب عليهما السلام بعث إلي بكتابك جواب كتابه إليك في ابن سرح فأكثرت التعجب منه وعلمت أن لك رأيين أحدهما من أبي سفيان وآخر من سمية، فأما الذي من أبي سفيان فحلم وحزم، وأما الذي من سمية فكما يكون رأي مثلها ومن ذلك كتابك إلى الحسن تشتم أباه و تعرض له بالفسق، ولعمري لأنت أولى بالفسق من الحسن ولأبوك إذ كنت تنسب إلى عبيد أولى بالفسق من أبيه، فإن كان الحسن بدأ بنفسه ارتفاعا " عنك فإن ذلك لم يضعك وأما تشفيعه فيما شفع إليك فيه فحظ دفعته عن نفسك إلى من هو أولى به منك، فإذا قدم عليك كتابي هذا فخل ما في يدك لسعيد بن سرح وابن له داره ولا تغدر به و أردد عليه ماله فقد كتبت إلى الحسن أن يخبر صاحبه بذلك فإن شاء أقام عنده وإن شاء رجع إلى بلده، فليس لك عليه سلطان بيد ولا لسان، وأما كتابك إلى الحسن باسمه واسم أمه ولا تنسبه إلى أبيه فإن الحسن ويلك ممن لا يرمى به الرجوان أفاستصغرت أباه وهو علي بن أبي طالب أم إلى أمه وكلته لا أم لك فهي فاطمة بنت رسول الله - صلى الله عليه وآله فتلك أفخر له إن كنت تعقل والسلام (٦٦) .

- ١١ -

مسجدها عليها السلام

قال ابن الجهم: سمعت الرضا عليه السلام يقول موضع الأُسطوانة ممّا يلي صحن

المسجد؛ مسجد فاطمة صلّى اللّه عليها(٦٧).

وعن الحسين بن محمّد الأشعريّ، قال: حدّثني شيخ من أصحابنا يقال له: عبداللّه بن رزين- و ساق الحديث إلى قوله فدخل فسلّم على رسول اللّه صلى الله عليه و آله و جاء إلى الموضع الّذي كان يصلّي فيه في بيت فاطمة عليها السلام، وخلع نعليه، و قام يصلّي.

وعن سهل بن زياد، عن أحمد بن محمّد بن أبي نصر، قال: سألت الرضا عليه السلام عن قبر فاطمة عليها السلام؟ فقال: دفنت في بيتها، فلمّا زادت بنواُميّة في المسجد صارت في المسجد.

قال العلّامة السمهودي الشافعي في الفصل الّذي ينقل و يذكر فيه ما جاء في أساطين المسجد النبويّ صلى الله عليه و آله :و منها اُسطوانة التهجّد، أسند يحي بن عيسى بن عبداللّه، عن أبيه، قال: كان رسول اللّه صلى الله عليه و آله يخرج حصيراً كلّ ليلة إذا انكفت الناس، فيطرح وراء بيت عليّ عليه السلام ، ثمّ يصلّي صلاة الليل ...

قال عيسى: و حدّثني سعيد بن عبداللّه بن فضيل، قال :مرّ بي محمّد بن الحنفية و أنا اُصلّي إليها، فقال لي: أراك تلزم هذه الاُسطوانة هل جاءك فيها أثر؟ قلت: لا .

قال: فالزمها، فإنّها كانت مصلّى رسول اللّه صلى الله عليه و آله من الليل .

وعن زيد بن ثابت :إنّ رسول اللّه صلى الله عليه و آله اتّخذ حجرة- قال: حسبت إنّه قال من حصير- في رمضان، فصلّى فيها ليالي .

و قال المطريّ في بيان موضع هذه الاُسطوانة: هي خلف بيت فاطمة عليها السلام، والمواقف إليها يكون باب جبرئيل عليه السلام.

وعن جابر بن عبداللَّه الأنصاريّ- في حديث طويل و كان بيتها سلام اللَّه عليها ملاصق بيت رسول اللَّه صلى الله عليه و آله الّذي ينفرد به لنفسه من أزواجه.

و قال السمهودي: قال ابن زبالة: حدّثني عبدالعزيز بن محمّد، عن بعض أهل العلم، قال :قدم الوليد بن عبدالملك حاجّاً، فبينا هو يخطب الناس على منبر رسول اللَّه صلى الله عليه و آله إذ حانت منه التفاتة، فإذا بحسن بن حسن بن عليّ بن أبي طالب عليهم السلام في بيت فاطمة عليها السلام في يده مرآة ينظر فيها. فلمّا نزل أرسل إلى عمر بن عبدالعزيز و هو عامله بالمدينة، فقال: لا أرى هذا قد بقي بعد(٦٨).

- ١١ -

صدقاتها عليها السلام

لفاطمة أوقاف عدة وصدقات في المدينة المنورة قد نص عليها المؤرخون الا أنّها صودرت فيما صودر من آثار البيت النبوي المطهر ومنها:

ام العيال: وهي عين تخر من جبل قرب المدينة يسمى(آره) يقابل قدسا من اشمخ ما يكون من الجبال، احمر تخر جوانبه عيوناً، على كل عين قرية فمنها: الفرع، وام العيال، والمضيق، وسميت القرية باسم العين ام العيال، عن عزام انها صدقة فاطمة الزهراء(٦٩)

ونخلات فاطمة: في صحن المسجد النبوي الشرقي المجاور لباب النساء كانت بئراً ونخلات، نخلتان او ثلاث موجودة الى عهد قريب ذكرها المستشرق بور خارت قائلاً: انها مقدسة وتنسب الى الزهراء عليها السلام لأنها غرستها بيدها الشريفة(٧٠).

وأوقافها عليها السلام حيث كان لها سبعة بساتين وقفتها على بني هاشم وبني عبد المطلب وهي (العواف، والذلال، والبرقة، والمبيت، والحسني، و الصافية، ومال أم إبراهيم)[٧١].

وجزيرة فاطمة: كان في المسجد النبوي عند الروضة جذعة تسمى جزيرة فاطمة وكانت عالية يتطاول الزائرون ليلمسوها ويتبركوا بها [٧٢].

ـ ١٢ ـ

قبرها عليها السلام

وفي خاتمة المطاف اختصت الزهراء عليها السلام بأشجى مزية وامضها على قلوب شيعتها، نعم لقد ماتت الزهراء عليها السلام البنت الوحيدة لنبي الاسلام بين المسلمين ولكن خفي عليهم مكان قبرها، ان خفاء قبر فاطمة من أكبر الآيات الدالة على غضب فاطمة صلوات الله عليها على المتآمرين عليها وهو متواتر، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر قال: سألت الرضا عليه السلام عن قبر فاطمة عليها السلام فقال: دفنت في بيتها فلما زادت بنو أمية في المسجد صارت في المسجد [٧٣].

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة ومنبري على ترعة من ترع الجنة لان قبر فاطمة صلوات الله عليها بين قبره ومنبره وقبرها روضة من رياض الجنة وإليه ترعة من ترع[٧٤] الجنة[٧٥].



وروي انه لما توفيت صلوات الله عليها وعلى أبيها، وبعلها وبنيها صاحت أهل المدينة صيحة واحدة واجتمعت نساء بني هاشم في دارها، فصرخن صرخة واحدة كادت المدينة ان تزعزع من صراخهن وهن يقلن: يا سيدتاه يا بنت رسول الله، واقبل الناس مثل عرف الفرس إلى علي عليه السلام وهو جالس، والحسن

والحسين عليهما السلام بين يديه يبكيان فبكى الناس لبكائهما، وخرجت أم كلثوم وعليها برقعة وتجر ذيلها، متجللة برداء عليها تسحبها وهي تقول: يا أبتاه يا رسول الله، الآن حقا فقدناك فقدا لإلقاء بعده أبداً واجتمع الناس فجلسوا، وهم يرجون وينظرون ان تخرج الجنازة، فيصلون عليها وخرج أبو ذر فقال: انصرفوا فإن ابنة رسول الله صلى الله عليه وآله قد أخر اخراجها في هذه العشية فقام الناس وانصرفوا، فلما ان هدأت العيون، ومضى من الليل، أخرجها علي والحسن والحسين عليهما السلام، وعمار والمقداد، وعقيل والزبير، وأبو ذر وسلمان وبريدة، ونفر من بني هاشم وخواصه صلوا عليها، ودفنوها في جوف الليل وسوى على حواليها قبورا مزورة مقدار سبعة حتى لا يعرف قبرها. وقال بعضهم من الخواص: قبرها سوى مع الأرض مستويا، فمسحها مسحا سواء مع الأرض حتى لا يعرف أحد موضعه.

وقالوا: ليس قبرها بالبقيع، إنما قبرها بين رسول الله صلى الله عليه وآله ومنبره لا ببقيع الغرقد وتصحيح ذلك قوله عليه السلام بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة، إنما أراد بهذا القول قبر فاطمة عليها السلام.

قال الأصبغ بن نباتة: سئل أمير المؤمنين عليه السلام عن علة دفن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله فقال عليه السلام: انها كانت ساخطة على قوم كرهت حضورهم جنازتها وحرام على من يتولاهم ان يصلى على أحد من ولدها (٧٦).

وروي أنها قبضت لعشر بقين من جمادى الآخرة، وقد كمل عمرها يوم قبضت ثماني عشرة سنة، وخمسة وثمانين يوما بعد وفاة أبيها، فغسلها أمير المؤمنين عليه السلام، ولم يحضرها غيره، والحسن، والحسين، وزينب، وأم كلثوم، وفضة جاريتها، وأسماء بنت عميس، وأخرجها إلى البقيع في الليل، ومعه الحسن والحسين، وصلى عليها، ولم يعلم بها، ولا حضر وفاتها، ولا صلى عليها أحد من سائر الناس غيرهم، ودفنها في الروضة، وعفى موضع قبرها، وأصبح البقيع ليلة دفنت وفيه أربعون قبرا جددا ؟ وإن المسلمين لما علموا وفاتها جاءوا إلى البقيع،

فوجدوا فيه أربعين قبرا، فأشكل عليهم قبرها من سائر القبور، فضج الناس ولام بعضهم بعضا، وقالوا: لم يخلف نبيكم فيكم إلا بنتا واحدة، تموت وتدفن ولم تحضروا وفاتها ولا دفنها ولا الصلاة عليها ! بل ولم تعرفوا قبرها ! فقال ولاة الأمر منهم: هاتوا من نساء المسلمين من ينبش هذه القبور حتى نجدها فنصلي عليها ونزور قبرها. فبلغ ذلك أمير المؤمنين صلى الله عليه وآله، فخرج مغضبا قد احمرت عيناه، ودرت أوداجه، وعليه قباؤه الأصفر الذي كان يلبسه في كل كريهة، وهو يتوكأ على سيفه ذي الفقار، حتى ورد البقيع، فسار إلى الناس من أنذرهم، وقال: هذا علي بن أبي طالب قد أقبل كما ترونه، يقسم بالله لئن حول من هذه القبور حجر ليضعن السيف في رقاب الآمرين. فتلقاه عمر ومن معه من أصحابه، وقال له: مالك يا أبا الحسن، والله لننبشن قبرها ولنصلين عليها. فضرب علي عليه السلام بيده إلى جوامع ثوبه فهزه ثم ضرب به الأرض، وقال له: يا ابن السوداء، أما حقي فقد تركته مخافة أن يرتد الناس عن دينهم، وأما قبر فاطمة فوالذي نفس علي بيده لئن رمت وأصحابك شيئا من ذلك لأسقين الأرض من دمائكم، فإن شئت فاعرض يا عمر. فتلقاه أبو بكر فقال: يا أبا الحسن، بحق رسول الله وبحق من فوق العرش إلا خليت عنه، فإنا غير فاعلين شيئا تكرهه. قال: فخلى عنه وتفرق الناس ولم يعودوا إلى ذلك(٧٧).

وعن محمد بن جبرئيل، قال: رأيت الحسن بن علي عليهما السلام وقد استسقى ماء، فأبطأ عليه الرسول، فاستخرج من سارية المسجد ماء فشرب وسقى أصحابه، ثم قال: لو شئت لسقيتكم لبنا وعسلا. فقلنا: فاسقنا. فسقانا لبنا وعسلا من سارية المسجد، مقابل الروضة التي فيها قبر فاطمة عليها السلام (٧٨).

وقال المسعودي: ودفن عليه السلام بالبقيع مع أبيه وجده، وله خمس وستون سنة، وقيل: أنه سم، وعلى قبورهم في هذا الموضع من البقيع رخامة، مكتوب عليها: بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله مبيد الأمم، ومحيي الرمم، هذا قبر فاطمة بنت

رسول الله صلى الله عليه وآله سيدة نساء العالمين، وقبر الحسن بن علي بن أبي طالب، وعلي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، ومحمـد بن علي، وجعفـر بن محمد رضي الله عنهم(٧٩).

وعلق الشيخ عباس القمي على ذلك قائلا: صلوات الله عليهم، فقد رفعهم الله من أن يقال: فيهم رحمهم الله، وأما فاطمة التي دفنت الأئمة عليهم السلام معها، فهي فاطمة بنت أسد أم أمير المؤمنين عليه السلام، وأما فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وعليها، فالظاهر إنها دفنت في بيتها كما حقق ذلك في محله (٨٠).

قال الشيخ الصدوق: اختلفت الروايات في موضع قبر فاطمة سيدة نساء العالمين عليها السلام، فمنهم من روى أنها دفنت في البقيع، ومنهم من روى أنها دفنت بين القبر والمنبر وأن النبي صلى الله عليه وآله إنما قال: ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة لان قبرها بين القبر والمنبر، ومنهم من روى أنها دفنت في بيتها فلما زادت بنو أمية في المسجد صارت في المسجد وهذا هو الصحيح عندي، وإني لما حججت بيت الله الحرام كان رجوعي على المدينة بتوفيق الله تعالى ذكره، فلما فرغت من زيارة رسول الله صلى الله عليه وآله قصدت إلى بيت فاطمة عليها السلام وهو من عند الأسطوانة التي تدخل إليها من باب جبرئيل عليه السلام إلى مؤخر الحظيرة التي فيها النبي صلى الله عليه وآله فقمت عند الحظيرة ويساري إليها وجعلت ظهري إلى القبلة واستقبلها بوجهي وأنا على غسل وقلت:

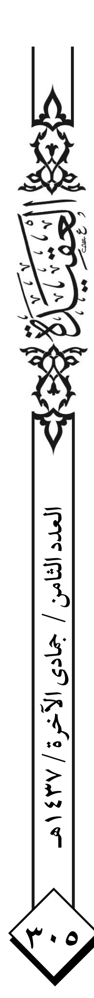
«السلام عليك يا بنت رسول الله، السلام عليك يا بنت نبي الله، السلام عليك يا بنت حبيب الله، السلام عليك يا بنت خليل الله، السلام عليك يا بنت صفي الله، السلام عليك يا بنت أمين الله، السلام عليك يا بنت خير خلق الله، السلام عليك يا بنت أفضل أنبياء الله ورسله وملائكته، السلام عليك يا ابنة خير البرية، السلام عليك يا سيدة نساء العالمين من الأولين والآخرين، السلام عليك يا زوجة ولي الله وخير الخلق بعد رسول الله، السلام عليك يا أم الحسن

والحسين سيدي شباب أهل الجنة، السلام عليك أيتها الصديقة الشهيدة، السلام عليك أيتها الرضية المرضية السلام عليك أيتها الفاضلة الزكية، السلام عليك أيتها الحورية الانسية، السلام عليك أيتها التقية النقية، السلام عليك أيتها المحدثة العليمة، السلام عليك أيتها المظلومة المغصوبة، السلام عليك أيتها المضطهدة المقهورة، السلام عليك يا فاطمة بنت رسول الله ورحمة الله وبركاته، صلى الله عليك وعلى روحك وبدنك، أشهد أنك مضيت على بينة من ربك وأن من سرك فقد سر رسول الله صلى الله عليه وآله ، ومن جفاك فقد جفا رسول الله صلى الله عليه وآله، ومن آذاك فقد آذى رسول الله صلى الله عليه وآله، ومن وصلك فقد وصل رسول الله صلى الله عليه وآله، ومن قطعك فقد قطع رسول الله صلى الله عليه وآله، لأنك بضعة منه وروحه التي بين جنبيه، كما قال عليه أفضل سلام الله وصلواته اشهد الله ورسله وملائكته إني راض عمن رضيت عنه، ساخط على من سخطت عليه، متبرئ ممن تبرأت منه، موال لمن واليت، معاد لمن عاديت، مبغض لمن أبغضت، محب لم أحببت، وكفى بالله شهيدا وحسيبا وجازيا ومثيبا».

ثم قلت: اللّهُمَّ صل وسلم على عبدك ورسولك محمد بن عبد الله خاتم النبيين وخير الخلائق أجمعين، وصل على وصيه علي بن أبي طالب أمير المؤمنين وإمام المسلمين وخير الوصيين، وصل على فاطمة بنت محمد سيدة نساء العالمين، وصل على سيدي شباب أهل الجنة الحسن والحسين، وصل على زين العابدين علي بن الحسين، وصل على محمد بن علي باقر علم النبيين، وصل على الصادق عن الله جعفر بن محمد، وصل على كاظم الغيظ في الله موسى بن جعفر، وصل على الرضا علي بن موسى، وصل على التقي محمد بن علي، وصل على النقي علي بن محمد، وصل على الزكي الحسن بن علي، وصل على الحجة القائم ابن الحسن بن علي، اللّهُمَّ أحي بن العدل، وأمت به الجور، وزين بطول بقائه الأرض، وأظهر به دينك وسنة نبيك حتى لا يستخفى بشيء من الحق مخافة أحد من الخلق واجعلنا من أعوانه و أشياعه

والمقبولين في زمرة أوليائه يا رب العالمين، اللّهُمَّ صل على محمد وأهل بيته الذين أذهبت عنهم الرجس وطهرتم تطهيرا ". قال مصنف هذا الكتاب - رحمه الله -: لم أجد في الاخبار شيئا موظفا محدودا لزيارة الصديقة عليها السلام فرضيت لمن نظر في كتابي هذا من زيارتها ما رضيت لنفسي والله الموفق للصواب وهو حسبنا ونعم الوكيل[٨١].

هذه نبذة مختصرة مما اختصت به صلوات الله عليها، ولها بأبي وأمي من الفرائد التي لا يدانيها الفكر والتصور والخيال شرفاً ومقاماً.



* هوامش البحث *

(١) الأمالي ص ٢٠٨.

(٢) مناقب أمير المؤمنين عليه السلام ج ٢ ص ١٥٨ .

(٣) مستدرك الوسائل ج ٦ ص ٥١١، عيون أخبار الرضا عليه السلام ج ٢ ص ٢١٦.

(٤) مناقب أمير المؤمنين عليه السلام ج ٢ ص ٤٦٠ .

(٥) الأمالي المفيد ص ٤٩، الأمالي المفيد ص ٩٥، مختصر بصائر الدرجات ص ١٨٧ .

(٦) انساب الاشراف، ج١، ص٥٨٦ ،الإمامة والسياسة، ص١٢، تاريخ الطبري، ج٢، ص٤٤٣، العقد الفريد، ج ٤، ص ٢٦٨، الوافي بالوفيات، ج٦، ص١٧، الملل النحل للشهرستاني، ج١، ص٥٧،شرح نهج البلاغة، ج٢، ص٤٦ و ٤٧، مروج الذهب، ج٣، ص٣٠١،ميزان الاعتدال، ج ١، ص ١٣٩،عبد الفتاح عبد المقصود، علي بن أبي طالب ،ج٤، ص٢٧٦.

(٧) معجم البلدان: ج ١ ص ٥١٩، كتب الشيخ عباس القمي كتابا في مناقب الزهراء اسماه: بيت الأحزان: في مصائب سيدة النسوان البتول فاطمة الزهراء عليها السلام .

(٨) مناقب آل أبي طالب: ج ٣ ص ٤١.

(٩) الخصائص الفاطمية: ج ١ ص ٥٣٦.

(١٠) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ج ١٠ ص ١٤.

(١١) بحار الأنوار: ج ٤٣ ص ١٧٤ .منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة: ج ١٣ ص ٢١ .

(١٢) النص والاجتهاد ، ص ٣٠١ .

(١٣) تاريخ آل سعود ج ١ / ١٥٨. كشف الارتياب في أتباع محمد بن عبد الوهاب ص ٥٥ و ١٨٧ و ٣٢٤ و ٨٦، أعيان الشيعة ج ٢ / ٧، الصحيح من سيرة النبي الأعظم ج ١ / ٨١، آل سعود من أين إلى أين ص ٤٧ .

(١٤) الذريعة: ج ٧ ص ٥٢.



(١٥) ظرافة الاحلام ص ١٦٩ .

(١٦) المناقب ج٣ ص ١٣٨.

(١٧) منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة: ج ١٣ ص ٢١

(١٨) الكافي: ج ١ ص ٥٢٧، الوافي: ج ٢ ص ٣٠٩.

(١٩) الكافي: ج ١ ص ٥٣٢.

(٢٠) عيون أخبار الرضا (ع): ج ١ ص ٥٢.

(٢١) عيون أخبار الرضا (ع): ج ١ ص ٥١ .

(٢٢) بصائر الدرجات: ١٤٣ / ١٢ باب في الأئمة انهم عندهم الصحيفة.

(٢٣) تفسير نور الثقلين ج ٥ ص ٤١١ .

(٢٤) شرح الزيارة الجامعة ص ٨١ .

(٢٥) بصائر الدرجات ٣٩.

(٢٦) بصائر الدرجات ص ١٧١ .

(٢٧) بصائر الدرجات ص ١٧٧ .

(٢٨) بصائر الدرجات ص ١٧٧ .

(٢٩) قال ابن الأثير في النهاية: يقال مجلت يده تمجل مجلاً ومجلت تمجل مجلاً إذا ثخن جلدها وتعجّر وظهر فيه شبه البثر من العمل بالاشياء الصلبة الخشنة، ومنه حديث فاطمة عليها السلام انها شكت إلى علي مجل يديها من الطحن (مادة مجل).

(٣٠) اللفاع: اللحاف أو الكساء.

(٣١) الشيخ الصدوق، علل الشرائع ج٢ ص٥٤-٥٥.

(٣٢) الرقيق: المملوك (واحد وجمع)، والرقيق :العبد... وقد رقّ فلان: أي صار عبداً، وسمي العبيد رقيقاً لأنهم يرقّون لمالكهم ويذلون ويخضعون. (انظر لسان العرب ج١٠ ص١٢٤).

(٣٣) النعمان بن محمد بن منصور، دعائم الاسلام، ج١ ص١٦٨.

(٣٤) ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، ج٣ ص١٢٤.

(٣٥) قال ابن منظور: «يقال: سناها الغيث يسنوه فهي مَسْنوّة ومَسْنيّة يعني: سقاها... والسواني:

جمع سانية وهي الناقة التي يُستقى عليها، ومنه حديث فاطمة عليها السلام (لقد سنوتُ حتى اشتكيت صدري» (لسان العرب ج١٤ ص٤٠٤ مادة "سنا"). ومعنى كلام أمير المؤمنين عليه السلام أني سقيتُ بالقربة حتى أثّر في صدري فاشتكيتُ منه.

(٣٦) سبط بن الجوزي، تذكرة الخواص، ص٣١١.

(٣٧) الصفة: سقيفة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله كانت مسكن الغرباء والفقراء، ومنه أهل الصفة من المهاجرين لم يكن لهم منازل ولا أموال. (مجمع البحرين للطريحي ج٥ ص٨٢).

(٣٨) القطيفة: دثار مخمل، وقيل كساء له خمل، والجمع: القطائف. (لسان العرب: مادة "قطف"، ج٩ ص٢٨٦).

(٣٩) أي: همّا بالقيام.

(٤٠) ابن الكواء: اسمه عبد الله، خارجي ملعون وهو الذي قرأ خلف علي عليه السلام جهراً ﴿**وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ**﴾ (الزمر:٦٥) وكان علي عليه السلام يؤم الناس ويجهر بالقراءة فسكت علي عليه السلام حتى سكت ابن الكواء ثم عاد في قراءته، حتى فعله ابن الكواء ثلاث مرات، فلما كان في الثالثة قال أمير المؤمنين عليه السلام: ﴿**فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلاَ يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لاَ يُوقِنُونَ**﴾ (الروم: ٦٠) وهو الذي سأل أمير المؤمنين عليه السلام عن مسائل شتى فأجابه.. والكواء: الخبيث الشتّام. (الكنى والألقاب للشيخ عباس القمي ج١ ص٣٩٦).

(٤١) ابن حجر العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة ج٤ ص٣٦٨، وذكرها ابن سعد في طبقاته ج٨ ص٢٥ مع اختلاف طفيف.

(٤٢) أحمد زيني دحلان، السيرة النبوية والآثار المحمدية ج٣ هامش السيرة الحلبية ص٣٠٢.

(٤٣) الشيخ ولي الدين محمد بن عبد الله الخطيب، مصابيح الانوار ج١ ص٧٣٣.

(٤٤) المصدر نفسه ج١ ص٧٣٣.

(٤٥) الحافظ أبو نعيم الاصبهاني، حلية الأولياء ج٢ ص٤١.

(٤٦) الحافظ أبو نعيم الاصبهاني، حلية الأولياء، ج٢ ص٤١.

(٤٧) العلامة القسطلاني، ارشاد الساري بشرح صحيح البخاري ج٦ ص٦٣٩.

(٤٨) مناقب ال ابي طالب ٣٤٩/٣.

(١) تفسير العياشي ج١، ص٣١٠.

(١) الاختصاص ص١٧٨.

(٥١) تفسير القمي ٢/ ١٥٥.

(٥٢) قال العلامة المجلسي: أي ضعي الحبال في رقابنا لترفعنا إلى حاكم، قاله تحقيرا وتعجيزا وقاله تفريعا على المحال بزعمه أي انك إذا أعطيت ذلك وضعت الحبل على رقابنا وجعلتنا عبيدا لك أو انك إذا حكمت على ما لم يوجف عليها أبوك بأنها ملكك فاحكمي على رقابنا أيضا بالملكية. وفى بعض النسخ بالمعجمة أي ان قدرت على وضع الجبال على رقابنا فضع.

(٥٣) الكافي: ج ١ ص ٥٤٣.

(٥٤) قال الفيروزآبادي إيه بكسر الهمزة والهاء وفتحها، وتنون المكسورة، كلمة استزادة واستنطاق، وقال: هيه بالكسر كلمة استزادة وقال: الربدة بالضم لون إلى الغبرة وقد اربد وارباد

(٥٥) المناقب ج ٣ ص ٤٢٧ .

(٥٦) وفاء الوفا للسمهودي ج ١ ص ٥٧٢ أعيان الشيعة: ج ١ ص ٣١٣ .

(٥٧) وفاء الوفا للسمهودي ج ١ ص ٥١٣.

(٥٨) بشارة المصطفى ص ١٠٩ .

(٥٩) نيل الأوطار: ج ٦ ص ١٣٩.

(٦٠) نيل الأوطار: ج ٦ ص ١٣٩.

(٦١) مجمع الزوائد: ج ٤ص ٢٢٤ كتاب الأربعين للشيخ الماحوزي ص ٧٢ .

(٦٢) مجمع الزوائد: ج ٦ ص ٣٠١.

(٦٣) تحف العقول عن آل الرسول (ص)، ص ٤٠٤ .

(٦٤) إمتاع الأسماع للمقريزي ج ٦ ص ٣.

(٦٥) إمتاع الأسماع للمقريزي ج ٦ ص ٣.

(٦٦) الإيضاح ، ص ٥٤٩ ..

(٦٧) قرب الاسناد ص ٣٩٢ .

(٦٨) الكافي: ٢/ ٣٥٩ ح ٩، باب مولد الزهراء عليها السلام فاطمه الزهراء عليها السلام بهجه قلب المصطفى



صلى الله عليه وآله: ٥٨٥ و٥٨٦.

(٦٩) المغانم المطابة ص ٦.

(٧٠) موسوعة العتبات المقدسة قسم المدينة ص ٢٥٠.

(٧١) مستدرك ما فات اهل الدار ص مستدرك ما فات اهل الدار ص ١٠٣.

(٧٢) نصيحة المشاور ص ٢٤١.

(٧٣) الكافي: ج ١ ص ٤٦١، معاني الأخبار، ص ٢٦٧.

(٧٤) الترعة - بضم المثناة الفوقانية ثم المهملتين - في الأصل هي الروضة على مكان المرتفع خاصة فإذا كانت بالمطمئن فهي روضة .

(٧٥) معاني الأخبار، ص ٢٦٧.

(٧٦) روضة الواعظين ص ١٥١ .

(٧٧) دلائل الامامة ص ١٣٥ .

(٧٨) دلائل الامامة ص ١٧٠.

(٧٩) مروج الذهب: ج ٣ ص ٢٨٥ .

(٨٠) الأنوار البهية ص ١٧٤.

(٨١) من لا يحضره الفقيه: ج ٢ص ٥٧٢ .

